

يصدرها حلمي مراد
مطبوعات كتابي
الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية
قصص من روما
للروائي الإيطالي ألبرتو مورافيا



البر ..

من روائع الرسام الفرنسى « جاك بلانشار » (١٦٠٠ - ١٦٣٨ م)



أزهار ..

لوحة تكاد تنطق ، للرسام الفرنسي « انطوان برجون » (١٧٥٤ — ١٨٤٣)

البرتو مورافيا

قصص من روما



ROMAN TALES
&
BITTER HONEYMOON

By : ALBERTO MORAVIA

٢٠٠ صفحة ـ ١٠ قروش

مطبوعات

كتابي

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية

يصـدرها : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الإغريق

الكتاب الثامن والثلاثون

قصص من روما

ترجمة : محمد بدر الدين خليل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهـرة

تليفون ٥٩٥٥٦

مجموعة كتابى

« الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالميه »

صدر منها حتى الآن ستة وسبعون كتابا، يضاف اليها كتاب جديد اول كل شهر .. وتطلب من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة (عمارة الجندول) ، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص أجرة البريدالمسجل ، ماعدا العدد : العاشر وثمنه عشرون قرشاوالأعداد ١٣ ، ١٦ وابتداء من العدد ٢٥ ، ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا . اما الاعداد الستة الاولى والعددالعشرون فقد نفدت ، والادارة مستعدةلشرائها

• الاشتراكات : عن سنة (١٢ عددا) : فى مصر والسودان : ١٢٠ قرشا وفى العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز : ما يوازى ١٤٠ قرشا مصريا وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وامريكا وفرنسا واستراليا وتركيا : قيمة الاشتراك : ١٦٠ قرشا « عن سنة » خالصة أجر البريد المسجل ، وفى ألمانيا ١٦٠ قرشا بخلاف أجر البريد الجوى

• ملحوظة : ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات : فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة أو تحويلات عليه . واذا تعذر فترسل كوبونات دولية فئة ٤٠ مليما على ان يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر ، علما بان الكوبونات الدولية فئة الاربعين مليما تصرف بسبعة وثلاثين مليما .

مطبوعات كتابى

صدر منها : قصة مدينتين ، ذات الثوب الابيض ، الخالدون ، الخاطئة ، حياة امرأة (جزءان) الخطيئة الاولى ، أوديب ، مدام بوفارى ، (جزءان) ، عاشقات فى الخريف ، قلوب ضالة ، ديكاميرون ، الظمأللحب ، جين اير (ثلاثة اجزاء) ، فاتنات الرجال ، رجال ونساء ، الثأر للوطن ، فرنسا الجريحة على ضفاف النيل ، الابن الضال ، أسرار الجاسوسية ، بيللا دونا (ثلاثة أجزاء) بوشكين ، اعترافات جان جاك روسو (٥ أجزاء) ، قصص من الصين ، ليالى بلزاك ، الالياذة . وثمن النسخة عشرة قروش فيما عدا الاعداد : ١ و ٤ و ٧ و ١٩ و ٢٢ فثمن النسخة عشرون قرشا ، والاعداد : ١٢ ، ٢٨ — ٣٢ اثنى عشر قرشا ، و ٣ و ٥ و ٦ ثمانية قروش ، ويضاف الى هذا السعر قرشان مقابل أجر البريد المسجل .

« مورافيا » . . والأدب القصصى

عزيزى القارىء ..

• ليست هذه أول مرة تقدم فيهـا « مطبوعات كتابى » القصصى الايطالى المعاصر « البرتو مورافيا » ، فقد سبق أن قدمت فى عددها السـابع تحفتين من أبدع انتاجه ، هما : « الخطيئـة الاولى » ، و « فتـاة من الاقاليم » .. **بـل ان « كتابى » ليفخر بأنه كان « أول » من قدم أدب « مورافيا » الى قراء العربية ، اذ لخص قصته « مراهق » فى العدد ١٦ .**

لذلك لانرانا بحاجة الى أن نعرف القارىء بمورافيا ، فهو ليس غريبا عنه .

ولكنا فى هذا العدد من « مطبوعات كتابى » ، نقدم **نواحى جديدة** من انتاج هذا الكاتب القصصى الرائع ، الذى استطاع أن يكسب شهرة عالميـة ، وأن يفوز بتقدير جعـل مؤلفاته تترجم الى معظم اللغات الحية ..

ذلك لانك عرفت « مورافيـا » ـ فيمـا قدمناه لك من قبل ـ كقصصى جرىء ، يتناول أدق الموضوعات الجنسـية الشائكة ، فيعالجها فى قصص محبوكة ، متسقة الاحداث ، مليئة بالمفاجآت التى تتتابع فى تسلسل طبيعى لا افتعال فيه ولا اصطناع.. **وهو فى معالجته هذه الموضوعات ، لا يستغل من الجنس مادته المثيرة ، أو ـ بمعنى أدق ـ هو لايعـالج مشكلات الجنس لكى يستثير نزوات القراء ، ويتقرب اليهم عن طريق استفزاز شهواتهم** .. وانما هـو يقوم للمجتمع بمهمة أستاذ الطب الجراح بالنسبة للداء.. فالاستاذ يشرح موطن الداء أمام تلاميـذه ، ليكشـف لهم عن ظواهـر الداء وخوافيه ، غير ملق بالا الى ما اذا كان العضـو الذى يشرحه

من الاعضاء التى جرت التقاليد على اعتبارها أعضاء جديرة بالستر والا خدشت رؤيتها المشاعر والاخلاق وآداب المجتمع .. **وكذلك يفعل « مورافيا » فى قصصه الجنسية . فهو يتناول بعض عيوب المجتمع ، فيردها الى أصلها الجنسى ، ويعريها فى أجلى آيات العرى ، لا ليستثير القارىء بمظهرها ، وانما لكى ينبهه الى مكمن الخطر !**

هذا هو « مورافيا » الذى عرفته فيما قدمنا لك من انتاجه ، فى المناسبات الماضية .. وفى هذه الناحية ، نقدم لك — فى هذا العدد — قصة « الخدعة » .. ومع ذلك ، فسوف تلمس انها تخالف كل ما سبق أن قرأته لمورافيا عن الجنس . فهو فى هذه القصة لايكشف الجنس عاريا عريا ماديا ، وانما هو يحلل لك نفسية الفتى الريفى اليافع ، الذى يجد نفسه فجأة فى المدينة ، ووسط عوامل الاغراء والغواية ، دون أن تكون له خبرة سابقة أو تجربة تقيه الانزلاق ...

★ ★ ★

• **على اننا** — الى جانب ذلك — نقدم اليك فى هذا العدد ، نواحى أخرى من عبقرية « مورافيا » ..

ففى قصة **« المطر فى شهر مايو »** يرسم لك « مورافيا » صورة أسرة ليست نادرة المثال فى اية بيئة أو أى مجتمع .. اسرة ربها ديكتاتور ، وربتها امرأة ضعيفة مستخذية ، ولكن ابنتهما فتاة قوية البدن ، تشعر بجمالها كما تشعر بأن أباها لا يحفل بها الا كجارية يستخدمها فى فندقه . ومن ثم فانها لا تلبث أن تتمرد على الاستعباد والاستغلال ، وتذهب فى تمردها الى الدرجة التى تحاول عندها أن تغوى رجلا ، لتسخره فى التخلص من ابيها !

وفى قصة **«رجل!؟»** ، يرسم لك «مورافيا» صورة الزوج

الضعيف ، الذى يسرف فى أرضاء زوجته الى درجة القيام دونها بأعمال البيت ، فلا يفوز الا باحتقارها ..

وفى قصتى : **((فاتنة سائقى السيارات))** و **((فى سبيل حذاءين))** ، يقدم لك ((مورافيا)) صورا رائعة لحياة الطبقة الدنيا فى ايطاليا .. وفى **((لن أقول : لا !))** ، يحلل القصصى الاجتماعى المبدع ، سببا من أسباب تفكك الاسرة .: ذلك هو ((العناد)) والجدال المثيرين بين الزوجين ، فى أتفه الموضوعات .: وهو عيب يصيب الحياة الزوجية فى كل مجتمع ، وكثيرا ما يؤدى الى انهيارها !

أما فى **((الكنز))** ، فيتناول لونا من القصص لم تعرفه عنه اطلاقا من قبل .. انه يأخذ احدى الاساطير القديمة ، فيبعث أفرادها الى الحياة فى شخصيات حديثة تلتقى بها فى كل يوم ، ثم يصوغها بحيث يلبسها ثوب الحياة فى عصرنا الراهن ، دون أن يفقدها الحكمة والمغزى اللذين ترمى اليهما القصة .

* * *

• **ومما** يذكر ، ان ((مورافيا)) أثار فى مقدمة قصته المشهورة ((امرأة من روما)) ، ناحية من النواحى الفنية المتعلقة بكتابة القصة ، يهم القارىء — الذى يحب أن يتعرف دائما على الكاتب الذى يقرأ له — أن يطلع عليها .. تلك هى :

هل يلذ للقارىء أن يروى الكاتب قصته بضمير المتكلم ، وكأنه بطل — أو بطلة — يروى احداثا جرت له .. أو انه يستمرىء أن تكتب القصة بضمير الغائب ، فكأن الكاتب ينظر الى مشهد أمامه ، ثم ينقله .. وعلى مدى أمانته فى النقل ، وروعته فى التصوير والتحليل ، يكون توفيقه ونجاحه ؟

وهذه نقطة حساسة فى تطور فن القصة فى عصرنا الراهن، فى الواقع .

ذلك لان الطريقة الثانيـة ـ طريقة الوصف والتحليل ، وكأن كاتب القصة يشهد الاحداث أمامه ، دون أن يشترك فيهـا ـ كانت هى الطريقة الشائعة ، الغالبـة فى القصص الرومانتيكية والكلاسيكية ، الى أوائل هذا القـرن . وكانت القصة التى تروى على لسان المتكلم ـ وكأنهـا اعتراف يدلى به البطل نفسه ـ فى المكان الثانى .. ولـكنها لقيت رواجا كبيرا فى أمريكا ، فى الفترة التى بدأ يتكون فيها أدب أمريـكى منفصل عن الادب الاوروبى . فليس بالامر الجديد ان نذكر أن الادب الامريـكى كان فى بداية عهـده عالة على آداب الدول التى نزح منها مستوطنو أمريكا الاوائل ، وهى الدول الاوروبية.. وكان يستند أكثر ما يستند الى الادبين الانجليزى والفرنسى .. ان لم نقل انه كان يتبعهما ويرتبط بهما ارتباط الفرع بالاصل . بيد أن حرب الاستقلال الامريكية أسفرت ـ فيمـا أسفرت عنـه ـ عن اتجـاه الادباء فى أمريكـا ، الى الاستقلال بدورهم ، والى انشـاء أدب قومى أمريـكى .. وكانت القصة التى تروى على لسان المتكلم ، هى أظهر طابع ساد الناحية القصصية من هذا الادب القومى الجـديد ..

وعندما تجاوز الادب الامريكى حدود الولايات المتحـدة ، وتسرب الى قراء البلدان الاخـرى ، لقى هـذا النـوع من الصياغة القصصية اقبالا من القراء ، شجع قصصيى هـذه البلدان على أن يلجأوا اليه .. **وليس معنى هذا انه لم يـكن شائعا لديهم ، بل ان ثمة تحفا من روائع القصص الاوروبى ـ فى عصر النهضة ومابعده ـ صيغت على شـكل اعترافات ، أو يوميات ، أو مذكرات ـ أو ما غير ذلك من قوالب تروى فيها الاحداث بضمير المتكلم** .. ولـكن رواج هـذا النوع فى الادب الامريكى ، دعا كتاب أوربا الى الاقبال عليه فى اندفاع

نلمسه فى كثرة ما صيغ به وما يصاغ فى الجيل الراهن والجيلين اللذين سبقاه

* * *

• **ولقد** أثار « مورافيا » هذه المسألة – كما قلنا – فى مقدمة قصته الطويلة : « امرأة من روما » ، لانه توقع ناحية من النقد ، عبر عنها بقوله : « **توقعت أن يقول بعض القراء ان امرأة ساذجة ، غير متعلمة ، من بنات العامة ، خليقة بأن تعجز عن أن تروى قصتها بضمير المتكلم ، فى لغة وأسلوب أدبيين صحيحين كذانك اللذين صغتها فيهما** » ..

ثم ينبرى « مورافيا » لتدبير لجوئه الى هذه الطريقة ، فيقول : « لقد كان أمامى طريقان فى رواية هذه السيرة الخيالية على لسان صاحبتها .. فاما أن أنهج نهجا واقعيا ، تصويريا ، من حيث الاسلوب واللغة ، فتكون النتيجة حديثا فجا ، ركيكا ، لايقوى على أن يعبر الا عن عدد محدود من المشاعر والوقائع .. واما أن اجعل شخصيات القصة تتكلم بأسلوبى المعتاد ، كما فعلت فى قصصى الاخرى . **ولقداخترت النهج الثانى لامرين : أولهما أننى لم أر داعيا يلزمنى بتغيير اسلوبى لمجرد اننى غيرت شخصياتى .. وثانيهما أن اللغة الادبية الصحيحة تكون دائما أصدق تعبيرا ، وأرق شاعرية من لغة الكلام العادية** »

ونحن نسوق هذا الدفاع ، بمناسبة ما أثير فى الصحف الادبية العربية من جدال حول استخدام اللغة العامية واللغة الفصحى فى كتابة القصة .. فمن رأى « مورافيا » أن اللغة الفصحى أدق تعبيرا وشاعرية من اللغة العامية ، ولو كانت شخصيات القصة جاهلة ، لاتتقن الفصحى .. وهو يسوق هذا الرأى فى معرض دفاعه عن المسألة الاخرى .. مسألة

صياغة القصة بضمير المتكلم أو بضمير الغائب ..

★ ★ ★

• **لقد** خضنا بك فى هذه المقدمة حديثا أدبيا قد يبدو جديا ، فى حين أن حرارة الصيف تجعل النفس تواقة الى الاحاديث الخفيفة .. **ولكنا نحسب أن من حقك – اذا ما قرأت القصص – أن تلم ببعض النواحى الفنية لكتابة القصة ، حتى تكون أكثر استعدادا للحكم على ماتقرأ ..**

وعلى أية حال ، فقد حرصنا فى انتقاء القصص التى نقدمها اليك فى هذا العدد من « مطبوعات كتابى » ، على أن تكون جميع هذه النواحى – التى خاضها « مورافيا » – ممثلة فيها .. وقد استهدينا فى الاختيار بملاءمة كل قصة لذوق القارىء العربى ، وتقارب جو حياة أفرادها من أجواء قدتكون قريبة منا فى حياتنا فى البلاد العربية .. الى درجة انك ستلمس أن من الممكن أن تكون بعض القصص – التى يحتويها هذا العدد – عربية أصلا ، اذا نحن بدلنا اسماء الاشخاص والاماكن !

★ ★ ★

• **بقيت** كلمة أخيرة أحب أن اوضحها لك ، وهى اننى حين فكرت فى أن اقدم لك – بعدجرعة « الياذة هوميروس » – مجموعة من قصص « مورافيا » ، تصور مختلف خصائصه الفنية كما أسلفنا ، ترددت بين كتابين من أحدث ما صدر (بالانجليزية) لهذا المؤلف الايطالى الكبير : أحدهما كتاب BITTER HONEYMOON – « شهر العسل المر » – الذى قرأت احدى قصصه ، المسماة بهذا الاسم ، فى العدد رقم ٧٣ من كتابى ، الصادر منذ ثلاثة شهور .. والكتاب الآخر هو ROMAN TALES – قصص من روما –

الذى اقتنصته لك من احدى مكتبات (نيودلهى) عاصمة الهند ، اثناء زيارتى لها منذ شهور .

وقد فكرت ـ فى البداية ـ فى أن أقدم لك أحد الكتابين، بأكمله ، لكنى لم ألبث أن تبينت أن كلا منهما يقرب من ضعف حجم (مطبوعات كتابى) ، اذ يحتوى على مجموعة كبيرة من قصص مورافيا ، تشغل ـ لو ترجمت كلها ـ جزءين على الاقل من هذه السلسلة .. **وأظنك توافقنى على أن اصدار جزءين متتاليين ، يضم كل منهما عددا من القصص لمؤلف واحد ، يعتبر ((تزمتا)) لا معنى له فى تطبيق شعار ((الترجمة الكاملة)) ، الذى اتخذته لهذه السلسلة ..** فأنا أفهم أن يقتضى التمسك بهذا الشعار أن لاتنشر (مطبوعات كتابى) ((تلخيصا)) لكتاب ، او ((تلخيصا)) لقصة من محتويات كتاب ، وانما تصر على الترجمة ((الكاملة)) لكل قصة تنشرها ، حرصا على احترام النص الاصلى لكل وحدة فنية فى حد ذاتها .. **لكنى لا أفهم أن يقتضينى التزام شعار ((الترجمة الكاملة)) ان أنشر ((جميع)) القصص التى يحتويها كتاب من الكتب ، أو لا أنشر شيئا منها على الاطلاق ..** سيما وأن بعض قصص كل مجموعة من هاتين المجموعتين ـ كما هو الحال فى أكثرية المجموعات القصصية ، ايا كان مؤلفها ـ تقل كثيرا فى مستواها الفنى عن أخواتها القصص الاخرى التى يضمها نفس الكتاب !

واذ استقر رأيى على نشر ((الترجمة الكاملة)) لبعض قصص المجموعة التى يقع عليها اختيارى ـ دون البعض الآخر ـ تطور بى التفكير الى احتمال آخر : ما دمت لن أتقيد بنشر ((جميع)) القصص التى تحتويها كل مجموعة ، ومادامت المجموعتان لمؤلف واحد ، **فما الضير فى أن أنتقى أحسن ما تضمنته كلا المجموعتين، وأضمها فى مجموعة واحدة عربية ؟ !**

وراقتني هذه الفكرة ، فجمعت لك فى هذه المجموعة أطول واقوى قصة فى مجموعة « شهر العسل المر » — وهى قصة « الخدعة » ، التى تطالعها فى مستهل هـذا الـكتاب — ثم ضممت اليها افضل القصص القصيرة التى تضمنتها المجموعة الاخرى « قصص من روما » .. **وبذلك أرجو أن أكون قد وفقت فى أن أقدم لك باقة مختارة من قصص « مورافيا » ، مترجمة كلها الى العربية « ترجمة كاملة » .. حرفية !**

والله ولى التوفيق .

حلمى مراد

الخدعة!



THE IMBROGLIO

• **كان** خجل « جانماريا » راجعا الى صغر سنه وجموح خياله الخصيب .. كان خجلا متأصلا فى أعماقه ، ولكنه كان مصحوبا برغبة جامحة فى الظهور بمظهر الشخص السريع ، المقدام ، البعيد عن التردد .. وكانت هذه الرغبة تشتط فى جموحها أحيانا ، حتى لتفضى الى نوع من القحة العجيبة ، التى تجمع بين النزق والتخبط العقيم . فان خوف الفتى من شعوره بالخجل ، كان يتسلط عليه – فى بعض الاوقات – فيسوقه الى أن يقدم فى رعونة على تصرفات تستلزم بطبيعتها اعدادا وحذرا .. أو الى أن يندفع فى تخبط أعمى – وكأنه فى جزع من جرأته – الى مشروعات سخيفة ، أو غير مجدية ، أو خطرة ، مما ينأى بنفسه عنه أى امرىء على شىء من الاعتداد بالنفس !

أضف الى هذا ، أن رغبته الملحاحة فى أن يظهر على غير ما كان ، وان يغالب طبيعته ، كانت تسوقه الى تصرفات لاداعى اليها ، تمليها عليه تقديرات غير واضحة الاسس ، وان كانت جامدة النطاق .. تقديرات كانت توهمه بأنه كان – فى تصرفاته تلك – يتبع بواعث وقواعد للسلوك ، لم يكن لديه – فى الواقع – شىء منها البتة ! .. **وكانت أعجب خصاله جميعا ، انه لايكاد ينتهج نهجا ما ، حتى يستغرق – كما يفعل فريق من كبار الممثلين – فى دوره الزائف ، بكل دقائقه .. ويذهب فى هذا الاستغراق الى الحد الذى يصدق معه أن الزيف حقيقة ! .. والحق انه أصبح يشعر بأحاسيس معينة ، نشأت فى البداية عن مجرد وهم وايحاء ذاتى !**

وهذا ما حدث له فى أحد « بنسيونات » روما ، عقب وصوله من مسقط رأسه بوقت قصير .. كان وحيدا ، بلا صديق . فما لبث أن عقد عزمه – بعد أن قضى أسبوعا فى

وحدة ممضة ـ على أن ينجو من هذه الحال ، مهما يكن الثمن .. وعلى أن يخاطب أحد النزلاء فى « البنسيون » . ولكن ، أى واحد منهم يختار ؟

ولاح له ـ عندما أطال التأمل ـ أن أنسب شخص يخلق به أن يجاذبه أطراف الحديث ، هى فتاة تدعى « سانتينا » ، اعتاد أن يراها يوميا ، فى قاعة الطعام ، فى مواعيد الوجبات . ولم يكن من السهل ـ عندما وقع اختياره عليها ـ أن يجزم بما اذا كان يميل الى الفتاة حقا .. كان أهم غاياته هو أن يبرىء نفسه من الحياة ، بأن يتحدث الى الفتاة ! .. ثم لن يلبث ـ اذا ماتعرف اليها ـ أن يغازلها ، بطبيعة الحال ، والا أخفق فى أن يؤدى مايجب عليه كرجل !

على أن أياما ثلاثة ـ أو أربعة ـ مرت ، دون أن تسنح له الفرصة كى ينفذ خطته . وفى تلك الاثناء ، كان دائبا على مراقبة الفتاة ، مما جعل تفكيره فيها كوسيلة للتغلب على حيائه ، يتضاءل عن تفكيره فيها كشخص .. انسان ! ومن ثم فانه بدأ يفطن الى انه كان يميل اليها !.. وما لبث طول تردده فى الاقدام ، أن أفسح الطريق لشىء من الذعر ، فلم يعد يفكر فى غير « سانتينا » وضرورة الحديث اليها .. ولم يعد يجد الى النوم سبيلا..وأصبح يمسك أنفاسه ـ كلما التقى بها ـ ويفقد لونه . واذ ذاك، تبين أن الامر لم يعد يقتصر على مجرد التعرف اليها، وانما تجاوزه الى السعى الى استمالتهاواغوائها. ومع أن تهيبه ظل قائما على حاله ، الا أن أمانيه راحت تزداد جرأة وايغالا !

وانقضت بضعة أيام أخرى ، عانى خلالها « جانماريا » ذلك الوجد الذى يعانيه الشباب نحو امرأة ميسورة المنال.. حتى انتهت به الحال الى الشعور بكل ماينتاب العاشق من تباريح وأشواق ، اذا لم يفطن محبوبه اليه . وفى أمسية اشتد فيها غيظه من نفسه ، ووجده وصبابته ، اتخذ قرارا من القرارات

المفاجئة ، الحاسمة ، التى امتاز بها .. فعزم على أن يتحدث الى « سانتينا » أثناء العشاء أو بعده .. قبل أن ينتصف الليل ، على أية حال ، ومهما يكن الامر !

***

• **أما** وقد استولى قراره هذا على كل تفكيره ، فقد شرع يعنى بزينته ، أكثر مما اعتاد من قبل . وكان قد قضى فترة ما بعد الظهر مضطجعا على الاريكة الخشنة — التى غاص وسطها لفرط الاستعمال — يستذكر «مدخل القانون الدولى»، ويدخن السيجارة تلو السيجارة ، فاذا الحجرة الواسعة ، ذات الاضاءة الضعيفة ، والسقف المثقل بالرسوم والزخارف، والاثاث القاتم .. اذا هذه الحجرة — التى لم يكن فيها ما يبدو أبيض سوى المناشف المعلقة الى جوار حوض الغسيل — تمتلىء بضباب أزرق كثيف ، خلع على المكان — الذى كان باردا ، فى الواقع — مظهر الدفء والحرارة !

وفى اللحظة التى سمع فيها الصوت المعدنى الاجوف ، يدوى فى الردهة ينبه الى الاستعداد للعشاء ، ألقى كتاب القانون جانبا .. بيد انه لم ينهض عن الاريكة ، اذ انه اعتاد أن يتناول وجباته وحيدا ، وأن يلتهمها بسرعة ، فشاء أن يكون آخر من يبلغ قاعة الطعام — فى هذه المرة — كى لايكون أول من يبرحها. بيد انه لم يقو على أن يمكث فى مجلسه لاكثر من لحظة . ثم اذا به ينهض فجأة ، فيسير الى المرآة

وبدأ بأن تأمل وجهه .. وبالرغم من أنه لم يكن ثمة عيب أو تشويه فى هذا الوجه ، الا أن « جانماريا » كان موقنا من انه قبيح الشكل ، نظرا للطابع الصبيانى ، المجرد من التعبير ، الذى كان يسود قسماته غير الناضجة .. كانت ملامحه ملامح فتى مراهق ، ولا حيلة له فى ذلك ! .. وكانت ثمة ثلاثة معالم لاتروق له بوجه خاص ، اذ انها كانت تبرز المظهر الصبيانى



الذى كان فى خجل منه : فهناك التجعدات الشبيهة بمخلب الغراب ، التى تتجمع تحت عينيه السوداوين البراقتين ، فتوحى بالسأم ، وتنم ـ بشكل ما ـ عن حياة مضطربة .. وهناك الشعر البنى القاتم الخشن ، الذى يتجمع فوق جبينه .. لقد حاول ـ عبثا ـ أن يستعين بالدهون والسوائل على اكسابه نعومة .. ثم ، هناك تلك البثور الناتئة ، المتكاثرة ، غير الواضحة ، التى انتشرت على عنقه وجبينه وخديه ، والتى لم تكن تتوارى كثيرا . تحت الزغب الذى بدأ ينمو فى تلك المواقع .. وكان هذا أبشع العيوب جميعا !

وطاف بذهنه انه لم يكن مليحا ، فراح يتأمل صورته فى امعان.. ولكن وجهه ـ سواء أكان مليحا أو قبيحا ـ استهواه بالرغم من نفسه ، دون أن يدرى لهذا تعليلا ! .. ما الذى كان يقبع متواريا وراء البريق الغامض الذى كان يتألق فى عينيه ؟.. ومن أين له ذلك الخط المنحنى حول ركن فمه ، والذى ينم عن شىء من المرارة ؟.. أو لم يكن ثمة أثر من العزة الارستقراطية فى الانحناءة ، التى لم تكد تكون ملحوظة ، والتى اتخذها حاجباه الكثيفان ؟

هكذا كانت الاسئلة التى وجهها الى نفسه ، وهو يتفحص صورته فى المرآة . ولاحظ ـ فضلا عن ذلك ـ أن بثورة بدت

متضائلة ، وأقل ظهورا ، بفضل رعاية خارقة أولاه القدر اياها فى ذلك اليوم الذى كان عظيم الاهمية لديه ! .. وكانت ثمة بثرة تحت صدغه ، ولكنها كانت فى بداية نتوئها .. وما كانت بالواضحة — فى ذلك المساء — رغم أنها كانت مؤلمة !

وعندما فرغ أخيرا من تفحص وجهه بعناية، شرع فى ارتداء ثيابه .. ولم يكن يملك سوى بزتين ، احداهما رمادية للنهار، والاخرى زرقاء للامسيات .. وكان يرتدى الاولى ، فأخرج الثانية من الصوان الضخم ذى العبير الكريه — الذى كان مليئا بالمشاجب — ثم طرحها فى حرص على غطاء السرير الاحمر . وأخرج — بعد ذلك — زوجا من الاحذية السوداء ، **أوشك على** البلى ، وان ظل فى حال جيدة .. ومن أحد أدراج خزانة الثياب الهائلة الحجم ، أخرج الجوربين الحريريين الوحيدين اللذين كان يمتلكهما . ثم خلع ماكان عليه من ثياب ، فى عجلة. **وتأمل شكله لحظة فى المرآة الضخمة المعتمة .. ولم يكن قد راض نفسه بعد ، على أن يرى نفسه عاريا ، فتأمل الصورة بعين الدهشة المستحيية ، المفتونة ، التى كان خليقا بأن يشعر بها اذا هو رأى جسد امرأة عارية . ثم ارتعش ، وقفز على بلاط الحجرة الجليدى ، صوب الباب** . وتناول من المشجب — الذى كان مصوغا على شكل شمعدان — الثوب الوحيد الذى كان معلقا عليه .. وكان قميصا أبيض ، ارتداه مرة واحدة — قبل الليلة — ولكنه ظل نظيفا !

وارتدى القميص ، والجوربين ، والسروال (البنطلون) .. وشعر — وهو يلبس الاخير — بالفرح الصبيانى الذى داخله عندما ارتداه لاول مرة . ثم سار الى حوض الغسيل ، الذى حف به أبريقان ضخمان مليئان بالماء ، ووعاءان واسعان من الخزف الاخضر الموشى بالزهور .. فغسل يديه ووجهه بالماء البارد . وبدد بعض الوقت فى البحث — بين الغبار ونسيج العناكب — عن قطعة الصابون التي كانت قد انزلقت عن الرخام

المبتل ، وهوت الى الارض .. ثم دس رأسه فى الماء ، وضمخ شعره المبتل بالدهان ، وشرع يمشطه بعناية . ولكن الشعر كان مثقلا بالماء وبالدهان أكثر مما ينبغى ، فاذا به يتفسخ فى لمم منتصبة لامعة ، كشفت عن بشرة جمجمته . وعاد يمشطه بشدة ، ولكن البلل كان قد زال فى هذه المرة ، فلم يعد الشعر متماسكا ، وانما انتصب فى غير تناسق ، كشوك القنفذ .. واضطر « جانماريا » الى أن يدس رأسه فى وعاء الماء مرة أخرى . ولم يستعمل — فى هذه المرة — المشط ولا الفرجون ، بل مسح على شعره براحته المضخمة بالدهان ، ثم لفه فى المنشفة وقد جعلها كالعمامة . وراح يذرع أرض الحجرة ورأسه معمم بهذا الشكل ، وهو ينفث غيظه بين آن وآخر ، ويناضل لكى يثبت ياقة قميصه المنشاة . فلما تثنت وتغضنت ، طوح بها بعيدا ، وتناول ياقة أخرى ، كانت هى الوحيدة التى تبقت لديه .. واستطاع أن يثبتها — فى هذه المرة — فورا . وفيما كان يعقد رباط عنقه ، شرع الرنين المعدنى الاجوف يدوى فى الردهة من جديد ، فى جرس غير بهيج .. كان موعد العشاء قد حان .

* * *

• **وطغى** عليه — على غير ارتقاب — ذلك القلق وذلك الاستخذاء اللذان كان على دراية جيدة بهما .. فقد كانا رسولى خجله ! .. وأخذ قلبه يخفق فى عنف ، فأمسك أنفاسه ، وتولاه ارتباك بلغ من سلطانه أن الفتى فتح باب غرفته ودلف الى الردهة ، والمنشفة تحيط برأسه . على انه عندما بلغ عتبة الباب ، التفت كعادته — لحسن الحظ — وألقى نظرة على مرآة منضدة الزينة ، فطالعته على صفحتها صورة هندى بادى المهابة ، ذى وجه أسمر ، مريب المظهر ، تحت عمامة بيضاء ..

وبقفزة واحدة ، كان فى داخل غرفته ثانية . لقد نجا بمعجزة

.. هب أنه انطلق يجوس من خلال النزل ورأسه مفعم بالمنشفة !.. ونسى كل شيء – حتى ((سانتينا)) – في الانفعال الذي غشيه لحظة من الزمن ، حتى اذا غادر غرفته – في النهاية – أحس بارتياح لان هذه السهوة قد هدأت من اضطرابه!

وكان « بنسيون همبولت » يوما ملكا لامرأة انجليزية مسنة، شغفت بروما .. أما الآن ، فقد أصبحت تديره – لحساب الورثة – أرملة شابة تدعى « نينا ليبرى » . وكان يشغل الطابق الرابع من مبنى ضخم ، كئيب المنظر ، اثقلت واجهته بزخارف من الجص ، وقوائم المصابيح الكهربائية ، والشرفات، والاعمدة.. كلها طليت باللون الاصفر وقد تخلله تراب أسود.

وكان « البنسيون » يشبه تماما كل « بنسيون » متوسط المستوى .. ففيه عين الاثاث القديم العطن العبير ، وعين النظافة التى لاتمس سوى الظاهر ، وعين الاريج المنبعث من الطهو ، وعين السكون العميق ، وعين الروحات والجيئات والحركات – المشوبة بالغموض – بين حجرة وأخرى . على انه كان يمتاز بشيء واحد ، لم يكن يجعله مختلفا عن سواه ، بقدر ماكان يبديه أفخم من كل ماعداه.. ذلك هو عدد ردهاته وطولها . فما كان « بنسيون همبولت » ليعتبر نزلا غير عادى فحسب – فى هذه الناحية – وانما كان فذا حقا . كانت ردهاته منخفضة السقف ، طويلة ، ضيقة ، معتمة ، تتخللها – على مسافات غير منتظمة – أبواب مزدوجة معتمة .. وكانت هذه الردهات تمتد فى كل اتجاه ، فتكسب المسكن بأسره مظهر مدينة دفينة من مدن الموتى القديمة المتشابكة المسالك ! .. وكانت هذه الردهات متداخلة بعضها فى بعض ، حتى ان «جانماريا» ظل – بعد انقضاء أسبوع على وصوله – على ماكان عليه فى أول أيامه ، من جهل بمواقعها واتجاهاتها ، فكان يسير فيها متخبطا، لايسترشد بغير الحدس والتخمين !

وما ان غادر « جانماريا » غرفته فى ذلك المساء ، حتى تبين

انه قد نسى طريقه الى غرفة المائدة ، ولعل هذا كان راجعا الى ارتباك ذهنه . . كان كل ماتبقى فى ذاكرته ، هو أن للحجرة بابا ذا زجاج أخضر : فتردد قليلا ، ثم انطلق فى ردهة طويلة — وهو يتنهد بين آن وآخر — وانحرف فى نهايتها الى ردهة أخرى ، لمح فى نهايتها ألواح الزجاج الخضراء اللامعة ، التى كان ينشدها . فقال لنفسه : « ها قد وصلنا ! » . وجذب أطراف سترته ، ومس رباط عنقه ، واصطنع الوقار . . ثم دخل الغرفة !

ولم يفطن الى انه ولج غرفة غير التى كان يقصدها ، الا بعد أن أغلق الباب بحرص وعناية ، ثم استدار ليسعى الى مائدته . فاذا بصره يقع على غرفة من غرف النزل العديدة ، لها عين السقف المرسوم المعهود ، والاثاث ذو العبير العطن ، وغبرة القدم وطول العهد . على انها كانت تختلف عما عداها بوجود حاجز بعرض الحجرة ، فقد علقت فوقه بعض الثياب النسوية ، فى فوضى بادية . . والى جانب الحاجز ، كانت ثمة امرأة فى وضع عجيب جدا ، وقد نم شكلها للتو عن أنها « سانتينا » . وكانت تستند باحدى كتفيها الى الحاجز ، محاولة — فى حركات مغيظة محنقة — أن تخرج رأسها من ثوب نهارى كانت تخلعه .

كان رأسها وذراعاها حبيسة فى الثوب المقلوب . . وكان جسدها — الذى راح يتلوى فى جهد للتخلص من الثوب — مكسوا بقميص ذى لون أخضر باهت ، ووشى ذيله بـ « دانتيلا » صفراء ، واستقر على الكتفين بشريطين ورديين . وبالرغم من أن « جانماريا » جزع للمفاجأة ، الا انه لم يقو على أن يقاوم الرغبة فى البقاء ، ليملى بصره من جسم الفتاة التى كان يعرف وجهها — المستتر فى الثوب — تمام المعرفة !

كان جسمها يبدو كجسم صبية يافعة . . نحيلا ، غير ملتف القوام ، ذا منكبين ظاهرى العظام ، وبطن منبسطة ، وردفين بارزين . . وكانت « الدانتيلا » التى تذيل القميص ، تنتهى

عند منتصف فخذيها ، منحسرة عن ساقين نحيلتين ، غير متناسقتى التكوين ، تبرزان من جوربين قاتمين . **وألفى « جانماريا » نفسه – فى غمرة الذهول والفضول – يتأمل بوجه خاص ، تلك المفارقة العجيبة بين نحول الجسد الشبيه بجسد الصبية ، وحلمتى الثديين المستديرتين المتواريتين خلف القميص الاخضر .. فقد كانتا كبيرتين بدرجة غير عادية ، وكأنهما قطعتان كبيرتان قاتمتان من قطع العملة .. كذلك اجتذبت انتباه الفتى مفارقة أخرى تمثلت فى الشعر الكثيف ، الطويل ، الاسود ، الذى ملأ أبطى الذراعين الرفيعتين المرفوعتين الى أعلى !**

وفى مدى ثانية واحدة ، اذا الجسد ذو الرأس الملتف فى الثوب ، والكتفان العاريتان ، والحاجز بما عليه من ثياب ومناشف .. اذا بكل صغيرة فى هذا المنظر العجيب ، تنطبع فى ذاكرة « جانماريا » الى الابد ! .. ثم انبعث صوت خشن غاضب – يكاد يكون أجش – صائحا فى لهجة اقليمية ظاهرة : « من هذا ؟ » . وفى الوقت ذاته ، صدرت من ردفى الفتاة وساقيها حركة غاضبة ، هوجاء ، نمت عن نفاد صبر ، ثم دقت الارض بكعبها . وتمتم « جانماريا » وكأنه يوجه الكلمات لنفسه وليس للفتاة ذات الجسم المتثنى : « لا شىء هناك ! » . ثم انسحب الى الردهة بأسرع ماوسعه، مغلقا خلفه الباب الذى اهتز زجاجه الاخضر محدثا رنينا

* * *

• **كان** لظهور جسم « سانتينا » – الذى لم يكن « جانماريا » يتوقعه – فى هذه المناسبة غير المرتقبة ، أثر عميق على ذهنه الذى لم تتح له مثل هذه التجربة .. وأخذ يحدث نفسه – وهو يتراجع فى الردهة – بأنه لن يكون صالحا لاى شىء ، اذا هو أخفق فى أن يظفر بهذه الفتاة السهلة المنال . **بيد أن خطته**

لاغوائها لم تكن سافلة كما قد يبدو لاول وهلة .. فلقد كان ((جانماريا)) يشعر بأن عليه أن يجعجع وأن يسلك مسالك المستهترين العابثين ، ولكن مشاعره الحقيقية كانت بريئة طاهرة .. وكان فاضلا ، برغم شخصيته المتأججة العواطف .. كانت أحاسيسه ــ فى الواقع ــ تشبه كل الشبه أحاسيس كافة الشبان الذين يفدون من الارياف ، والذين يقعون فى الحب مرة، ثم يبددون شبابهم فى اتصالات طويلة، مستحيية !

.. كان يظن انه أوتى من برود الاعصاب ما يستلزمه اغواء الفتاة، ولكنه ــ فى الواقع ــ كان خليقا بأن يتردد بعدالمحاولات الاولية ، مهما تكن موفقة ، وان يعجز عن كبح الوساوس التى تراود ذهنه الغشيم ، الذى لم يؤت تجربة أو خبرة !

وبلغ قاعة الطعام ، وهو مستغرق فى هذه الافكار ، فعاد يتخذ مظهر الرجل المعتد بنفسه ، غير المكترث لشىء ، الذى لايتجلى على أساريره مايجول بنفسه ! .. وهم بالدخول وهو يحاول أن لا يحدث أى صوت ، ولكن الباب أبى أن يفتح ــ فى بادىء الامر ــ ثم تحرك فجأة ، فاذا الواحهالزجاجيةــ المقلقلة فى اطاراتها ــ تهتز كحزمة من الاجراس الصغيرة ، مما جعل الفتى محط أنظار جميع زملائه النزلاء . وارتبك .. وسار بخطى غير ثابتة نحو مائدته ، على الارض الخشبية التى كانت تئز تحت قدميه ، غير منتبه الى التعبير الذى ارتسم على محياه ، وكأنه يقول : ((لاشىء هناك .. ولا قادم سواى !))

وكان الفارق الوحيد بين قاعة المائدة والغرف الاخرى فى النزل ، ينحصر فى شكلها . فقد كانت بالغة الطول بالنسبة الى عرضها ، حتى لتكاد تشبه النفق .. وكان لها سقف عال ، مقوس ، مزركش بالزخارف العربية الحائلة ، غير الواضحة ، المعهودة . وكان ثمة مصباحان ، أحيطا بوقاءين زجاجيين أبيضين ، يرسلان ضوءا واهنا على الموائد التى صفت محاذية للجدارين الطويلين . وقامت فى أحد أطراف الحجرة مائدة

أطول مما عداها ، وضعت بعرض المكان ، وقد حملت أكواما من الصحاف وأدوات المائدة ، واثنتى عشرة سلة صغيرة زينت بأشرطة حمراء ، واحتوت كل منها على تفاحة ، وثمرة من اليوسفى ، وثمرة من فاكهة صغيرة مجففة .. تلك كانت المائدة التى اعتادت الخادمات أن يستعملنها فى غدوهن ورواحهن وهن يخدمن الطاعمين .. كما كانت « نينا ليبرى » - مديرة النزل - تقضى الوقت واقفة بين هذه المائدة وثغرة فى الجدار خلفها ، كانت تمتد خلالها - بين وهلة وأخرى - ذراع الطاهى ناقلة صحاف الطعام من المطبخ . وكانت المديرة تحتل - وراء هذه المنضدة المحملة بأدوات المائدة - مركزا يمكنها من الاشراف على القاعة بأسرها ، من أدناها الى أقصاها ، حيث الباب الزجاجى الاخضر ، وعلى صفى الموائد التى كان النزلاء يجلسون اليها ، والتى جلس « جانماريا » وحيدا الى آخر واحدة منها ، وقد نفخ صدره ، وولى وجهه شطر طبقه وزجاجته .. فى وضع يقابل تماما ذاك الذى وقفت فيه المديرة ، ومن ثم فكثيرا ماكانت نظراتهما تلتقى ! .. وكانت نظرات خالية من أى معنى ، اللهم الا تقدير النزيل وقياس قيمته .. فان المديرة وان حرصت على انشاء روابط الالفة مع نزلائها ، وكأنهم أفراد أسرة هى ربتها ، الا انها لم تكن تولى أحدا منهم ثقتها .. بل



انها كانت تحرص — على ماكان يبدو — على أن تجعلهم بمنأى عن حياتها الخاصة !

ولقد كانت المديرة طويلة القامة، ومن الممكن اعتبارها جميلة .. أو هكذا خطر لجانماريا — على الاقل — وهو يرقبها ، لا لانه كان يؤثر رؤيتها ، وانما لان مجلسه كان يواجهها .. كانت ناصعة البشرة ، ذات وجه شاحب بارد ، وعينين واسعتين مفعمتين بالطمأنينة ، وأنف طويل أقنى ، يعلو فما واسعا معوجا .. وكان شعرها اسود ، تنسقه بحيث ينسدل على أذنيها ، ويتجمع فى دائرة كالكعكة فوق قفاها . أما صدرها وردفاها فكانت لينة ، ممتلئة ، ولكنها لم تكن جميلة .. ومع ذلك ، فقد كانت توحى بالاغراء العارم الناعم ، الذى تمتاز به الاشياء الطريفة الناعمة . وكانت حركاتها ووجهها تنضح بطمأنينة مسترخية . وقد اعتادت أن ترتدى — دائما — ثيابا سوداء . كما ان مظهرها البدنى — الذى ظل طافحا بالشباب، وان زحفت عليه مرحلة اوسط العمر — وخلقها المتزن الرصين، يجعلانها تبدو وكأنها مثال مجسد للجو الذى كان يرين على الردهات الطويلة ، وعلى الحجرات المعتمة فى نزلها !

وكانت المديرة تقف خلف المائدة — حين ولج « جانماريا » القاعة — وفى يدها مغرفة كانت توزع بها الحساء من وعاء كبير تصاعد منه البخار ، بينما كانت ساقيتان توافيانها بالاقداح ، قدحا وراء قدح .. وكان جميع النزلاء قد احتلوا أماكنهم تقريبا ، وتبين « جانماريا » — بنظرة واحدة — ان « سانتينا » وامها كانتا الغائبتين الوحيدتين .

ولم يكن فى النزل أفراد كثيرون .. كان ثمة عروسان ريفيان شابان ، لهما وجهان خشنان أحمران ، لم يكونا يتكلمان قط ، ولا كانا يكفان عن الابتسام اطلاقا .. وكان ثمة موظف كهل ، أوشك أن يفقد بصره وأسنانه ، وقد امتاز عن سواه بأنه لم يكن يتناول — سواء فى النهار أو فى الليل — سوى الدجاجات الصغيرة

المسلوقة .. وكان كثيرا ما يزهو بذلك ، فى غباء الرجل الذى لا يشغل بغير صحته وبغير احصاء مئات ـ بل آلاف الدواجن التى التهمها فى حياته ! .. كذلك كان ثمة انجليزيتان مسنتان، شاب شعرهما ، ولازمهما مرض النقرس . وكانت احداهما تحتفظ فى غرفتها بكلب صغير أليف ، فكانت تحرص ـ أثناء الوجبات ـ على أن تضع فضلات طعامها فى طبق صغير تحمله معها ، وهى تعرج وترتجف فى سيرها ، الى كلبها المدلل ! .. ثم ، كان هنــاك ـ عدا هؤلاء ـ شخص يدعى « السنيور نيجرينى » . وكان رجلا فى أوسط العمر ، يتنـاول طعامه وحيدا ، بيد أنه كان يبدو على صداقة مع « سانتينا » وأمها . وكان كل هؤلاء القوم يتبادلون الاحاديث ـ وهم جلوس الى موائدهم ـ بأصوات عالية ، فيصدرون التعليقات بين لقمة وأخرى ،عن جودة الطعام، وعن الانباء التى طالعوها فى صحف الصباح .

* * *

● **وبعد** أن جاس « جانماريا » بنظرة سريعة ، فى القاعة ، شرع يتناول طعامه

ومع أنه لم يشأ أن يعترف ـ فيما بينه وبين نفسه ـ الا أن حميته بدأت تثبط ، اذ خطر له أن « سانتينا » وأمها قد تكونا مدعوتين الى العشاء فى الخارج . وود لو جرؤ على أن يسأل « نيجرينى » ، الذى كان يجلس الى المائدة المجاورة ، والذى كان يحدس أنه على علم بكل شؤون المرأتين . بيد أن خجله المعتاد منعه من أن ينبس بكلمة واحدة . **ولقد فتح فمه ـ أكثر من مرة ـ ليقول شيئا ، ثم أغلقه من جديد . وأخيرا ، قال لنفسه : « سأعد عشرة ، ثم أتحدث اليه ، ولو كان فى ذلك حياتى أو مماتى ! »** .

وبعث هذا القرار فى نفسه شعورا بالتحرر ، اذ أحس أنه

ـ لمجرد اتخاذه اياه ـ قد جاوز نطاق الانطواء والتردد ، الذى كان خجله يضربه حوله . ومن ثم شرع فى العد ببطء ، وقد ثبت بصره على المديرة ، التى كانت تقف وراء منضدتها بين صفين من الصحاف .. وكأنما كان ينظر الى صورة قديسة غائبة بوعيها عن المكان منصرفة الى أفكارها ، فوق هيكل ، بين شمعتين هائلتين ! .. وعندما بلغ فى العد الى « خمسة » ، أمسك لحظة ، ثم همس بصوت خافت،ولكنه واضح : «ستة، سبعة ، ثمانية » ..

وفى تلك اللحظة سمع رنين الزجاج لدى الباب ، وأقبلت المرأتان .. فاندفعت الفتاة فى القاعة وكأنها شديدة التعجل ، فحيت النزلاء الآخرين بايماءات سريعة من رأسها وعينيها ، ورداء السهرة الطويل ـ المصنوع من حرير أزرق خشن ـ يحيطها بحفيف مسموع .. وتبعتها أمها ـ التى كانت قصيرة ، بادية الوقار والرصانة ـ فى غير عجلة ، وهى توزع النظرات حولها من عينين سوداوين خابيتين . وتذكر « جانماريا » ـ بجلاء تام ـ الجسد نصف العارى ، الذى رآه فى الحجرة ذات الحاجز ، فلم يتمالك أن راح يقارن بينه وبين الرأس الذى لم يعد الآن محجوبا عن عينيه .. وانتهى الى أن الوجه الوحيد الذى يلائم الجسد الانثوى غير الناضج ـ الذى رآه ـ هو ذلك الوجه الذى كان يتبدى لعينيه اذ ذاك . كما جزم بأنه ما كان فى وسع أى فم آخر ـ سوى فم ذلك الوجه ـ أن يطلق تلك النبرات الاجشة،غير الرقيقة،التى كانت لا تزال ترن فى أذنيه !.. وكان شعرها الاسود ، الخشن ، المجعد ، يتهدل على عنقها وكأنما كانت تحركه نسمة مسترسلة دون توقف . أما جبينها الخشن الضيق ، فقد كانت تتخلله خطوط غير ظاهرة ، توحى بالعناد والاستهتار المنبعثين عن ذكاء محدود ! .. وكانت عيناها كبيرتين ، تبدوان كما لو كانتا تبرزان ، الى أبعد من مستوى خديها ، تحت جفنين متورمين .. وكانت نظراتهما

تشى بضيق العقل وبالجشع ، كعينى شخص يدمن تعاطى المخدرات ! .. كما كانتا تنمان عن زيف أحمق ناشىء عن تيار دافق من أفكار نابعة من طبيعة عملية . وكان صدغاها الناتئان ، وأنفها الافطس ، وفمها الواسع الذى كثيرا ما كان ينفسح عن ابتسامة مبهمة لا معنى لها — فيكشف عن أسنان متباعدة غير متناسقة — وذقنها الدقيقة التى لا تكاد تبدو تحت شفتها السفلى الغليظة .. **كل هذه كانت تكمل صورة هذه الـ « سانتينا » ، التى أصبح « جانماريا » مفتونا بها الى درجة أنه لم يعد يحب حسناتها القليلة فحسب ، بل انه أصبح يحب عيوبها الكثيرة !**

كان وجهها مكسوا بطبقة من « بودرة » فى بياض الجير ؛ وشفتاها مخضبتين بطبقة كثيفة من طلاء الشفاه الاحمر . وعندما جلست الى المائدة ، لم يسقط الضوء على وجهها مباشرة ، فاذا الظلال تزيد جفنيها المتورمتين بروزا ، والخطوط غير الواضحة — على جبينها — نتوءا ، والبثور المتطفلة على خديها ظهورا .. وبينما كانت تتظاهر بالكلام مع أمها ، راحت تثبت نظراتها الجشعة ، المجردة من الحياء ، على « جانماريا » . أما هو ، فمع أن عزمه على الظفر بسانتينا لم يكن منبعثا عن أى حافز ، اللهم الا رغبته فى أن يرضى كرامته وتقديره لنفسه ، الا أنه أحس بأشد الآمال جرأة تغزو رأسه ، وهو يلاحظ نظراتها ، التى كانت شيئا جديدا عليه ، غير مرتقب منه ، فى ذلك المساء . وراح قلبه يخفق فى عنف ، وأنفاسه تتتابع فى شهقات قصيرة .. **وخيل اليه أنه يرى «سانتينا» ، بجسدها النحيل المتنافر الملتف بقميصها الاخضر ، وبساقيها الرفيعتين فى جوربيها الاسودين ، مستلقية على سرير . وفيما كان يعبث بالطعام — الذى كان أمامه — راح يرمق الفتاة بنظرات خيل اليه أنها كانت مستخفية . ولكن جرأة هذه النظرات لم تتبد للفتاة وحدها — فى الواقع — وانما تكشفت للنزلاء الآخرين**

كذلك .. بل ولمديرة النزل ، وهى تقف وراء منضدتهـا ، فى الطرف المقابل له من القاعة !

وما أن حان دور توزيع ثالث أصناف طعام الوجبة ، حتى كان تبادل النظرات بينه وبين الفتاة على أشده .. بل أنهـا ابتسمت له ، فى تلك اللحظة ، ابتسامة مفضوحة ، مهيجة ، ذات طابع خاص واضح ، بينما كانت تومىء بطرفها نحو أمها ، وكأنها تقول له : « اننى أميل اليك ، ولكن .. حذار ، فان أمى هنا ! » . وما لبثت الخادمتان أن رفعتا الصحاف المتسخة ، ووضعتا صحافا نظيفة بدلا منها . وراى «جانماريا» ـ المديرة ترفع عن المنضدة صفحة(صينية)كبيرة، فتسلمها الى احدى الخادمتين .. تلك كانت صفحة الجبن ، التى توزع الفواكه بعدها ، ثم تنتهى الوجبة . غير أن الخادم الاخرى شغلت بطبق صغير ، لم تبد فيه سوى قطعة واحدة من الجبن ، حملتها وعبرت القاعة ، متجهة صوب « جانماريا » مباشرة !

* * *

• **وكانت** الخادم فتاة ريفية ساذجة ، ذات خدين ممتلئين موردين ، وقد اعتادت دائما أن تنفجر ضاحكة عند أول بادرة تدعو الى الضحك. ولعل هذا العجز الدائم عن كتمان الضحك، هو الذى شغل « جانماريا » عن الارتياب فى أمرها ، عندما شاهد وجهها يتألق ـ وهى تقدم له الجبن ـ وكأنما أضاءه مصباح ما بضوء طروب خبيث .. حتى ان يدها ـ ذات القفاز القطنى ـ أخفقت فى أن تحجب الضحك الذى أخذ ينفلت من فمها !

ولعل السكوت الذى حل محل صلصلة السكاكين والملاعق ـ فى قاعة المائدة ـ كان كفيلا بأن ينبهه ، لولا أنه كان مستغرقا فى انفعاله غير العادى ، وفى مئات الخطط المجنـونة التى كان يرسمها ، فلم يفطن الى السكون ولا الى الضحك ! .. وكان



الطبق يحتوى على شريحة واحدة من جبن « جروبير » المائل الى الصفرة . واقتطع « جانماريا » لنفسه شطرا ، فى شىء من العناء ، لان الجبن كان جافا ، متيبسا .. ثم نقل نصيبه الى طبقه ، وشرع فى التهامه فى شىء من البرم ، وكأنه ندم على أن أخذه ! .. **ذلك لانه لم يفطن – الا بعد أن مضغ القطعة الاولى برهة – الى المذاق المثير ، غير المستساغ ، الذى ملأ فمه .. كان مذاقا يغاير كل مذاق ممكن لاى نوع من الجبن ، وقد اختلط – فى البداية – بطعم الخبز ، ثم طغى عليه .. وكان له – فى الواقع – طعم الصابون !**

وكان « جانماريا » بعيد الذهن عن أن يرتاب فى أن يكون للطعم علاقة بالمادة التى كان يمضغها ، حتى انه ارتاب فى حاسة الذوق لديه،بالرغم من اضطراره الى أن يبصق ما كان فى فمه. فلما شعر بالحيرة والاشمئزاز ، شرع يفحص القطعة الباقية – من جبن « الجروبير » – بطرف سكينه . **ثم سمع صوت « سانتينا » ينبعث فى جلاء ، وفى مقاطع واضحة . « هل يروق لك مذاق الجبن ؟ » وكانت تسأله فى لهجة ماكرة ! .**

وكأنما كان سؤالها اشارة طال ارتقاب القوم اياها ، اذ انطلقت عاصفة من الضحك من كل مائدة .. كان الجميع يضحكون .. فكان العروسان الجديدان يضحكان بأدب ،ولكن

بانطلاق .. وكشفت ضحكات الانجليزيتين عن أسنانهما ، وسط تجعدات وجهيهما ، وخصلات شعرهما الاشيب .. أما الموظف الكهل - نصف الاعمى - فقد فغر فاه الاسود ، الخالى من الاسنان ، عن آخره ، واضطجع فى مقعده .. وراح « السنيور نيجرينى » و « سانتينا » وامها يضحكون من قلوبهم ، ولكن فى عطف وود .. ومع ذلك فان « جانماريا » - الذى احتقن وجهه ، وامتلأ فمه بالرغوة - ظل عاجزا عن ادراك جلية الامر . فنظر الى طبقه أولا ، ثم الى الوجوه الضاحكة ، وقال : « أجل ، ولكن .. ماذا جرى ؟ .. يبدو انه صابون ! »

فأجابت الفتاة وكأنها تطمئنه : « ماذا تعنى ؟ .. صابون ؟! .. لا ، طبعا .. انه جبن ! »

واذ ذاك ، صاح السنيور نيجرينى ، فى لهجته المألوفة ، التى كانت تنم عن دراية وسلطان : « لا ، بل هو صابون .. على أن كل مزاح طيب ، لا يمكن أن يدوم طويلا . لست أنصحك بتناول مزيد منه ، والا فلن يقدر لك البتة أن تقصى طعمه عن فمك ! »

غير أن « جانماريا » لم يكد يسمعه ، اذ ثارت عليه أمعاؤه ، وراح يلفظ فى منديله لعابا مثقلا بالرغوة ، ثم ملأ كوبا بالماء ، وأخذ يغسل فمه . وظل كل امرىء يضحك ، بينما كان الفتى يبصق الماء الممتزج بالصابون ، وهو يتأجج - طيلة الوقت - غضبا وخزيا . ودار بخلده أن هذا - ولا بد - كان السر فى أن « سانتينا » قد آثرته بكل هذه النظرات والابتسامات الكثيرة !

وشغل عن مشاعره المضطربة ، المثقلة بالغيظ والخزى ، بصوت هادىء وادع ، انبعث من المديرة التى غادرت مكانها - وراء المنضدة - فى تلك الاثناء ، وأقبلت نحوه ، وهى تتساءل : « منذا الذى دبر هذا المزاح السخيف ؟ .. اننى جد آسفة يا « سنيور بارجيجلى » ، فلا يسوءنك ماجرى ! .. من الذى دبر هذه الامزوحة ؟ .. أأنت يا ايدفيج ؟ »

وبصق « جانماريا » مزيدا من اللعاب الممتزج بالصابون، ثم رفع وجهه . وشرعت ايدفيج ـ الخادم ـ فى الدفاع عن نفسها ، أمام نظرات المديرة القاسية ، وقد احمر وجهها ، وراحت تقاوم الخوف والرغبة فى الضحك اللذين تورعاها : « الحقيقة هى ان الانسة رينالدى هى التى أعطتنى الجبن ، وقالت انها ستتحمل كافة العواقب .. فالذنب لم يكن ذنبى ! »

ورأى « جانماريا » بصر المديرة يتجه نحو « سانتينا » فى غضب مكبوت ـ فاذا الفتاة تعترف قائلة فى لهجة ودية مرحة : « اجل ، أنا التى أعطيتها الصابون .. لقد تقنا الى شىء من المزاح .. الى مايضحكنا .. وأعتقد أن السنيور بارجيجلى لن يستاء من هذا .. فنحن نعيش فى نزل واحد ، على أية حال ، فكأننا أسرة واحدة ! » .. والتفتت ـ وهى تتكلم ـ صوب « جانماريا » ، ووجهت اليه نظرة عذبة ، رقيقة ، ظاهرها البراءة .. نظرة طردت من قلبه الغشيم كل غيظ وغضب لكرامته !

فقال ، وهو لايزال يلفظ الصابون من فمه : « لست مستاء بالطبع .. ولكن ، ما أبغضه من مذاق ! .. ما أكره الصابون ! »

وعلق السنيور نيجرينى على كلماته قائلا : « طبعا .. الصابون هو الصابون ، مهما تكن الحال ! » . وكان الضحك قد بدأ يفتر ، فلما رأت المديرة تطور الامور ، عادت تعتذر الى « جانماريا » ، ووجهت الى الخادم بضع كلمات قاسية ، على سبيل التقريع ، فازداد وجه الفتاة احمرارا ، واشتد ضغط الضحك على صدرها .. ثم عبرت المديرة القاعة ، وعادت الى مكانها خلف المائدة ، وراحت ترقب القاعة فى وقار ، وهى مشدودة القامة .

* * *

• **على** أن « سانتينا » لم تقنع بالرد الذى غصب « جانماريا »

نفسه على قوله ، فقال بصوت ينضح بسلامة النية : « تعال وتناول فاكهتك معنا ، لكى تثبت انك غير مستاء .. أفسحى مكانا ، يا أماه ، للسنيور بارجيجلى ، فسوف يأتى ليتناول فاكهته معنا ! »

وتردد « جانماريا » ، وهو لا يزال محتقن الوجه خجلا ، وطعم الصابون فى فمه .. بيد أن الدعوة الودية أغرته ، فما كان ليقوى على رفضها .. ونهض فسار الى مائدة المرأتين ، وقد رفع رأسه ليخفى ارتباكه ، كتلميذ دعى الى منضدة استاذ الفصل ، فزادته نظرات زملائه الساخرة اضطرابا ! .. وبدا أن الجميع أقروا تصرفه .. وصفق السنيور نيجرينى قائلا فى تحبيذ : « مرحى ! .. هذه هى الروح ! .. هذا هو الخلق ! »

ولعل أم « سانتينا » كانت فى حوالى الخمسين من عمرها .. وكان أبرز معالم شكلها ، هو عدم التناسق بين رأسها الكبير المليح ، وجسمها القصير .. وهو تناقض كان يذكر المرء – اذا ماسارت – بتلك الرؤوس الضخمة التى تركب على أجساد ضئيلة ، فى مهرجانات « الكرنفال » !.. وعلى وجهها المنبسط القسمات ، المترهل البشرة ، تناثرت بقع غريبة الشكل ، حمراء وبيضاء ووردية ، وكأنما الغسيل الدائب لم يقو على محو الآثار اللاصقة المتخلفة عن تشرب بشرتها بمعاجين ومساحيق الزينة .. كذلك كانت عيناها الواسعتان السوداوان تلوحان وكأنهما غسلتا مرارا وتكرارا ، ومع ذلك فقد ظل جفناهما الكبيران ، مشوبين بنقاط سوداء صغيرة ، قامت كشهود لا تنمحى لما كسا هذين الجفنين من مساحيق .

ورحبت العجوز بجانماريا فى ود ، ودعته الى مقعد ، وهى تخلع عليه ابتسامة عريضة ، مسترضية ، كشفت عن أسنان قلائل – غير ناصعة البياض – الى جانب أسنان من ذهب

أصفر لامع تقادم عليه العهد . وقالت وهى ترمق ابنتها ـ خلال عدستى منظارها ـ بنظرة متوعدة : « لقد حاولت « سانتينا » أن تدبر أمزوحة عملية .. يالها من فتاة شقية ! .. اننى لاعجز عن أن أروضها على النظام ، فبينما تنهمك فى عمل ما ، تجدها مشغولة البال بالتفكير فى مائة عمل آخر . ولكنك ـ كما قال السنيور نيجرينى ـ قد أوتيت من الخلق مالا يجعلك تستاء وتتأثر .. الا قل لى ، ماالذى أتى بك الى روما ، يا سنيور براجيجلى ؟ ! .. هل جئت للدراسة ؟ »

فأجاب جانماريا فى استحياء ، وهو يتناول ثمرة اليوسفى من سلة الفاكهة الصغيرة ـ التى حملها معه من مائدته ـ وينهمك فى تقشيرها : « اننى أجتاز السنة الاولى فى دراسة القانون »

ـ اذن ، فأنت تعتزم أن تصبح محاميا ؟

فأجاب فى تحرج : « حسنا .. لا ، فى الواقع .. لسوف أغدو دبلوماسيا ! »

ـ آه ، ان الدبلوماسية مهنة بديعة .. لقد عرفت عددا من الدبلوماسيين .. وقد كان أحد أبناء عمومتى دبلوماسيا ، وهو يحمل لقب « رينالدى » مثلنا .. ترى هل قدر لك أن تصادفه ؟

ـ لا .. لم أصادفه ، ان شئت الحقيقة !

وتدخلت ابنتها فى الحديث متسائلة : « ماما .. ما الاسم الذى كان يحمله ذلك الشاب الذى التقينا به فى (أوشيا) فى العام الماضى ؟ .. لقد كان دبلوماسيا هو الآخر ! .. أفكان يدعى كوليونى ؟ »

فقالت الام مصححة : « بل بيرليونى .. لعلك صادفته فهو شاب طويل ، أسمر ، ذو لحية كلحية فاندايك ! »

واضطر «جانماريا» ـ وقد زايله بعد ارتياحه وانبساطه ـ

الى أن يقر آســـفا بأنه لم يتعرف الى هـذا البييرليونى ذى اللحية ، هو الآخر .. على ان جليد الكلفة لم يلبث أن تهشم، فأخذت الام تحدثه فى طلاقة – وبأسلوبها الذى كانت تصطنع فيه الترفع بدلال – ذاكرة انها وابنتها من أهل (روما) أصلا، وانهما لم تنزلا فى « البنسيون » الا منذ أشهر قلائل ، وان الطعام الذى يقدم النزلاء طيب ، ولكن الغرف معتمة ، غير مشمسة ، كما أن أسرة النوم بشعة .. وأردفت مؤكدة أنهما تعتزمان الانتقال الى « بنسيون » آخر .. وهكذا !

وكان « جانماريا » يلتهم قطع اليوسفى ، ويحاول أن يرد على حديث الام مااستطاع ، وعيناه لاتبرحان وجه «سانتينا». فقد عاودته الرغبات المضطربة التى كانت تراوده منذ وهلة ، وزادها حدة ان « سانتينا » – التى لم تنبس قط ببنت شفة، وانمـا ظلت تغض بصرها ، وهى تكسر بعض ثمـار البنـدق وتستخـرجها من لحائها – راحت طيلة الوقت تضغط قدمه بطرف حذائها ! .. ولقد أثار هذا الاتصال سربا من الامـانى والرؤى راح يحوم فى ذهن الفتى . فأيقن من النصر ، ولـكنه لم يستطع – برغم ذلك – أن يصدق خياله وهو يصـور له جسد « سانتينا » – النحيل الدافىء – ملتصـقا بجسـده ، وذراعيها حوله ، تحت الاغطية البـاردة ، فى سرير من أسرة « البنسيون » الضخمة ، ذات الازيز !

وكان أشـد ماحيره من تصرفات الفتاة ، هـو ذلك الدور المزدوج الذى راحت تؤديه بحـــذق وخبرة .. كان وجهها جامدا ، لاينم عن شىء البتة ، بينما بدت قدمها – التى انهمكت فى العبث ، تحت المائدة – كأداة للاثارة ، لاقبل له بمقاومتها .. بل انها كانت كمخلب الشيطان فى التحريض ! .. وكانت هذه – كما تبين – أول مغامرة غرامية فى حياته ، فأحس بنشوة ، وشعر بحواسه مشتتة ، وكأنه جرع دفعة واحدة ، كأسا من

نبيذ معتق قوى ، بعد صيام طويل !

* * *

• **وسمع** « جانماريا » صوتا معسولا ينبعث من جواره ، وكأنه ينساب من ضباب كثيف : « اسمح لى أن أقدم نفسى .. ان اسمى نيجرينى » . ورأى الشاب أمام عينيه يدا سمراء ، كثيفة الشعر ، يحيط ببنصرها خاتم ذهبى ضخم ذو حجر ماسى .. وأسرع مجيبا : « وأنا أدعى براجيجلى » .. وهب مستويا على قدميه ، وصافح اليد الممتدة .. ومع ذلك ، فان مودة نيجرينى لم تستهو «جانماريا» كما كانت تستهويه مودة أم «سانتينا» ، لسبب لم يدر كنهه . وكانت لهذا الـ «نيجرينى» بشرة تميل الى السمرة .. سمرة تمتزج فيها الصفرة بلون الزيتون .. لون أولئك الذين يعانون من أكبادهم . بينما كانت عيناه فى اسوداد الفحم ، يحيط بانسانيهما بياض مشوب بالحمرة . أما رأسه فكان مستديرا أصلع ، وكانت قسمات وجهه دقيقة مصقولة . كذلك لاحظ « جانماريا » أن أذنه كانت صغيرة الحجم ، مستديرة ، متناسقة الشكل ، على هيئة « سرة » البطن .. وكان هذا التشبيه الاخير ــ بالذات ــ كفيلا بأن يملأ « جانماريا » بشعور قوى من التقزز ، لم يكن له مايبرره . وكان نيجرينى ــ ببشرته السمراء الضاربة الى الخضرة ــ يرتدى حلة ذات لون بنى خفيف ، مسوقا فى ذلك باحدى النزوات التى تشاهد فى ذوق ذوى البشرات الملونة !

وجلس الرجل فى غير تكلف ، ثم أخرج من الجيب الخلفى لبنطلونه ، علبة سجائر ذهبية طويلة ، رفيعة ، ضغط على زر بها فانفتحت ، وقدمها الى الثلاثة الذين كانوا يجلسون الى المائدة، فتناولت كل من المرأتين سيجارة، وحذا «جانماريا» حذوهما . وما لبثت أم « سانتينا » أن التفتت الى القادم الجديد ، وقالت : « لقد جاء الكونت براجيجلى الى روما ليعد

نفسه للدبلوماسية ...»

وأجفل «جانماريا» ، فقد كان يتوقع ـ بلا مبرر ـ مجاملة غير هذه ، من أم « سانتينا » . أما « نيجريني » ، فقد تلقى ـ من جانبه ـ هذا النبأ في غير اكتراث ، بل في برود عدائي ، كما خيل للفتى . اذ أنه سرعان ماقال مصححا ما ذكرته السيدة ، وهو ينفث الدخان من طاقتي أنفه ، ويتأمل الحجرة بعينين متراخيتي الجفنين ، باديتي الملل : « أو بالاحرى .. انه يأمل أن يمارس الدبلوماسية . فان توفيقه في هذا مسألة أخرى ! »

فتساءل جانماريا ، وقد امتلأ بالحقد نحو غريمه ذي الكبد المعتلة : « ما الذي تعنيه »

فأجاب الآخر في برود : « أعني أن الشبان الاذكياء الذين ينتمون الى أسرات طيبة،على شاكلتك يا عزيزي براجيجلي ، والذين يبادرك الواحد منهم ـ بمجرد أن يلتقي بك ـ قائلا : « لسوف أصبح دبلوماسيا » .. هذا النمط من الشباب كثرة، تجدهم على كل شجرة. ولكن.. كم منهم يلتحق بهذه المهنة حقا ، وكم منهم ينتهي الى أن يكون مجرد موظف كتابي في احدى الوزارات التافهة، ستمائة أو ثمانمائة ليرة في الشهر ؟.. .. هذا هو الذي أقصده ! »

فحملق « جانماريا » في « نيجريني » ، وهو مأخوذ بمثل هذه السماجة غير المرتقبة ، ثم قال في النهاية : « ولكني لم آت الى روما لاصبح موظفا كتابيا ، وانما جئت لاشق طريقي الى الوسط الدبلوماسي ، وسأحرص على أن أصل اليه ! »

وقال الآخر في لهجة لاذعة : « أتمنى لك التوفيق من كل قلبي . ولكنك ولا ريب تدرك مايلزمك لكي تنجح .. أليس كذلك ؟ .. أم أنك لم تؤت أية فكرة ؟ » . فتساءل الفتى مأخوذا : « ماذا ؟ »

فقال نيجريني : « هذا » .. وأشار بيده في حركة ذات

معنى ، وهو يفرك سبابة يده اليمنى بابهامها : « هل أوتيت هذا .. النقود .. هذا السلاح الدنس ؟ .. ذلك لانه من الخير لك أن تتخلى عن فكرة الدبلوماسية لفورك ، اذا لم تكن قد أوتيت مالا ! »

وتضرج وجه « جانماريا » حنقا واستنكارا ، وهز رأسه ، وقال فى تحرج كمن يشعر بأنه ماكان ينبغى أن يدلى بهذا القول : « اننا أغنياء .. فنحن من أصحاب الاراضى ، كما اننا نمتلك بيوتا فى فلورنسا »

فهب نيجرينى على قدميه فجأة ، وقال ضاحكا : « فى هذه الحال .. لامجال لمزيد من القول ، فى هذا الصدد يا عزيزى الكونت براجيجلى .. لقد ختمت على شفتى بردك المفحم !.. لن أفوه بكلمة أخرى ! » . وراح يكرر : « لن أفوه بكلمة أخرى ! » ، وهو يدس يدا فى أحد جيوب سرواله ، وينفث الدخان من فمه ، ويسير جيئة وذهابا أمام المائدة .

وهنا نهضت أم « سانتينا » ، التى كانت قد لاذت بالصمت خلال المبارزة الشفهية بين « جانماريا » و « نيجرينى » ، ثم قالت بجفاء : « من الواضح ، يانيجرينى ، انك لاتفقه ماتقول ، فان أغبى الناس يعرف أن آل براجيجلى من أغنى أسرات (أريتسو) . والآن ، ما رأيكم فى الانصراف ؟.. يبدو أن كل امرىء قد انصرف ! »

واتخذوا طريقهم مغادرين قاعة الطعام ، التى كانت قد خلت من النزلاء .. وكانت أم « سانتينا » فى المقدمة مع « نيجرينى » ، الذى لم ينفك عن التهامس معها .. وتبعهما « جانماريا » و « سانتينا »

* * *

• **على** انهم لم يكادوا يبلغون الباب ، حتى تعمدت « سانتينا » ـ التى لم تكن قد نبست ببنت شفة ـ أن تجذب « جانماريا »

الى الخلف ، وهى تلقى نظرة حذرة نحو الردهة المعتمة التى كانت أمها ونيجرينى يسيران فيها – جنبا الى جنب – فى خطى بطيئة ، وهمست فى لهجة مفعمة بالغموض : « تعال لحظة الى غرفتى ، فانى أود أن أعطيك شيئا ! »

ولم يسع « جانماريا » – فى غمرة اضطرابه العاطفى – سوى أن يطرق برأسه موافقا . واذ ذاك رمقته الفتاة بنظرة أخرى ، حافلة بالاغراء ، من مقلتيها البارزتين النديتين ، ثم هزت ثوبها فأرسل حولها حفيفا ، وتقدمته الى الردهة . وكانت أمها ونيجرينى قد غابا – فى تلك الاثناء – عن الانظار .. ومن قاعة الجلوس ، كانت ثمة موسيقى راقصة تنبعث من المذياع .

وانطلقت « سانتينا » تتقدم الفتى ، وهى تلتفت من آن الى لآخر ، رافعة سبابتها الى شفتيها محذرة ، وقادته الى غرفتها ، ثم ألقت نظرة خلفها – من قبيل الاحتراس – وفتحت الباب ، وجذبت « جانماريا » الى الظلام .. وقالت فى صوت خافت ، وهى تضىء المصباح الاوسط : « لو اكتشفت أمى الامر ، لثار غضبها ! »

وكانت الغرفة على الحال التى رآها « جانماريا » عليه من قبل . وشعر الفتى بموجة عابرة من الاضطراب الحائر ، اذ لمح الجوارب والاقمصة المتهدلة على الحاجز . ثم سار – بحركة آلية – الى المنضدة ، وتناول كتابا كان عليها .. كتابا مثنى الاطراف ، ذا غلاف لامع .. قصة بوليسية !

وكانت « سانتينا » قد اختفت – فى تلك الاثناء – وراء الحاجز ، اذ دلفت الى الشطر الآخر من الحجرة . ثم لم تلبث أن عادت – فى الحال – وفى يدها احدى زهور « الجاردينيا » ، وقد لف عنقها فى ورق فضى . وقالت بصوتها الاجش ، وهى تقترب من « جانماريا » فى لهفة : « لقد تلقيت سلة من هذه الزهور ، من شاب مزعج لا يفتأ يحوم حولى .. على أننى أحب

أن تأخذ هذه ، لاشعر أنك لم تعد مستاء من مزحة الصابون. لاسيما واننى أميل اليك ، فى حين اننى لا أطيق ذلك الشاب الآخر . لا ، مهلا .. لسوف أثبتها بنفسى فى عروة سترتك !»

وبدون أن تكف عن الثرثرة ، وقفت على أصابع قدميها ، ودفعت الزهرة فى عروة سترة « جانماريا » . ومالت بكل جسمها - وهى تفعل ذلك - نحو جسم الفتى ، فتصاعد الى أنفه عبير قوى من رائحة عرقها واريج اللحم المعطر ! .. واستولى العبير على حواسه ، كما استهواه قرب بدنها من بدنه ، فندت منه حركة من تلك الحركات التى تنبعث عن السعادة - من ناحية - وعن الذعر ، من ناحية أخرى .. تلك الحركات التى تصدر - من تلقاء نفسها - أثناء النوبات التى تلم بالمرء أحيانا ، وهو نائم ، فتجعله يصرخ أو يحرك أطرافه بقوة.. ورفع ذراعه ، ثم شدها حول الخصر النحيل ، البادى العظام ، فجذب الفتاة حتى ألصقها به . وازدادت هى به التصاقا - بحجة تنسم عبير الزهرة - ثم رفعت رأسها ، كالمأخوذة بنشوة حالمة ، وطوقت عنقه بذراعيها .. وغابا فى قبلة !

وما أن افترقا ، حتى دفعته الفتاة عنها ، وطوفت ببصرها فى الحجرة ، وقالت : « أواه ، يا الهى ! ما الذى فعلته ؟ .. ان



أمى قادمة .. ما الذى أقدمت عليه ؟ .. لو أن أمى اكتشفت الامر ! » . ورفعت يدها الى جبينه ، وقالت وهى تدفعه الى خارج الحجرة : « أسرع بالخروج » .. ورددت بصوت خافت ، وهى تخرج وراءه الى الردهة ، مغلقة الباب : «أسرع، وفارقنى ! » . وكان « جانماريا » من الارتباك بحيث انه لم يفقه لانفعالها سببا ، فهتف فى رجاء : « لا أحد هناك .. لنعد الى غرفتك لحظة .. لحظة واحدة فقط ... » !

وظلا يتجادلان همسا ، فى الردهة المعتمة ، وقد التصق كل منهما بالآخر ، وهما يحرصان على أن لاتصدر عنهما أية حركة . ثم بدا الجد على محياها ، ورفعت أصبعا الى شفتيها محذرة ، وقد لاح عليها انها تفكر . وما لبثت ان قالت فى النهاية : **« اصغ الى ! .. ان عودتنا الى الحجرة مستحيلة ، اذ أن أمى قد تأتى ، فتكون الطامة الكبرى على ! .. اسمع ، لسوف أذهب مع أمى ونيجرينى الى حفلة راقصة .. غير اننى سأوافيك فى حجرتك لدقيقة ، عندما أعود . أيرضيك هذا ؟ .. ولكن ، تذكر أن تترك باب حجرتك مواربا ، حتى أستطيع أن أتسلل دون أن أحدث اى صوت . هل اتفقنا ؟ »**

وقبل أن يفيق « جانماريا » من ذهوله وغبطته ، ويجد وقتا للرد ، كانت قد هرعت مبتعدة ، ودارت مع انعراج الردهة ، فغابت عن نظره !

* * *

• **ماكان** جانماريا ليصدق قط ، او انه قيل له ـ قبل ذلك بيوم واحد ـ ان التباريح التى تنشأ عن ارجاء امتلاك شىء طال الشوق اليه ، قد تشتد قسوة حتى يصبح من العسر احتمالها .. بيد انه احس بمجرد انغابت «سانتينا» عن بصره ـ أن التفكير فى الساعتين أو الثلاث ، التى كانت تفصل بينه وبين موعد عودتها ، قد راح يهاجمه فجأة ،

فيحطم صبره فى عنف أهوج ، حتى لقد شعر بأنه لن يقوى على الصمود للوعة الانتظار طيلة هذه الفترة .

وقال لنفسه ، وهو يمضى فى الردهة : « ليتنى أستطيع أن أكف عن الشعور والتفكير ، وأحظى بالنوم فلا أستيقظ ثانية، الا فى لحظة دخول سانتينا الى غرفتى ! » . ثم أردف لتوه : « ولكن هذا مجرد كلام .. ترى ما الذى أملك أن أفعله ، لاقتل الوقت ؟ » . وراح يشير بيديه ، فى أسى واستياء ،وهو يسير فى الردهة ، حتى بلغ البهو الذى كان — اذ ذاك — قد أقفر من النزلاء ، وران عليه صمت الليل الناعس ، ولم يبد تحت ضوئه الخافت سوى مشجب المعاطف وقد خلا من حمله .

وهم بأن يعود الى حجرته ، لولا أن استرعى انتباهه باب مغلق ، كتبت عليه كلمة « المكتب » ، فهتف لنفسه : « هذه فكرة طيبة .. لقد تلقيت اليوم قائمة حساب النزل، فلأدخل لادفع المبلغ ! » . **وخطر له أن الساعات الاليمة الفظيعة قد تمضى سراعا ، اذا استطاع أن يشغل نفسه بعدد من المهام البسيطة . لذلك أخرج قائمة الحساب من جيبه ، وطرق الباب . وسرعان ماوافاه صوت عذب ، يجيب فى نغمة كأنها الشدو : « ادخل ! » .. ودفع الباب ، وولج الحجرة !**

واسترعت الحجرة انتباهه فى البداية .. كانت صغيرة منخفضة السقف .. أشبه بجحر ذى سقف مائل ، ولكنها كانت على النقيض من حجرات النزل الاخرى ، مؤثثة بمتاع فخم ذى طابع خاص . فكانت النافذة تتوارى خلف ستائر بهيجة الشكل ، وقد قامت فى أحد الاركان أريكة ذات كساء مزين بالورود ، تناثرت عليها وسائد زاهية الالوان .. وكانت ثمة مقاعد مريحة حول المدفأة التى بدت فيها بقايا كتل من الخشب المتقد ، وقد بدأت تتحول الى رماد .. وكانت المديرة تجلس الى مكتب بجوار المدفأة ، مولية ظهرها شطر الباب .

وشعر « جانماريا » ـ وهو يقف ممسكا بقائمة الحساب ـ بشعور من الارتياح ، مازجه شعور بالتطفل والاقتحام ، وكأنه يشق طريقه الى مكان خاص لايجوز للأغراب أن يطأوه .. وما أن خطا خطوتين ، فوق البساط الوثير ، حتى ألفى نفسه الى جوار المرأة ، نظرا لصغر حجم الحجرة !

وكانت تجلس على مقعد منخفض ، بلا مسند ، لم يكد يتسع لردفيها ، وقد استقرت أمامها ـ على القماش الاخضر الذى كان يكسو المكتب ـ أدوات الكتابة ، فى تنسيق وعناية .. وكانت المرأة تقرأ ـ فى لحظة دخوله ـ فى كتاب مفتوح ، استقر على غلاف من المشمع الاسود، وقد استقرت على حافة منفضة السجاير ، سيجارة أوقدت لتوها

وشرع يقول فى استحياء : « انما جئت .. لادفع حسابى .. »

وكانت المرأة قد استدارت ، عند دخوله . وبينما كان يمد اليها قائمة الحساب ، ازدادت استدارة حتى أصبحت تواجهه ، وغدا فى وسعه أن يبصر العيب الوحيد ـ اذا جاز أن نسميه كذلك ـ فى وجهها الشاحب ، البارد ، المتناسق القسمات .. أن يبصر الانف الضخم ، البارز ، وان صيغ على شكل يوحى بالنبل والشمم !

وتناولت منه الورقة مبتسمة ، وهى تقول : « ولكن .. ليس ثمة داع للعجلة ، فأنت لم تقض هنا سوى أسبوع واحد .. لا تمكث واقفا ، بل اجلس ! »

وجلس جانماريا فى الاريكة المنخفضة ، وهو محرج . وما ان أحس بها تحته ، حتى جال بخاطره انها ـ ولا بد ـ من تلك الارائك التى يمكن تحويلها ـ بالليل ـ الى سرير ـ اذا ما أزيلت الوسائد والاغطية عنها . فلما رأى المديرة تحنى رأسها الجميل ، ذا الشعر الاسود ، على قائمة الحساب ، لتراجع أرقامها ـ وهى ممسكة بقلم من الرصاص ـ لم يتمالك أن يتمثل فى خياله هذه المرأة ، عندما تتأهب لكى تندس فى

فراشها ــ فى تلك الحجرة الدافئة ، ذات السقف المنخفض ــ وقد نضت عنها ثيابها ، فبدا جسمها الضخم البض عاريا !..

على أنه لم ير فى هذه الخواطر سوى جموح من نتاج الفضول المجرد ، نظرا لما كانت توحيه اليه شخصية المرأة من عفة وبعد عن النزوات !

وما ان فرغت المديرة من مراجعة الحساب ، حتى فتحت أحد أدراج مكتبها ، وأخرجت خاتما طبعت به كلمة « دفعت القيمة » على القائمة . وكان « جانماريا » يراقبها ــ فى تلك الاثناء ــ بالرغم من تخيلاته ، فأخرج حافظة نقوده من جيبه، وتناول منها ورقة مالية من فئة الخمسماية ليرة ، أسلمها اياها . فرفعتها نحو النور لتفحصها بنظرة سريعة ، حذرة ، ثم فتحت درجا آخر تناولت منه بضع ورقات مالية من فئات صغيرة ، وكيسا مليئا بالعملة الفضية ، فتحته وتناولت منه بعض القطع ، فدفعت بها الى « جانماريا »

وقالت له : « هاك بقية المبلغ ياسنيور براجيجلى .. وهذه قائمة الحساب !.. على اننى أكرر لك انه لم يكن ثمة مايدعوك الى هذا التعجل فى الدفع ، لاسيما وانك لم تتسلم القائمة الا هذا الصباح ! »

وصدرت عباراتها فى لهجة أوحت اليه بأنها انما كانت تريد أن تقول : « لست أتعجلك الانصراف . فاذا شئت أن تقضى بعض الوقت فى الحديث ، فعلى الرحب والسعة .. » أو هذا ماخيل لجانماريا ، على الاقل ! .. ولم يكن حريصا ــ فى الواقع ــ على صحبة المديرة ، ولكنه رحب بهذه الدعوة المستترة ، اذ فكر فى الساعات التى كان مضطرا ان يحتملها فى انتظار عودة « سانتينا » .

لذلك مكث فى جلسته ، ملتمسا لنفسه العذر ، ذاكرا وحشة الوحدة . ثم سأل المرأة عما اذا كان من المرتقب أن يستقبل النزل ضيوفا جددا . فاستدارت فى جلستها حتى باتت تواجهه

تماما ، ووضعت احدى ساقيها القويتين على الاخـرى ، ثم رفعت منديلا صغيرا الى أنفها الكبير . فتمخطت فى رفق ودون صوت ، وكأنها آسفة لاضطرارها الى ذلك ! .. ثم أجابت عن سؤاله ، بأن حظ « البنسيون » فى ذلك العام لم يكن كحظه فى سابقه الذى امتاز بحفلات العيد الفضى . فقد اجتـذبت هذه الحفـلات الى روما خلقا كثيرا ، فـكان النزل مزدحمـا باستمرار

* * *

• **ولم** تلبث المديرة ، أن تساءلت : « وما الذى تعتزمه أنت يا سنيور براجيجلى ؟ .. هل تنتوى الاقامة معنا زمنا ؟ »

وسرت فى أطراف الفتى رعشة لم يملك لها دفعا ، اذ تمثلت لعينى خاطره فجأة ، صورة وجه «سانتينا» ـ الطافح بالشهوة ـ وهو يتطاول نحوه ، مقربا اليه شفتيه .. ولكن المديرة أخطأت فهم هذه الرعشة الشبقة ، وظنتها صادرة عن شعور بالبرد ، فسعت الى المدفأة ، وركعت على البساط فى هدوء .. وبجلال لا يبارى ، مضت ـ وهى سادرة فى الكلام ـ تقلب الجمرات نصف الخابية ، وتطعم اللهب بعض الاعواد الرفيعة لتذكى وقدته . ثم نهضت

ـ وأين تقيم أسرتك يا سنيور براجيجلى ؟

ـ ان والدى ميت .. أما أمى وأخـوتى ، فيقيمـون فى (أريتسو) .

وقالت وهى تجلس ثانية على مقعدها المنخفض ، المجرد من المسند : « آه ، اذن فوالدك قد مات ؟ . انتى آسفة من أجلك ، ولكنى أشد رثاء لامك المسكينة ، التى خلفها ، وهى بعد شابة ، تحمل عبء أطفال تعنى بتربيتهم ، أانت أكبر أولادها ؟ » .

فأجاب : « **أجل** »

وتأملته لحظة دون أن تتفوه بكلمة ، ثم قالت فى أسى ، وهى

تهز رأسها : « ليس فى وسع أحد منا أن يقدر مدى الحزن الذى تستشعره أمك لبعدك عنها ! »

وشعر « جانماريا » باضطراب ، فلم يدر كيف يجيب . بيد أن صورة « سانتينا » عادت تطفو أمام عينيه ، فارتجف مرة أخرى ، بالرغم منه . ولاحظت المديرة ارتجافه فى هذه المرة أيضا ، فقالت : « لا بد أنك متوعك » . وبحركة جد طبيعيــة وعادية ، نهضت فوضعت يدها الطويلة الرقيقــة الرطبة على جبينه ، وهى تقول : « معذرة اذ أضع يدى على جبينك .. ولـكنك مرتفع الحــرارة » .. فردد جانمــاريا عبارتها : « مرتفع الحرارة ؟ ! » . وأحس أن حرارته كانت مرتفعة فعلا ، كأنما نبهته برودة يد المرأة الى النار المضطرمة فى جوفه !

وقالت المرأة : « أجل . . فى رأيى أنا ، على الاقل » . وسارت فى هدوء الى المكتب ، ففتحت أحد أدراجه ، وأخرجت مقياسا للحرارة « تيرمومتر » ، وشرعت تهزه . وما ان وقع بصر «جانماريا» على «الترمومتر» ، حتى شعر بأن قلقها الاسوى وسخونته المحمومة ليسا سوى وهم فارغ ، فبادر الى النهوض ، واستوى على قدميه قائلا : « لا ، أبدا .. لا تجشمى نفسك عناء قياس حرارتى . قد أكون منحرف المزاج بعض الشىء ، ولكن حالى لا ترقى الى درجة المرض .. وقد يكون من الخير لى أن آوى الى فراشى ، فأستغرق فى النوم طيلة الليــل .. اننى أوقن من أن هذا كفيل بأن يردنى الى حالى الطبيعية »

وجمدت المديرة فى مكانها ، وهى ممسكة بمقياس الحرارة ، وراحت تنظر اليه ، وقد انعــكست على عينيهــا السوداوين مظاهر خيبة الرجاء ، وبدا أنها كانت تحاول كبح استيائها . وقالت أخيرا : « لك ما شئت .. أجل ، يحسن بك أن تأوى الى فراشك فعلا . واذا لم يكن فى هذا ما يضايقك ، فسوف آتيك بعد نصف ساعة ، لاحضر لك كوبا من عصــير الليمون

الدافىء . فهذا هو كل ما أنت بحاجة اليه . وتستطيع اذ ذاك أن تنبئنى بأى شىء تكون راغبا فيه ! »

وتسلل « جانماريا » فى ارتباك ، نحو الباب ، وهو يقول : « أشكرك أجزل الشكر . ان هذا هو كل ما أحتاج اليه فعلا . أشكرك كثيرا » . وبين الشكر والانحناء،وجد نفسه ــ أخيرا ــ خارج الغرفة الصغيرة الدافئة فدلف الى البهو الفسيح البارد !.. واذ ذاك ، قال لنفسه : « يا للسماء ! .. يا لها من مضايقة مملة ! »

وبلغ غرفته ، وهو مثقل الاطراف ، فأوصد بابها خلفه ، وتنهد بارتياح ، قائلا : « انها امرأة طيبة ، ورحيمة كريمة فى الواقع،ولكنها مسرفة فى عطفها .. كأنى بها كانت على استعداد لان تخلع عنى ثيابى ، وتدسنى فى فراشى ، كما لو أننى كنت طفلا ! » . وشعر بارتياح اذ تخلص من اشفاقها ، وان أحس بلذعة من الندم ، لان المرأة كانت عارمة اللطف ، ولانه ــ بعد أن فارقها ــ لم يعد يدرى كيف يقضى الساعتين اللتين كانتا لا تزالان تفصلان بينه وبين منتصف الليل !

وتولاه شعور حاد بنفاد الصبر ، فشرع يذرع غرفته . ثم وقع بصره على سجل برنامجه الدراسى فى الجامعة ، وقد تناثر على الارض بالقرب من الاريكة ، فطافت بذهنه فكرة أحس لها بمرارة .. فكرة قضاء الوقت فى استذكار « مدخل القانون الدولى » . **وجمع الاوراق ، واستلقى على الاريكة ، ثم شرع فى القراءة . غير أنه لم يفقه كلمة واحدة ، بل وجد نفسه مضطرا الى أن يعيد قراءة كل عبارة مرات ومرات ، حتى يتبين معناها .. فقد كانت صورة « سانتينا » تقفز أمام عينيه باستمرار ، بالرغم من أنه كان يمضى فى القراءة بعناء !** وبعد أن قضى حوالى نصف ساعة فى هذا الاستذكار العجيب ، نبهه صرير انبعث من خلفه ، الى أن الباب كان يفتح !

وقال لنفسه : « لا بد أن المديرة قد أقبلت تحمل عصير

الليمون الدافىء » .. وشعر بضيق ، وان أسرع فى دلال ، لم يكد يفطن اليه ـ دلال الفتى الذى يريد أن يشعر بالغير يعنون به ويرعونه ـ فأشعل سيجارة ، دون أن يرفع عينيه عن الاوراق ، ودون أن يتحرك من اضطجاعته . على أنه بدلا من أن يرى قوام المديرة الطويل ، المسربل بالسواد ، أحس بيدين تغطيان عينيه ، وسمع صوتا أجش مألوفا ، يقول : « خمن .. من أكون ؟ » .



وهتف فى سره : « سانتينا ! » .. وراحت عروقه تنتفض، ثم ألقى سيجارته ، وقفز منتصبا على قدميه ، فاذا «سانتينا» تقف أمامه ، وقد انحنى جسمها النحيل الى الوراء ، وهى تقهقه ضاحكة !

وقالت : « يجب أن تعترف بأنك لم تكن تتوقع أن أعود بمثل هذه السرعة .. أليس كذلك يا عزيزى ؟ » . ثم اصطنعت شيئا من الجد ، واستأنفت تقول : « على أننى قلت لماما أننى متوعكة المزاج ، وسألت صديقا أن يرافقنى الى هنا .. نفس الشاب الذى ذكرت لك أنه أهدانى زهور « الجاردينيا » ! .. وكم عانيت فى سبيل التخلص من صحبته ! .. لقد أبى أن يصدق أنني كنت متوعكة ، فشاء أن يفرض نفسه فرضا ،وأن

يدخل النزل معى .. ياله من وحش صغير ! »

* * *

• **ولكن** « جانماريا » كان قد كف عن الانصات لها ،وطوق خصرها بذراعه ، وراح يحاول أن يحملها على الجلوس الى جواره ، على الاريكة .. بينما كانت تهيب به ، وهى ترمق الباب بنظرات خائفة : « ليس بهذه السرعة ! » .. ثم انصاعت له فجلست ، وتركته يطبع على شفتيها قبلة .. وكانت قبلة طويلة ! .. ومن شفتيها ، انحدر بشفتيه الى عنقها .. ومن عنقها انساب الى منكبيها . **ثم شرع ينحى الشريط الذى كان يحيط بكتفيها ، مثبتا ثوبها حول جسمها.ولكن الفتاة تحولت فى تلك اللحظة ـ وعلى غير توقع البتة ـ فراحت تقاوم ، وتهز رأسها ، وهى تئن وتزمجر بصوت أجش ، ووعى شارد !**

واستطاعت أخيرا أن تدفعه عنها ، ثم قالت فى صوت متهدج، متقطع : « لا ، لا .. من الخير أن لا نفعل ! » .. وتمالكت أنفاسها ، لتمضى قائلة : « انك لست على شاكلة الآخرين .انك تختلف عنهم ، وانى لموقنة من هذا.لا ، لا أستطيع..لا أستطيع .. محال ! » . فتراجع « جانماريا » ، وأخذ يحملق فيها ، وقد استولت عليه دهشة حائرة

ـ ماذا تعنين ؟ .. ما الذى دهاك ؟ .. لماذا ؟

ـ لو أنك عرفت السبب ، لما نظرت الى وجهى ثانية قط !

وما أن فاهت بهذه الكلمات ، حتى دفنت وجهها فى راحتيها وراحت تهز رأسها ، وهى تقول فى أنين : « لا أستطيع .. لا أستطيع ! »

ـ ولكن ، لماذا ؟ .. وما الذى لا تستطيعينه ؟

ـ ليس بوسعى أن أجيبك .. لا أستطيع !

وفجأة ، حزم « جانماريا » رأيه ، وأمسك بذراعها بقوة ، ثم هزها بعنف ، وهو يقول : « صه ! .. نبئينى بما هناك ..

ما المسألة ؟ وما هذا الذى لا تستطيعين أن تقوليه ؟ »

ــ لا أستطيع ! لا أستطيع .. دعنى .. لا أستطيع !

فقال وهو يهزها بعنف أشد : « بل لا بد من أن تجيبى بجلاء ، وفى الحال ! » . وعلى حين غرة ، بدت الفتاة وكأنها استيقظت لتوها من كابوس ، ولم تسيطر بعد على حواسها وتتبين أنها غادرت الحلم وارتدت الى عالم الواقع .. فقد سكتت ، وسكنت ، وتولاها الوجوم ، وراحت تطيل التحديق فى « جانماريا » .. وما لبثت أن قالت ـ فى النهاية ـ وهى بعد مترددة : **« ولكنك ستكرهنى اذا ما صارحتك ! »**

فقال « جانماريا » مطمئنا ، وهو يضع يده على قلبه : « لا تحملى هما .. لن أكرهك ، مهما يكن الامر ! »

وعاودت أنينها ، وهى تقول : « ولكننى أدرك أنك ستكرهنى .. ستكرهنى ! »

ــ ولكننى وعدتك !

ــ حقا .. ولكننى أوقن ـ برغم ذلك ـ من أنك ستكرهنى!

وكانا يجلسان على الاريكة جنبا الى جنب ، وثوب « سانتينا » ـ الذى كان طويلا ، واسعا ـ يغطى بأطوائه ساق « جانماريا » اليسرى ، ثم يتهدل على الارض . أما قدماها فكانتا مستقرتين على الاوراق المتناثرة على الارض . وفى اللحظة التى كان « جانماريا » يحاول فيها جاهدا أن يحتوى الفتاة بين ذراعيه ، وأن يصل بالقبلات والملاطفات ما أخفق فى بلوغه بالعنف .. فى اللحظة التى كانت فيها شفتاه المشوقتان توشكان أن تلتقيا بشفتيها ، اذا بطرقتين واضحتين على الباب .

وانتزعت « سانتينا » نفسها من ذراعيه بسرعة ، وقفزت واقفة على قدميها ، وهتفت : « انها أمى .. لسوف تكتشف أمرى ، وتوسعنى تقريعا . لقد ضاع كل أمل ! » . وراحت تثب فى الغرفة ، وكأنما أصيبت بمس من الخبل . ولكن « جانماريا » تذكر وعد مديرة النزل ، فهمس يطمئنها : « انها

ليست أمك ، وانما مديرة النزل »

ــ وماذا عساها تبغى .. هــذه المرأة الفظيعة ، الثقيلة الظل ؟ !

وأسرع « جانماريا » ، ففتح بابى صوان الثياب الضخم ، الخاوى ، وقال فى لهجة آمرة : « ادخلى هنا ! » .. وترددت « سانتينا » .. وودت أن تحتج وأن تبدى الغضب ، ولكن « جانماريا » بدا ــ فى هذه المرة ــ حازماً ، قوى السلطان . فرفعها من تحت ابطيها ، ودفع بجسدها الى داخل الصوان ، ثم أغلق الباب،وأدار المفتاح.ثم سار الى باب الحجرة ففتحه !

وصح حدسه ، فقد كانت القادمة هى المديرة ، وقد حملت فى يدها طبقا ، استقر عليه كوب ملىء بعصير الليمون .

وقالت : « لقد أحضرت لك عصير الليمون ! » .. ودخلت، فسارت ــ دون أن يكون لوقع قدميها صوت ــ ووضعت الكوب على المنضدة المجاورة للسرير .. ووقفت بجانب السرير ، وسألته : « أفأنت بحاجة الى شىء آخر ؟ » .. ولم تكن تنظر اليه ، وانما راح بصرها يطوف بالحجرة . وتتبع « جانماريا » النظرات البطيئة ، الوادعة ، التى انسابت من تلكما العينين ، فلم يلبث أن فطن الى أنها راحت تحوم باصرار حول الاريكة .

ومن ثم ، فقد راح ــ هو الآخر ــ ينظر فى ذلك الاتجاه ، واذا به يلمح وشاح « سانتينا » الوردى الصغير ، وقد ترك على الاوراق المبعثرة على الارض.واحمر وجهه ، وهو يقول لنفسه فى السر : « يالنكبة ! » .. ولم يدر الى أين يوجه بصره ، وهو يقول مجيبا عن سؤال المديرة : « لا .. لست بحاجة الى شىء، فشكرا ! »

ولم تبد المرأة ما ينم عن أنها لاحظت وجود الوشاح ، بل تحولت نحو السرير ، وهى تتساءل : « ألديك أغطية كافية ؟» وبدون أن تنحنى ، راحت تتلمس بيديها ما بين أغطية الفراش، وكأنها تحصيها وتتعرف سمكها !

ــ أجل .. انها أكثر مما أحتاج .. شكرا لك

فقالت : « اذن ، فعم مساء ! » . وبنفس البساطة التى اتسم بها قدومها ، مرت بجانب الفتى المرتبك ، الخجـول ، وغادرت الحجرة !

★ ★ ★

• **وما أن** أغلق البـاب ، حتى انبعثت جلبة وحفيف ثوب حريرى ، من صوان الملابس ، فجرى « جانماريا » نحوه . على أنه لم يكد يدير المفتاح فى القفل ، حتى اندفع الباب من الداخل مفتوحا ، وسـقطت « سانتينـا » على الفتى . وود « جانماريا » أن ينتهز هذه الفرصة ليقبل الفتاة ، ويجرها الى السرير ، ولكن « سانتينا » كانت محنقـة ، فدفعته عنهـا ، وسألته فى غلظة نابية : « ما الذى كانت تبتغيـه ذات الأنف الضخم فى غرفتك ؟ »

وحركت الغيرة ــ التى تبدت فى لهجتها ــ غروره ، فقال وهو يشير الى كوب عصير الليمون : « انما أحضرت لى بعضا من عصير الليمون »

فقالت بخشونة : « بل أقسم أنها جاءت لكى ترى ما اذا كنت وحيدا ! » . ولم تعد الى الاريكة ، بل راحت تدور فى أرجاء الحجرة فترة ، ثم جلست على حافة السرير ، وقالت : « تصور اننى هنا فى غرفتك ، وفى هذه الساعة من الليل ، ومع ذلك فأنا لا أعرف عنك شيئا .. ولا اسمك .. ! »

وأخذت تعبث بثنايا ثوبها ، وقد غضت بصرها . فذكر لها « جانماريا » اسمه ، ثم حاول أن يقبلها ، وقد شجعته عودتها الى اللطف . **وتركته « سانتينا » يقبلها فى هذه المرة ، وان لم تستجب لمغازلاته ، بل بدت وكأنها فاقدة الحس ، أو شبه ميتة ، وقد جمدت ذراعاها وصدرها بلا حراك ، وانفرجت شفتاها ، واسترخى جفناها فى شبه اغماض .. وكانت ــ كلما**

جذبها « جانماريا » اليه - تتهالك فى استرخاء . . واذا قوم رأسها - الذى كان يرتمى الى الوراء - ارتمت على صدره فى وهن .. واذا حاول أن يضع احدى ذراعيها حول عنقه ، انزلقت الذراع وكأنها مفقودة الحياة !

أجل ، لم يكن يبدو عليها من مظاهر الحياة سوى أنات وزفرات ، كانت تصعدها بين وقت وآخر .. ومع ذلك ، فانه لم يكد يحاول - من جديد - أن يزيح احدى حمالتى ثوبها عن كتفها ، حتى استيقظت ، ودفعته عنها ، وعادت تقول : « لا ، لا .. هذا مستحيل .. مستحيل ! » . ثم ارتمت على جانب من الفراش ، ودفنت وجهها فى ثنايا ذراعيها ، وأخذت تطلق أصواتا محزونة لاهثة ، تجمع بين الحشرجة والبكاء .

والى هنا ، كان صبر « جانماريا » قد بلغ نهايته ، فشعر



برغبة قوية فى أن ينهال ضربا على ردفها الذى أبرزه الوضع - الذى كانت عليه - مكورا ، جامدا ، تحت أطواء ثوبها . على أنه غالب نفسه ، وحاول أن يرفعها بكل ما أوتى من رقة مغرية . بيد أن جهوده كانت خليقة بأن تذهب هباء ، لو لم تغير « سانتينا » من وضعها فجأة ، فاستوت على الفراش جالسة ، بحركة سريعة ، وسألته : « أفتعرف من أنا ؟ »

- أجل .. سانتينا رينالدى .. أليس هذا اسمك ؟

فقالت،وقد تولتها صراحة جامحة : ((أجل،هذا هو اسمى .. ولكن المرأة التى معى ليست أمى ، ولا تحمل اسم ((رينالدى)) .. انما تدعى ايدا كوكانارى !))

والتقت نظراتهما ، فتساءل جانماريا ، وهو يتخبط فى حيرة : ((ما الذى تعنينه ؟))

وأجابت توضح له الامر فى بساطة : ((أعنى أن هذه المرأة ((كوكانارى)) مجرد صديقة لى .. وانها ونيجرينى يستخدماننى للحصول على المال ..))

ـ الحصول على المال ؟ !

واشتد انفعال سانتينا وهياجها ، وهى تقول : ((أجل ، ألست تفهمنى ؟ .. لجمع المال ! .. على أننى لم أعد أطيق هذا .. لم أعد أطيقه اطلاقا ، ولست أريد أن أستمر فيه !))

ـ ولكن .. كيف تراهما يستخدمانك فى جمع المال ؟

ونظرت اليه برهة ، وهى فى ريب من أمره ، ثم اندفعت تشرح له قصدها فى اسهاب !

ـ عندما يكون ثمة شخص مثلك .. أو عندما يكون ثمة رجل ميسور الحال ـ مثلا ـ يعيش وحيدا، وقد بدأ يتقدم فى السن ، أسعى الى التعرف به ، وأعمل على ايقاعه فى هواى . ثم أقول له ـ على سبيل المثال ـ اننى مدينة ، أو أن على أن أدفع حسابا ما ، أو أننى فى حاجة الى رداء . فلا يلبث هذا الشخص أن يعطينى نقودا، أقتسمها مع المرأة ((كوكانارى)) و ((نيجرينى))

وأشارت بيدها فى ازدراء ، وهى تردف قائلة : ((ولست أدعهم يمسون شعرة واحدة من رأسى ، طبعا .. ولكن الرجال جميعا سواء ، لا يكفون أبدا عن الرجاء ، فأعشمهم وأمنيهم .. ثم نرحل عن ((البنسيون)) ذات يوم ، الى ((بنسيون)) آخر ، فى مدينة أخرى ، وتبدأ العملية من جديد ! .. والى جانب هذا ، فان نيجرينى بارع فى لعب الورق ، وهو يكسب من براعته بعض المال ...))

ولم يستبشع « جانماريا » هذا الامر ، بقدر ما ذهل لهذه التجربة الجديدة بالنسبة له ، فقال أخيرا ، فى سذاجة :« ولكن هذا نوع من الغش والخداع ! »

وهزت الفتاة كتفيها ، وهى تقول : « سمه ما شئت ، فليست للاسم قيمة ! » . ثم دست يديها فى خلال شعرها ، وراحت تهز رأسها فى قنوط ، وكأنما اعتصر اعترافها كل ما داخلها من جرأة واستهتار .. وعادت تقول فى أنين حزين : **« وها هما يريداننى على أن أفعل بك الشىء ذاته . ولكننى غير راغبة فى ذلك .. لا أريد ! .. انك على النقيض من الآخرين جميعا . ثم اننى مللت .. سئمت .. لم أعد راغبة فى أن أستمر فى ارتكاب أمور بغيضة .. اننى أكرههما ، على السواء ! .. ثم انك أفضل منهما كثيرا . أواه ، ما أشقانى وأتعسنى ! .. يا للتعاسة ! »**

واختلج جسدها .. وتظاهرت بأنها توشك أن تمزق شعرها ، ثم أسندت وجهها الاحمر — الطافح بالشقاء — الى راحتيها ، وراحت تتفرس فى عينى جانماريا .. وما لبثت أن قالت : « لا بد أنك كرهتنى ، بعد أن أفضيت اليك بكل هذا .. أليس كذلك ؟ .. انك تكرهنى ، مع أنك الشخص الوحيد فى الدنيا ، الذى كان يملك أن يساعدنى .. أواه ، يالشقوتى ! »

ولكنها كانت مخطئة ، فان « جانماريا » لم يكرهها .. وليس هذا فحسب ، بل انه أحس — لاول مرة فى حياته — بشعور جديد عليه .. شعور لا يشبه الكراهية التى كانت تخشى أن تكون قد أوحت بها اليه .. لا ولا يشبه الشهوة البدنية التى خامرته من قبل نحوها .. كان شعور الاشفاق القوى ، الفوار ، الذى لا يقاوم ! .. وقال لنفسه — فى السر — وهو يتأملها : « يا لك من مسكينة يا سانتينا ! .. يالسانتينا البائسة ! .. يا لها من فتاة ساذجة ، غشيمة ، ابنة أبوين فقيرين ، لا يدرى أحد عنهما شيئا ، ولا يعلم أحد مدى ما تكبداه

من فاقة .. فتاة يدفعها الى طريق الرذيلة ذانك الشيطانان « كوكانارى » و « نيجرينى » .. يا لسانتينا المسكينة ، التى حادت عن الطريق رغم ارادتها ورغم ما فى أعماقها من آمال وأمان ! »

* * *

• **ولقد** ود أن يقول لها كل هذه الخواطر بصوت عال ، وأن يطمئنها ، وأن يفضفض عن الانفعالات التى راحت تعتمـــل فى نفسه. ولكن كل ما استطاعه هو أن تناول يديها ، فأقصاهما فى رفق عن وجهها ، وقال : « لا .. لم أكرهك حقا ! .. ما الذى يوحى اليك بأننى أكرهك ؟ .. لست أكرهك ، وانما أنا ـ على النقيض ـ أكثر ولعا بك من ذى قبل ! »

وغضت « سانتينا » بصرها ، وكأنما ارتبكت لهذا الكرم الفذ الذى لم تكن تستحقه .. واختلج فمها فى انفعال ، وكأنها تقاوم البكاء ، ثم شرعت تقول : « ولكننى ظننت ... »

فقاطعها جانماريا مستأنفا حديثه ، وقد جاشت عواطفه ، وراحت شفتاه تمحوان المساحيق عن وجهها : **« لست أكرهك البتة .. ولكى أثبت لك هذا ، أؤكد لك أننى على استعداد لان أحول كلماتى الى أفعال .. اننى على استعداد لان أفعل كل شىء لكى أنتزعك من مخالب تلك المرأة وذاك الرجل « نيجرينى » ، الذى اصارحك بأننى أمقته مذ وقعت عليه عيناى ! .. فاذا رأيت أن بوسعى أن أكون ذا عون فى تحريرك وتمكينك من أن تبدئى حياة جديدة ، فليس عليك سوى أن تقولى لى ذلك ، وسأبذل كل ما فى طاقتى ... »**

وتطلعت اليه سانتينا فى اكبار واعجاب وعرفان ، وقالت : « ما أطيب قلبك ! .. لقد كنت موقنة من أنك طيب ، ومن أن بوسعى أن أركن اليك كما لو كنت شقيقــــا ! » . وندت عن « جانماريا » حركة مستحيية ، وكأنه يقول : « دعك من اطراء

خصالى الآن ، وتعالى نتحدث فى أمرك » . وترددت الفتاة لحظة ، ثم قالت أخيرا : « اذن ، فلى أن أعول عليك ! »

— لك هذا بكل تأكيد .. اعتمدى على فى كل ما ترين بوسعى أن أفعله !

ولاح أنها لا تكاد تحمل نفسها على أن تصدق أن الحظ كان يواتيها ، فأخذت ترسل البصر أمامها ، الى غير هدف ، وتهز رأسها بين حين وآخر . وما لبثت أن قالت بعد برهة : « ليتك تعرف ! .. ليتك تعرف مدى الاثر الذى يشعر به المرء اذ يلتقى بشخص أوتى مثل كرم نفسك .. كرمك البالغ .. » . وأمسكت عن الكلام ، وشدت على يديه ، وهى تتفرس فى عينيه بنظرات حائرة ملهوفة ، وتساءلت : « اذن ، فلو أننى أنبأتك يا عزيزى ، بأن فى وسعك أن تساعدنى ، وأرشدتك الى طريق المساعدة ، فهل تقدمها ؟ »

فهز « جانماريا » رأسه فى حمية ، وهو يقول : « ان أشد ما يدهشنى هو أنك لا تزالين فى ريب ، برغم كل ما قلته لك ! »

وقالت سانتينا : « الحق أننى لا أكاد أصدق هذا .. » . ثم أمسكت عن الكلام ، وعادت الى الصمت الطويل . وما لبثت أن انبعثت دقات الساعة من كنيسة قديمة ، كانت قبتها وبرجها يقومان خلف النزل . وأنصت الفتى والفتاة الى الدقات ، وهما جالسان جنبا الى جنب على السرير ، فى الغرفة الكئيبة المعتمة حتى أحصياها اثنتى عشرة دقة بطيئة ممتلئة الرنين ، أعقبتها دقتان حادتان خفيفتان .. وكان هذا ايذانا بأن نصف ساعة انقضى بعد انتصاف الليل ، فقفزت الفتاة واقفة ، وقد تولاها الانفعال ، وهتفت فى جزع : « لقد تأخر الوقت .. كان ينبغى أن أنصرف منذ زمن ! »

وانحنى « جانماريا » فالتقط الوشاح الوردى ، وألقاه على كتفيها ، وهو يقول : « ولكن .. ألن تذكرى لى كيف يتأتى لى أن أساعدك ؟ »

فأجابت فى عجلة : « غدا ، فالساعة الآن جد متأخرة .. ثم اننى يجب ألا أشعرهما بأننى كلفة بك ، وألا أزج بك فى المأزق الذى يتوقعانه ويرجوانه ! »

وأقر « جانماريا » رأيها قائلا : « هذا صحيح . اذن ، فسألقاك غدا ! » . وشرع يحاول أن يطوقها بذراعه ، فاذا به يشعر بيديها تمتدان أمامها فجأة ، لتصداه عنها .. ولاح له الامر طبيعيا ، على ضوء علاقتهما الجديدة البريئة ، فتحول بالقبلة التى كان يريد أن يطبعها على شفتيها ، وطبعها على جبينها الضيق ، وهو يغمغم : « الى غد يا عزيزتى ! » .. وابتعد عنها، فتمتمت : « أنعم بنوم هادىء ! » .. ثم اتجهت صوب الباب، بخطى سريعة ، لا تكاد تبدو لتوارى قدميها تحت ذيل الثوب الطويل . والتفتت اليه ـ اذ بلغت الباب ـ فأرسلت اليه عبر الهواء قبلة على أطراف أصابعها ، ثم غابت عن عينيه !

* * *

• **ظل** « جانماريا » جالسا لفترة طويلة ـ عقب انصراف « سانتينا » ـ على حافة السرير ، وهو يهز ساقيه المتدليتين ، وقد غض بصره .. وكان يظن أنه بذلك يفكر فيما مر به ، تفكيرا عميقا ، وبأسلوب علمى منتظم .. ولكن عقله كان ، فى الواقع ، خواء .. ذلك لانه كان ـ من ناحية ـ متعبا ، كما أنه ـ من ناحية أخرى ـ لم يكن يتوقع التحول الغريب الذى تطورت اليه الاحداث ، والذى أذهله وحيره . وانتفض أخيرا ، وانتزع نفسه من جموده ، فخلع ثيابه ، واندس فى الفراش الكبير ، بين الاغطية الدافئة . فاذا به يغيب لتوه فى نعاس عميق ، واتاه خلاله الحلم التالى :

تراءى له انه كان مع المديرة فى احدى ردهات النزل ، على مقربة من الباب الزجاجى الاخضر ، المفضى الى حجرة « سانتينا » . وكانت المديرة ـ عند بداية المنام ـ تشير بأصابعها اشارات

غريبة ، وكأنها تطلب الصمت ، وتنهمك ــ فى الوقت ذاته ــ فى فتح الباب بتؤدة وحرص .. وما لبثا أن دخلا الغرفة على أطراف أصابع أقدامهما ، فتبينا انها ملأى بأصص بها نباتات ليفية ، وسماد عضوى (سباخ) ، وأشجار مثقلة بأزهار .. وبالرغم من أن الغرفة كانت مظلمة ، واسعة ، الا أن ثمة أضواء غريبة كانت تنبعث من الالوان الكهربائية الجامدة ، التى اصطبغت بها تلك الازهار .. أضواء حمراء ، وزرقاء ، وخضراء ، وصفراء ، وبنفسجية .. تماما كما تبدو أزهار الحدائق العامة ، عندما تتجمع السحب السوداء الكثيفة على ارتفاع غير شاسع فوقها ، منذرة بعاصفة ، بينما تهب الرياح الباردة فى هياج جامح ، وينتشر الضوء الشاحب المتعرج ــ ضوء الفجر الكاذب ــ فيستلقى على أحواض الزهور الخضراء ، الموشاة بزخرف من الزهور المتعددة الالوان !

على أن هذه الازهار ذات المظهر العجيب ، لم تستأثر بانتباه « جانماريا » لاكثر من لحظة واحدة ، فقد اتجه بصره نحو ظهرين توسطا الحجرة ، وانحنيا على جسم كان يشع بالنور ! .. وتبين لفوره أن الظهرين لتلك المرأة « كوكانارى » و « نيجرينى » . وكان الاخير قد خلع سترته وصديريه ، ليكون أقدر على الحركة ، فظهر على « البنطلون » الفاتح اللون ، وبين فرعى « الحمالة » ، قميص مهدل ، لا يوحى شكله بالنظافة . فى حين أن المرأة « كوكانارى » كانت مسربلة بالسواد ، وقد بدا عليها أنها كانت متأهبة للخروج ، وعلى رأسها قبعة تعلوها ريشة ، بينما تدلت من ساعدها حقيبة كبيرة مربعة الشكل .

وكان الاثنان ينحنيان على مهد ينبعث منه النور ، وهما يصدران بذراعيهما حركات لا معنى لها . واقترب « جانماريا » منهما ، وقد ثار فضوله ، فرأى انهما كانا يسويان أغطية فراش أبيض صغير ، رقدت فيه « سانتينا » .. وكانت محوطة بوسائد ، وقد برز نصفها الاعلى بأكمله من السرير .. ولاحت

فى قميص نوم نظيف ، موشى بأشرطة من ((الدانتيلا)) ، وبزهور وورود مطرزة .. وقد بسط العجوزان ذراعيهما على الاغطية ، قسرا .. ومع أن المساومة التى كانا يحاولان اغراءها بها كانت مخزية ، اذ كانا يسعيان الى أن يدفعا برجل بين أحضانها ، الا أن أغرب ما فى الامر ، أن ((سانتينا)) لم تلح حزينة البتة ، بل انها كانت تبتسم مغتبطة ! ..

وفى سورة الاستنكار والغيظ ، أراد ((جانماريا)) ان يطرد هذين المخلوقين البغيضين بعيدا عن السرير ، وأن ينقذ ((سانتينا)) ، ولكنه لم يحس فى نفسه قوة كافية لمواجهتهما وحيدا ، ومن ثم فانه تحول الى المديرة ليسألها العون . وشدما كانت دهشته حين تبين انها لم تعد موجودة بجانبه ، وانما كانت تجلس الى مكتبها وسط أصص الزهور البهيجة الالوان ، المتألقة . وكانت تنحنى على ملف من المشمع ، وقد انهمكت فى رص أكوام من العملة الفضية ، فى صفوف متناسقة .

وهرع اليها ، وراح يناشدها — فى حرارة — أن تتحرك ، وأن تنهض وتخف الى معاونته . ولكنه بدا وكأنه يتكلم الى صماء لاتسمع ، اذ أنها لم تحفل حتى بالتطلع اليه . وهنا بدا الموظف الكهل يسير مترنحا فى المكان ، بعينيه الجامدتين ، الخاليتين من الحياة — القابعتين خلف عدستى منظاره السميكتين — وبفمه الاسود الخاوى من الاسنان . وفجأة ، داخل ((جانماريا)) اعتقاد بأن هذا الموظف هو العاشق المفسود الذى كان القوادان يحاولان أن يدساه فى أحضان ((سانتينا)) ، فاذا بحنق هائج يتولاه ، واذ به يندفع نحو الفتاة ، فتطوق عنقه بذراعيها .

وفى تلك الاثناء ، كان القوادان منهمكين مع الموظف الكهل — عند طرف السرير — فى نقاش لم يدرك ((جانماريا)) محوره . وفى حمية النقاش ، رفعا أغطية الفراش ، وانحنيا على قدمى ((سانتينا)) ، فلم يلح على هذه انها فطنت الى أمرهما ، وانما راحت تتشبث بجانماريا فى وجد جائح ، فاحتواها بين ذراعيه ،

دون أن يحول بصره عن الثلاثة المنهمكين فى الجدال عند طرف السرير . وعندما اشتد الجدال ، رآهما يمضيان فى رفع أغطية الفراش ، حتى كشفا عن ساقى «سانتينا» النحيلتين. وود أن يمد يده ، فيعيد الاغطية الى وضعها الاصلى ، ولكنه عجز عن ذلك ، اذ كانت « سانتينا »تعانقه فتشل حراكه ! ..
وراح يناضل ، دون أن يرفع شفتيه عن شفتى الفتاة . وهم بأن يصرخ فى الثلاثة : « ارجعوا أيها الفاسقون ! » ، ولكنه ألفاهم الى جـــواره ، وقد استلقت ظلالهم رهيبة منذرة ، على السرير الابيض .. وراح يناضل فى جهد مطرد العنف ، فاذا به يستيقظ فى النهاية !

وكانت الحجرة ترزح بظلام بارد تكاثف حوله . وفطن الى انه كان يطوق الوسادة فى عنف ، ويلصق بها شفتيه فى نهم جنونى . **ومع انه كان قـد استكمل يقظته ، الا انه ظل يحس بدفء شفتى «سانتينا» ، وشذى أنفاسها ، يخالطان العبير المنبعث من قماش الوسادة .. كان مستيقظا ، لاريب فى ذلك .. ولكن شفتى الفتاة كانتا مجسدتين فى الوسادة ، بمعجزة لم يفقه لها تعليلا ! ..** وظل انفعاله الشهوى الممض الغريب دقيقة من الزمن ، كان الفتى يكتوى خلالها بالغيظ وخيبة الرجاء .. وراح يقبل نسيج الوسادة الخشن ويعضه ، حتى كلت شفتاه وأسنانه ! .. ثم أصاب الاعياء فمه ، فكف عن هذا الجنون ، الذى خلف الوسادة مبتلة بلعابه !

* * *

. **واستوى** جالسا فى السرير ، وهو منضح بالعرق البارد ، ثم أضاء المصباح الذى كان يعلو المنضدة المجاورة للفراش . وأنبأته الساعة القريبة من المصباح ، بأن الساعة بلغت الثالثة صباحا . فقال لنفسه وهو يحك رأسه المهوش الشعر بكلتى يديه : « لقد كنت فى كابوس طيلة الليل ! » . وأحس باللعاب

لزجا مريرا فى فمه وحلقه ، فأخذ كوب الليمون ـ الذى كان على المنضدة ـ وأفرغه فى جوفه دفعة واحدة . **ثم نهض مغادرا فراشه ـ وهو فى « بيجامته » ـ وتسلل الى الردهة حافى القدمين ، مدفوعا بتلك الحوافز التى راودته أثناء الحلم.**

وبدت الجدران البنية ، والبساط الاحمر المشوب بالسمرة ، والابواب المغلقة ، معتمة كئيبة ، تحت أضواء المصابيح الكليلة المتباعدة . وقطع « جانماريا » الردهة ـ التى كانت غرفته فى نهايتها ـ وهو يرتعش ، ثم عرج على أخرى ، ويمم شطر الباب الزجاجى الاخضر ، الذى كانت « سانتينا » ترقد خلفه. ولم تكن لديه أية فكرة عن الباعث على هذه المغامرة الليلية .. ولعله كان مدفوعا بالرغبة فى أن يثبت لنفسه ولسانتينا مدى حبه ، ومدى عزمه على أن ينتزعها من ايدى هذين اللئيمين الخسيسين !

وما أن بلغ الباب حتى وقف عنده ، غير شاعر بما فى موقفه من سفه أخرق ، وألصق شفتيه بالزجاج ، وهمس فى سره : « الى غد .. أقسم لك يا سانتينا ، لاعملن على أن أفعل كل شىء لكى لا تعيشى مع نيجرينى والمرأة كوكازارى بعد الآن ! »

وكان تفكيره فى أن الفتاة تنام خلف تلك الالواح الزجاجية ، يحرك عواطفه فى انفعال عجيب ، ويجعله يتوق الى أن يسمع



أنفاسها الهادئة .. فأرهف أذنيه ، ولكنه لم يسمع سوى الصمت الناعس الذى كان يسيطر على النزل .

واشتد به الارتجاف ــ فى النهاية ــ وقد أوشكت أطرافه أن تتجمد لفرط البرد .. واذ راحت أسنانه تصطك ، عاد الى غرفته ، واندس بين أغطية فراشه ..

وسرعان ما غرق فى النعاس !

* * *

• **وكان** اليوم التالى يوم الاحد ، وقد جاء ترافقه الغيوم والبرد ، والرياح .. واستيقظ « جانماريا » مبكرا ، ليذهب لاداء نوبته فى التدريب العسكرى ، وليقضى سحابة الصباح مع أقرانه ، ممن فى سنه ، يتدربون على استخدام البنادق ،والمشى العسكرى فى طول ساحة الثكنات وعرضها . بيد أن التفكير فى « سانتينا » لم يفارقه لحظة ، خلال هذه التمرينات . فلما قدر له أخيرا أن يهرع عائدا الى النزل ــ وهو منهوك القوى ، مبلل بالعرق ، مشعث الهيأة ــ كان الامل يحدوه فى أن يراها فى قاعة المائدة ، بيد أنه كان قد تأخر كثيرا عن موعد الغداء ، فلما ولج القاعة ، وجدها خاوية ، الا من مائدته التى كانت معدة فى انتظاره . وراح يتناول غداءه وحيدا ، تحف به الكآبة ، ويخيم عليه القلق ، اذ لم يكن يعرف متى سيقدر له أن يرى « سانتينا » ، ولا أين كانت فى تلك الاثناء . وفيما كان يحطم لحاء ثمرتين أو ثلاث من ثمار البندق ، وجدها فى سلة الفاكهة، وفدت المديرة على القاعة، فسارت اليه، وبادرته فى دعة ووقار : « كيف حالك يا سنيور براجيجلى ؟ .. هل نعمت بنوم طيب فى الليلة السالفة ؟ »

فأجابها فى عجلة ، وهو ينهض عن مقعده : « لقد حظيت بنوم بديع حقا .. شكرا لك ! »

وعادت تقول ، دون أن تدعوه للجلوس ثانية ، وهى ترمقه

بنظرة متفرسة : « لقد كنت أعرف أن عليك أن تذهب للتدريب العسكرى ، فحرصت على أن أستبقى غداءك دافئا . فهل وجدته كذلك ؟ »

ـ أجل .. كان دافئا جدا .. شكرا لك !

ولم تكن عينا المرأة تشفان عن أى تعبير ، ولكن بقية وجهها كان يوحى بالحنان ، والرعاية ، والعطف ، وكأنها كانت تود أن تقول : « انك لا تزال بعد فتى صغيرا ، وان قلبى ليلين اشفاقا عليك .. لكم أود أن تشعر هنا بأنك فى بيتك ، ووسط أهلك! » .. وسوت بيدها الشريط الذى كان يزين سلة الفاكهة ، ثم قالت أخيرا : « لدى خطاب لك من السنيورينا (الآنسة) رينالدى ، سألتنى أن أسلمك اياه ، عندما غادرت النزل فى الصباح » .. ووضعت الخطاب على المائدة ، ثم بارحت القاعة ـ كما دخلتها ـ فى تؤدة ، وفى غير اسراع .

وغاض الدم من وجنتى « جانماريا » حين سمع كلمتى : « غادرت النزل » ، فاذا وجهه يغدو شاحبا كالجليد ، وشعر كأنه موشك على الاغماء . وما أن غادرت المديرة القاعة ، حتى أمسك بالخطاب وفضه . وكانت الرسالة مقتضبة : **« لقد اضطررت الى مبارحة روما ، ولكنى سأعود بعد الظهر ، فكن فى مقهى « اليكترا » ، حوالى الساعة الخامسة .. المقهى المطل على ميدان (لنجوتيفيرى) ، وانتظرنى فى القاعة الحمراء ـ المخلصة ... »** وكانت الرسالة مذيلة بخطوط متداخلة ، غير واضحة ، كان من العسير أن يميز فيها اسم « سانتينا رينالدى » .

وغمره ارتياح ، وكأنه يعود الى وجه الارض ، فى الخلاء ، بعد أن كان يتخبط تحت سطحها ، وقفز عن المقعد الذى كان قد تهالك عليه ، وراح يقفز على الارض الخشبية المتداعية ، فى الحجرة الخالية ، وكأنه يرقص احدى رقصات الحرب . ثم هرع الى غرفته ، وهو لا يزال نشوانا ، يحس بأنه ماض فى الرقص ، فضبط مؤشر الجرس فى الساعة المنبهة ، بحيث يوقظه

قبل الموعد الذى حددته « سانتينا » بساعة من الزمن .. ثم استلقى على سريره ، دون أن ينضو عنه ثيابه ، واستغرق لتوه فى نوم عميق ! .. فان التــوتر العصبى الذى لازمه فى يومه السابق ، واستيقاظه مبكرا فى ذلك الصباح ، والتعب الذى لحق به من جراء التدريبات العسكرية . كل هذه أنهكت قواه. **ولما كانت مخاوفه قد تبددت عن ذهنه ، فان الامل أفعم نفسه، وجعله ينسى كل هم ، ومن ثم فان نومه كان ناعما ، مريحا ، على النقيض مما كان نومه فى الليلة السالفة !**

واستيقظ قبل أن ينبهه جرس الساعة ، ففتح عينيه، وراح يتأمل الحجرة فى هناء، فاذا بغسق غروب الشتاء المبكر ، يزحف عليها .. وقال لنفسه :«لن ألبث أن أرى سانتينا بعد قليل !» .. ولم يقو ذهنه على أن يبتعد عن هذه الفكرة البهيجة .. وأسرع فاغتسل، ورجل شعره فى عناية فائقة، مستخدما قدرا من الدهان (البريانتين) أكثر مما اعتاد ولاحظ ، فى ارتياح ، أن البثور كانت أقل ظهورا منها فى اليوم السابق . وارتدى حلته القاتمة ، وأحاط عنقه بأبدع ربطاته ، ثم غادر النزل ، وفى نفسه مزيج من الاضطراب والاغتباط ! .

وأحس بأنه كان صافى المزاج ، متحررا من أى شك فى نفسه، متفتحا للانطباعات التى تواتيه من العالم المحيط به .. حتى انه راح يرمق – فى رضى ، وليس فى قلق – غروب شمس الشتاء، والغيوم القاتمة ، المنذرة بالعاصفة . وكانت الشوارع المحفوفة بالبيوت العالية ، المزدحمة بالناس ، المرصعة بالاضواء ، تمتد فى خطوط ينصب عليها ضوء باهت منساب من وراء الحواف الداكنة .. حواف السحب القاتمة . وكانت الاشجار تنبثق من ثغرات مستديرة – على أرصفة الشوارع – مشرئبة نحو السماء الرطبة ، المعتمة ، وقد انتصبت فروعهــا عارية من الاوراق . وكانت الريح تنساب خلال هذه الاغصان العارية ، فتملأ مظلات المتاجر وتجعلها تهتز وتنتفخ .. وتتربص للمارة

خلف منعرجات الطرق ، لتفاجئهم وتضطرهم الى الجرى وراء قبعاتهم ، التى كانت تنطلق محومة فى الفضاء ، كأنها قمم تتوج جبالا من الهواء ! .. وراقب «جانماريا» ـ فى شوق ـ شخصا انطلق وراء قبعته . وما لبث أن دخل المقهى الذى واعدته « سانتينا » على أن يكون ملتقاهما

* * *

• **ولم** يجد عناء يذكر فى الاهتداء الى القاعة الحمراء ، فاذا بها بعيدة عن المشرب بروداه المتدفقين ، وبرنين الكؤوس والعملة .. وبعيدة عن الفرقة الموسيقية التى كان عازفوها من النساء ، وقد جلسن على منصة ، يجربن أدواتهن الموسيقية قبل أن يشرعن فى العزف . **وعندما لمحت احدى العازفات «جانماريا» يلج المكان ، مالت على احدى جاراتها ، وأسرت اليها بكلمات ، ثم ابتسمت . ولمح « جانماريا » الابتسامة فاغتبط .. كأن كل شىء يبشر بالخير !**

ولم يطل به الانتظار ، فى جوف القاعة الحمراء الخالية من الرواد . فقبل انقضاء عشر دقائق ، وعندما شرعت الفرقة الموسيقية فى عزف النشيد الكبير من « أوبرا عايدة » ، أقبلت « سانتينا » . وكانت يداها مدسوستين فى جيبى معطف زاهى اللون ، كما كانت ترتدى قبعة ثبتتها فوق مؤخرة رأسها ، تاركة جبينها ومفرقها عاريين .. وكانت تسير متسكعة ، وقد انخسف صدرها ، وبرز بطنها . ولاح فى عينيها اكتئاب يوحى بالقنوط والهم ، بينما التوى فمها ـ الملطخ باللون الاحمر ، فى غير عناية ـ بشكل نم عن مرارة واغتمام .

وجلست دون أن تنبس ببنت شفة ، أو ترد تحية «جانماريا» . ثم أخرجت سيجارة أشعلتها ، وقالت للساقى : « براندى ! » . وأطرقت برأسها ، والسيجارة بين شفتيها ، والدخان يتصاعد الى عينيها ، وراحت تدلك ركبتيها برفق ، بيديها العاريتين ،

اللتين احمرتا لفرط البرد .. وبدت مغرقة فى أفكار حزينة !
ومرت بضع دقائق مثقلة بالصمت ، ثم تجاسر جانماريا على أن يسألها : « ما بالك ؟ .. ما الذى يحزنك الى هذا الحد ؟ »
وانتزعت « سانتينا » السيجارة من شفتيها ، وقالت فى حدة : « ما بالى ؟ .. كل ما هنالك ، هو أننى لم أعد أستطيع الاحتمال .. هذا هو الذى يشقينى ؟ .. ما بالى ؟ ! .. لقد سئمت هذه المعيشة .. بل مللت الحياة ذاتها ! .. ما بالى ؟ ! .. لو أننى مت فى هذه اللحظة بالذات ، لمت سعيدة ! »
فاعترض جانماريا قائلا : « لقد كنت تنظرين الي الامور — في الليلة السالفة — نظرة غير هذه »
وهزت كتفيها ، وهى تجيب :« الليلة السالفة ولت وانقضت .. ولكن ، لا .. أعتقد أننى لن أستطيع أن أتخلص قط من هذه الحياة .. أعتقد أن كل الجهود لن تكون مثمرة ، وأننى لن أحظى أبدا .. لن أحظى اطلاقا بمفارقة هذين الشخصين ، مهما أفكر فى طرق الخلاص ! » .. وهزت رأسها فى اقتناع مرير ، وردت السيجارة بين شفتيها ، ثم عادت ترسل البصر الي ما أمامها ، وهى شاردة البال .. وعاد الصمت يرين مرة أخري .. وكانت أصوات الادوات الموسيقية تسمع فى الغرفة السابقة ، والفرقة تسوى أوتارها .. ومن وقت الى آخر ، كان ابريق القهوة الكبير ، يرسل فى جو المقهى أزيزا !
وعاد جانماريا يكرر فى تلطف : « ولكنك أنبأتنى — فى الليلة السالفة — بأن فى وسعك أن تتحررى منهما ، اذا أنا ساعدتك . فهل تعنين أنك نسيت ذلك ؟ »
وتمتمت : « ما أكثر ما يقوله المرء ! » . ثم تحولت اليه ، فحدقت فيه ، ثم قالت : « لا ، لم أنس ، ولكن أية معونة تستطيع أن تمنحنيها ، ان شئت الحق ؟ .. انك لست سوى فتى صغير ، وهناك أشياء معينة لا يجوز أن أسألكها . ثم .. كم مضى من الوقت على تعارفنا ؟ .. لم يكد ينقضى يوم كامل ! »

فندت عن « جانماريا » أشارة احتجاج : « ليس للوقت شأن في هذا ، ففى وسع المرء أن يعرف امرءا آخر فى يوم ، معرفة تفوق ما قد يتاح له لو أنهما كانا متعارفين منذ عشر سنوات . أما بصدد ما قلته من أننى فتى صغير ، فليس للسن دخل فى هذا الامر كذلك . ان معونتى لا تقل شأنا عن معونة أى شخص آخر ! »

وفجأة ، شرعت الفتاة تهرف ، كما كانت فى الليلة السالفة .. فراحت تئن وتردد : « ولكن ، لا .. لا .. هناك أمور لا أستطيع أن أسألك اياها . اننى أدرك ذلك .. لا أستطيع .. وحتى لو صارحتك بها ، فلن يكون فى وسعك أن تيسرها لى .. لن تستطيع .. اننى ألمس ذلك ، أما أنت فلا تدركه ! »

وكان هذا المساس منها بتقدير « جانماريا » لنفسه ، حافزا له على أن يشعر بأنه قادر على أية تضحية ، مهما يكن نوعها . فلو أن « سانتينا » سألته أن يتزوجها – لاستجاب لها متحمسا لذلك لم يلبث أن قال لها : « ليس عليك سوى أن تختبرينى ، فلن تفيدى شيئا اذا أنت لم تضعينى موضع التجربة ، واكتفيت بأن تقولى « لا أستطيع ! »

– ولكنى أعرف .. أعرف .. أنك لن تستطيع ! .

– اذن ، فهل لك أن تذكرى لى السبب ؟

★ ★ ★

• **وعادت** ، تطيل النظر اليه ، من طرف عينيها ، فى تقدير الطاهية التى تخرج فطيرة من الفرن ، وتروح تتأملها لترى ماذا كانت كما تشتهى . وأخيرا سألته ، فى عبارة مقتضبة ولهجة جافة : « أفعندك ثلاثة آلاف ؟ »

واتسعت حدقتا جانماريا دهشة ، ثم سألها : « ثلاثة آلاف ماذا ؟ »

فأجابت فى لهجة لاذعة : « ثلاثة آلاف ماذا ؟ .. ثلاثة آلاف

ليرة ، طبعا !.. أفرأيت اننى كنت على حق ؟.. انك لن تستطيع .. لقد كنت أعرف أنك لن تملك مساعدتى ، وليس على سوى أن أمضى فى هذه الحياة الجهنمية . على أننى ـ لحسن الحظ ـ أملك وسيلة لا تخفق ، لتقصير أمدها ... »

وكانت على صواب حقا ، فان ((جانماريا)) لم يكن يمتلك ثلاثة آلاف ليرة .. وشعر بحيرة ، وارتباك ، ولكنه كان عاجزا ـ فى الوقت ذاته ـ عن التفكير فى أى شىء آخر ، بعد أن أصبح اعتداده بنفسه موضع اختبار .. وشاء أن يكسب الوقت ، ريثما يفكر فى خطة لتدبير المبلغ،فتساءل : ((وما هذه الطريقة؟))

وضحكت « سانتينا » بمرارة ، وقالت : « آه .. انها طريقة سهلة ، ضئيلة النفقات .. زجاجة صغيرة ، بديعة الشكل ، مليئة بالفيرونال . ولسوف أشرب كل ما تحتويه ، قبل أن آوى الليلة الى فراشى . فاذا أقبل الغد ، كانت كل آلامى قد ولت .. كما يقولون فى القصص ! » .. وما أن قالت ذلك ، حتى شاءت أن تمثل قرارها بحركة عملية ، فتناولت كأس « الكونياك » ، وجرعت ما فيه دفعة واحدة ، ثم قالت وهى تتأهب للنهوض : « ما رأيك فى الانصراف ؟ »

فأمسك جانماريا بذراعها ، وردها الى مقعدها قائلا : « انتظرى دقيقة ! » .. وأردف فى لهجة أخوية ، وهو لا يزال يدفعها فى مقعدها : « أين تحتفظين بتلك الزجاجة ؟ »

وقالت « سانتينا » وهى ترمقه بنظرة نمت عن أنها كانت تخدعه : « انها فى البيت » .

ولكن عينى جانماريا علقتا بالحقيبة التى كانت ((سانتينا)) تتأبطها بحرص ، ثم قال بلهجة آمرة : ((هات حقيبتك !))

وتمنعت قائلة : « وما شأنك بها ؟ »

ـ اعطنى هذه الحقيبة !

ـ لا .. لن أعطيكها

ـ بل لسوف تعطينيها !



ودار بينهما نضال قصير ، حاول « جانماريا » خلاله أن يستولى على الحقيبة ، فجاهدت « سانتينا » لكى تحتفظ بها. وفى النهاية ، غلبت الفتاة على أمرها ، فأسلمته الحقيبة ، وتهالكت فى مقعدها كسيرة النفس .

وقالت فى تؤدة ، وكأنها تجر الكلمات جرا : « يا لك من وحش ! .. لقد آذيت رسغى ! » . بيد أن « جانماريا » لم يصغ اليها،اذ كان قد فتح الحقيبة،وعثر خلال علبة«البودرة» وطلاء الشفاه الاحمر وما الى ذلك من أشياء ، على زجاجة « الفيرونال » . وقال فى لهجة جمعت بين القسوة والتظاهر بالفكاهة : « ان الفيرونال يصلح كل الصلاحيةلرى هذا النبات ولعله يسلمه الى النوم .. بل والى الغطيط ! » . وفض سدادة الزجاجة ، ثم صب ما فيها من سائل على التربة التى كانت تملأ أصيصا به شجيرة ، خلف مقعده .

وراقبت « سانتينا » حركاته فى استهجان وحنق ، ثم قالت فى سخرية : « اذا كنت تخال أنك تؤثر على بهذه الطريقة .. » وأمسكت عن الكلام ، ثم عادت تردف قائلة : « كأننى أعجز عن شراء زجاجة أخرى من الصيدلى القائم على ناصية الطريق ! »

ولم يحفل « جانماريا » بكلامها ، بل قال ، وكأنه يستأنف حديثه السابق : « يلى هذا أن تتكرمى فتخبرينى عن السبب

الذى تحتاجين من أجله الى هذه الليرات الثلاثة آلاف .. فاذا كان المبلغ ضروريا حقا ، فسننظر فى أمر تقديمه اليك ! » .
وكان كاذبا ، لانه لم يكن يمتلك المبلغ ، ولا كان يعرف طريقة تمكنه من الحصول عليه .

ورمقته « سانتينا » بنظرة مترببة ، ثم قالت : « ترى هل أستطيع أن أكون صريحة معك ؟ .. لست أدرى لماذا أريد أن أصارحك ، ولكننى مضطربة حائرة .. »

ـ ولكن ، ما الذى يدعوك الى الشعور بالاضطراب والحيرة؟ .. لماذا ؟ .. ولماذا تتحرجين معى ... ؟

وانحنى جانماريا فى عطف ، وأمسك بيديها .. ولاح عليهـا شىء من الاطمئنان ، فقالت : « أرى أن أصارحك » .. وترددت برهة ، ثم قالت وهى لا ترفع طرفها نحوه : **« ان لى أما .. أما حقيقية ، وليست هذه المرأة التى أقيم معها ! »**

ـ آه ، فهمت !

ومرت لحظة ، ثم عادت تقول بصوت متهدج : **« وأمى جد فقيرة ! »**

ـ آه ، فهمت !

ـ ثم انها ، فوق هذا ، مريضة .. مرضا قاسيا ! ..

وتطلعت الى « جانماريا » فى تساؤل . ثم انطلقت ـ فجأة ـ تقول بسرعة وطلاقة ! « وهى فى مرضها لا تملك نقودا ، ولما كنت استولى على نصف النقود التى أحصل عليها ـ بالطريقة التى ذكرتها لك ـ فاننى أبعث اليها بهذا المال ، لكى تعالج فى مصح بالقرب من (تريستا) . فهل أدركت الآن ، سر بقائى مع « نيجرينى » وتلك المرأة « كوكانارى » ؟ .. ذلك لاننى لو كنت وحدى ، لما استطعت أن أحصل على المال الكافى لعلاج أمى ولنفقاتى ، ولو ظفرت بعمل طيب ! .. أما اذا قدر لى أن أحصل على ثلاثة آلاف ليرة ، فان بوسعى أن أضمها الى القليل الذى ادخرته ، وبذلك أفسح لنفسى فرصة .. فان المبلغ

يكفيني لمدة، لنقدرها بعام أو حوالى العام. . واذ ذاك أستطيع أن أفارق نيجريني والمرأة كوكانارى ، وأبحث لنفسى عن عمل. أما اذا أخفقت فى الحصول على المبلغ ، فلن أجسر على أن أقصى أمى المسكينة عن المصح . . فهى جد مريضة ، ولن يقدر لها أن تعيش شهرا واحدا ، بلا علاج . . وهكذا ترى أننى كنت أرسم خططى ، أملا فى أن أسعد بأوقات هنيئة . ولكننى الآن فقدت كل أمل، فى الوقت الذى لم أعد أحتمل فيه المضى فى هذه الحياة . . وهذا هو السر فى أننى كنت أريد أن أقضى على نفسى ! »

* * *

• **وقال** « جانماريا » لنفسه : « يجب أن أحرص على أن لا أكشف لها عن مشاعرى » . ولكن عينيه سرعان ما أغرورقتا بالدموع ، فان مثل هذه التضحية ــ التى لمسها خلال قصة الفتاة ــ كانت أسمى من طاقة البشر ، فى رأيه . . ولولا الجهد الجبار الذى بذله ، لخر راكعا ــ وسط القاعة ــ أمام تلك القديسة !

وتساءل أخيرا : « ولكن . . ما المرض الذى تعانيه أمك ؟ »

فمست صدرها ، فى توجس واضطراب ، وقالت : « انهـا مسلولة . . تسعل وتبصق دما ! »

وشغل « جانماريا » بتقليب الامر ، على كافة الوجوه . . كان يدرك أنه لا يملك مالا ــ فى متناول يده ــ يزيد عن ألفى ليرة . . فمن أين يستطيع أن يحصل على الالف الثالثة ؟ . . والى من يلجأ ؟ . . لم يكن فى وسعه أن يطلبها من أسرته ، فان الاسرة كانت تقيم بعيدا، وسيتأخر وصول النقود اذا أرسلتها. . وقد تطلب منه ايضاحا قبل ارسال المبلغ ، فاذا ما ذكر السبب ، فمن المؤكد ــ تقريبا ــ أنها سترفض ارساله . . اذن ، فالى من يلجأ ؟

وخرج من أفكاره ليسأل الفتاة : « أولا تستطيعين أن تدبرى

أمورك بمبلغ أقل من هذا ؟ » .

ورآها تهز رأسها وتقول : « لا ، بالاسف ! .. اننا بحاجة الى الثلاثةآلاف ليرة بأكملها !.. ولكن لاتشغل بالك بالامر! » .

وصمتت لحظة ، ثم قالت : « لماذا أكربك بمحنتى ؟ .. لسوف أدبر أمورى ، على أية حال .. وقد أخفق .. ولكن الحالين سواء ، بالنسبة اليك ، فلا تحمل هما ! »

وكانت هـذه هى الكلمات اللازمة ـ بالذات ـ لتحمل «جانماريا» علىأن يتشبث بموقفه الانسانى. فقال : «مهلا!.. انتظرى ! » . وأخذ يستعرض فى ذهنه أسماء المعارف القلائل، الذين كان يعرفهم فى (روما) .. كانوا جميعا من الاقارب تقريبا .. وكلهم من المتقدمين فى السن ، أو ممن يكبرونه ، على أى الاحوال .. وما سبق له أن زارهم . وتتابعت أسماء هؤلاء الاقارب ، فى ذهنه ـ اسما بعد آخر ـ فلاح له ، لاسباب متباينة،أن ليس بينهم من يستطيع أن يقدم لهالعون المنشود.

كان كل ما يحتاج اليه ، يتمثل فى شخص على استعداد لان يوافق على اقراضه النقود ، دون أن يذكر الامر لاسرته ، ودون أن يسأله ايضاحا . ولسوف يعمل ـ بعد ذلك ـ على دفع هذا الدين،اما باللجوء الى أمه ، أو بالادخار من نفقاتمعيشته!

وكانت خواطره تنعكس على أساريره،تحت عينى«سانتينا» المسلطتين ، اللتين كان الامل يخفق فى أن يتوراى فيهما وراء ستار من الاسى .

وفجأة ، قال الفتى لنفسه : « عمى ماتيا .. كيف لم يخطر ببالى من قبل ؟ » .

كان العم « ماتيا » من أشقاء أبيه .. وكان رجلا فى حوالى الخمسين من عمره ، توحى كل الدلائل على أنه غنى .. وكان أعزب ، يقيم وحده فى دار على غير مبعدة من « البنسيون » . وكان « جانماريا » لا يكاد يعرفه .. كل الذى علمه عنه ، هو انه عاش حياة لاهية عابثة متحررة ، ثم اعتزل الناس تماما ـ

من جراء مرض غامض ، لا يدرى أحد أكان ناشئا عن حال عصبية ، أو كان نتيجة شيء آخر — فأصبح نادرا ما يغادر بيته،أو يستقبل أحداسوى نفر قليل من الاصدقاء الحميمين!

ولم يدر ((جانماريا)) السر فيما داخله من يقين بأن ((العم ماتيا)) هو الشخص الذى ساقه القدر اليه كى يمنحه المبلغ.. كل ما هنالك هو أن هاجسا خفيا أوحى له بذلك ، فكان هذا الايحاء كافيا لان يطمئنه !

وقال يسأل الفتاة فى لهجة من يبرم صفقة : ((متى تريدين هذا المبلغ ؟))

واخفقت ابتسامة .. تنم عن جشع وعن استهواء وسرور — فى أن تتوارى ، وانما سرت فى قسمات وجهها ، حتى انتهت بأن رفعت طرفى فم ((سانتينا)) الواسع ، ورسمت غمازتين على خديها النحيلين المكسوين بالمساحيق . وقالت : ((ان الامر متوقف على ما تراه أنت .. أليس كذلك ؟ .. متى ترى بوسعك تدبيره ؟))

فقال((جانماريا))معارضا،وهو تواق الى أن يظفر باعجابها : ((ان الامر ليس بهذا الوضع .. حددى أنت الموعد الذى تحتاجين فيه الى المبلغ !))

وأجابت ، وهى لا تزال تصطنع الارتباك والحرج : ((ولكنى لا أدرى .. الليلة ، أو صباح باكر ..))

فقال جانماريا ، فى تصميم : ((بل الليلة !..اتفقنا ، اذن !.. ستحصلين الليلة على المبلغ .. والآن ، هيا بنا !))

ونهض ، وهو يتخذ مظهر الرجل المسيطر على نفسه ، وعلى سواه ، وعلى الظروف ، وألقى بقطعة من النقود على المائدة ، ثمنا للشراب .. ولكن الفتاة قالت محتجة ، اذ كان عليها — فى هذه المرة — أن لا تتحمس للانصراف : ((وفيم العجلة ؟ .. أفلا نستطيع ان نمكث قليلا ؟)) . وكان جوابه أن لا بد له من التعجل ، اذا أريد توفر المبلغ قبل المساء . وهنا لم تجد الفتاة

سبيلا الى الاعتراض ، فتبعته فى صمت ، الى خارج المقهى .

* * *

• **على** أنهما لم يكادا يبلغان الطريق ، حتى أمسكت الفتاة بذراع الفتى ، وقادته نحو منطقة معتمة ، مليئة بالحدائق المهجورة ، على طول ضفة النهر .

وقالت بصوت خافت ناعم ، وهما يسيران جنبا الى جنب ، بين ظلال الاشجار التى حفت بها الرطوبة ، واسمر لونها ، وتعرت من أوراقها : « ترى كيف أوفيك جزاءك عن هذا الكرم الذى تغمرنى به ؟ » .. وصمتت برهة ، ثم عادت تقول : «لقد فعلت من أجلى ــ بعد تعارف لم يمض عليه أكثر من يوم واحد ــ ما لم يفعله أى شخص فى عمرى بأكمله .. أواه ! .. ما أجمل أن يصادف المرء ــ بين الحين والآخر ــ أناسا فى مثل طيبتك ! »

وبعث هذا التقدير والاطراء ، شيئا من الاضطراب فى نفس جانماريا .. اذ أنه كان يكره أن يسمع أى تعليق ، على ما يستطيع أن يبديه من شهامة . وكان ــ فضلا عن ذلك ــ يؤثر أن ينال التقدير قبلات وليس كلاما .. قبلات من ذلك النوع الذى أذاقته اياه فى البداية . لذلك توقف عن السير فجأة ، وأمسك بذراعها ، وقال : « امنحينى قبلة ! »

وحملقت فيه « سانتينا » مأخوذة ، ثم شرعت تصده ، وهى تقول كالمحمومة : « ها أنت ذا تكشف عن نفسك . انك تريد أجرا فى مقابل نقودك ! » . ودفعته عنها ، قائلة : « انك على شاكلة الآخرين .. بل انك لا تحترم ظروفى ! »

وعض « جانماريا » على شفته ، وهو يقول لنفسه : « انها على حق .. فأنا أمثل دور الشهم المنافح عن الفضيلة ، ثم أحاول أن أتقاضى ثمن عطفى ، كما يفعل الآخرون جميعا ! » .. وأفلتت الفتاة وهو مستاء من نفسه ، غاضب من تصرفه ، واتكأ على حافة السياج المطل على النهر ، وانحنى يرقب الماء ..

واقتربت منه « سانتينا » لفورها ، وهمست فى قلق ، وقد تهدج صوتها :«أرجو أن لا تكون مستاء منى . . أمستاء أنت؟» . وأمسكت بيده ، وسلكتها خلف ظهرها ، بحيث أصبحت ذراع « جانماريا » محيطة بخصرها ، وقالت : **« اننى لا أشعر – فى اللحظة الراهنة – باستعداد لذلك ، ولكننى فيما بعد . . عندما أتحرر من نيجرينى وتلك المرأة كوكانارى ، وأحصل على عمل ، وأطمئن الى أننى سأكون قادرة على أن أدفع نفقات علاج أمى . . اذ ذاك سأكون لك . . لاننى أحبك ، كما تعلم . فلا تظن أننى لا أميل اليك . لسوف نستأجر – اذ ذاك – غرفة صغيرة ، بديعة ، أوافيك فيها كل يوم ، فنتطارح الهوى ، وأهبك نفسى . . لك وحدك ، وليس لمخلوق سواك ! »**

وراح « جانماريا » يقول لنفسه ، وهو يصغى اليها : « ياله من مزيج عجيب ، من البراءة والفساد . . من الرقة والتهتك » . . وقويت فى نفسه الرغبة فى أن ينقذها من الرذيلة . ثم رآها تستدير وتطيل التحديق الى نهر (التيبر) ، مستغرقة فى تأمل المياه المنسابة . ولم يكن فى وسعهما أن يريا ، فى تلك المساحة من الماء ، التى كان الظلام يشتد فوقها ، والتى امتدت فى أسفل الضفة الطويلة المنحدرة ، سوى لمعان ينساب متسللا وئيدا . . وسمع « جانماريا » الفتاة تتمتم وكأنها تحدث نفسها بصوت خفيض ، وهى مستغرقة فى التأمل : «ومع ذلك ، فكم يبدو لى أن أسهل حل ، هو أن ألقى بنفسى من فوق هذا الحاجز ، وأترك التيار يجرفنى . . وفى اليوم التالى ، تقرأ فى الصحف : « عثر على جثة فتاة مجهولة ، بالقرب من جسر جريبالدى » ! . . ولسوف تتأثر لحظة ، ثم تنسى كل شىء . . « ألا ترى أن هذا أسهل ؟ »

وهز « جانماريا » رأسه ، قائلا : « لا . . لن يكون هذا هو الحل الاسهل . ثم ، ما الجدوى التى ترينها فى ذلك ؟ . . ان الحياة جميلة ! » . **وشعر وهو يقول ذلك ، بأنه لم يقل**

يوما ما هو أصدق ، ولا ما هو أكثر انبعاثا من قلبه ، من هذه العبارة الاخيرة ، فعاد يرددها : « أجل ، ان الحياة جميلة ! » وأحس بهناء .. وألصق فخذه بفخذ « سانتينا » العجفاء الجامدة ، ثم أردف قائلا : « لننصرف ، فقد آن الوقت كى أمضى فى مهمتى ! »

وغادرا الحدائق ، وسارا حتى بلغا بداية الجسر ، فافترقا . ويممت « سانتينا » شطر النزل ، فى حين عبر « جانماريا » الجسر ، فى طريقه الى الضفة الاخرى ، حيث كان عمه يقيم .

* * *

• **كان** ثمة تمثالان قديمان ، انثنت أذرعهما المفتولة فوق رأسيهما ، تحمل شرفة من الرخام .. وقد سودتهما طبقة كثيفة من الغبار ، تتخللها خطوط احتفرتها مياه الامطار .. وخلال الباب الكبير ، الذى قام تحت هذه الشرفة ، سار « جانماريا » بعد أن فارق «سانتينا» بعشر دقائق . واستطاع أن يتبين ــ خلف الباب الكبير ــ ساحة تكسوها نباتات قائمة ، تتوارى بينها نافورة كان خرير مائها يتردد فى صدى متضاعف ، حتى السقف الرخامى ، الذى يعلو المدخل .. وخلف هذا المدخل ، كان ثمة سلم عريض الدرجات ، مكسو ببساط أحمر ، يفضى الى الطبقات العليا . فصعد « جانماريا » أول صف من هذه الدرجات ، واجتاز عرصة لا تتخللها أبواب ، وتحف بها فجوتان فى الجدار ، استوى فيهما تمثالان مغبران من الفخار ، كأنهما رقيبان على كل قادم .. ثم صعد الفتى صفا آخر من الدرجات أضيق من سابقه ، وأشد انحدارا ، وعبر ردهة تحف بها نوافذ تطل على ساحة الدار ، ثم بلغ ــ أخيرا ــ بابا صغيرا ، لا يحمل لوحة باسم القاطن . فدق الجرس .

وفتح له الباب خادم فى أوسط العمر ، لا يرتدى زيا رسميا ، وانما كان فى حلة رمادية قاتمة ، ذات ياقة منتصبة ، صلبة ،

بدا فيها كرجال الكنيسة .. وما أن سمع اسم « جانماريا » حتى دعاه للدخول ، فى وجوم ورصانة ، وتمتم فى ضيق : « سأذهب فأرى ما اذا كان الكونت موجودا » . واختفى ، مغلقا خلفه بابا ذا طلاء أبيض. على أن الانتظار لم يطل بجانماريا، فقد برز الخادم نفسه ـ بعد لحظة ـ وفتح مصراعى الباب ، ودعاه الى أن يتبعه . وهكذا اجتازا حوالى ست حجرات ، أسدلت على نوافذها ستائر حمراء وفرشت بأثاث ضخم عتيق، أسود اللون ، مطعم بزخارف من العظام .. بينما ازدانت الجدران بصور مصونة وراء الزجاج ، فى اطارات كانت ـ هى الاخرى ـ سوداء اللون !

وبلغا ـ أخيرا ـ حجرة مضاءة ، مستديرة ـ كأنها حجرة الهيكل فى كنيسة ـ ذات سقف أبيض مبطن ، تحف بها دائرة من الاعمدة ، استوت فى المسافات التى تتخللها، تماثيل قديمة، على حوامل من رخام . وكانت ثمة منضدة مربعة من المرمر ، تستقر على تمثالين من البرونز ، صيغا على صورة أبى الهول، وأوتيا أجنحة. . وقد قامت هذه المنضدة فى منتصف الحجرة، فى الموقع الذى كان يحتمل أن يقوم فيه المذبح ، لو أنها كانت حجرة الهيكل ! .

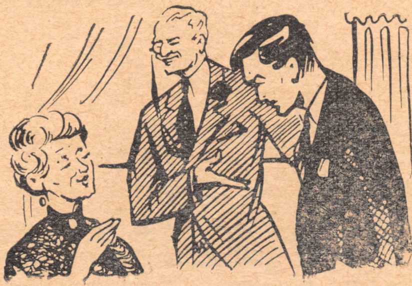
والى هذه المنضدة ، جلس شخصان : عم جانماريا، وسيدة مسنة ، فى ثياب الحداد ، يتدلى على جانبى وجهها طرفا وشاح انساب من قبعة من طراز قبعات « مارى ـ ملكة اسكتلندا »، بينما غابت يداها فى قفازين أسودين ، وأحاط بعنقها المجعد شريط أسود .

وبدا عم جانماريا ـ فى مظهره وأخلاقه ـ كصبى حطت عليه خمسون عاما ، على حين غرة ـ دون أن تتاح له المراحل الانتقالية ، بين الشباب ، وأوسط العمر ، ثم الشيخوخة ـ وجلبت فى أذيالها ملحقاتها : من شيب ، وتجاعيد ، وجهامة ، وضيق لا سبيل الى كتمانه، وعقد نفسية تتبلور على المحيا !..

وكان طويلا ، نحيلا ، فى حلة رمادية صيغت سترتها بحيث تتماسك حول عوده ، ورباط رقبة زاهى اللون ، وزهرة فى صدره .. أما وجهه ، فكان لطيف القسمات ، بادى الضجر ، محتفظا بنضارته رغم عوادى السنين ، تتخلله عينان زرقاوان غير جميلتين ، وأنف انحرفت ذؤابته الى أعلى !

وما أن رأى الرجل ابن أخيه ، حتى ندت منه اشارة تنم عن دهشة ، ونهض على قدميه ، ملوحا بيديه ، مرددا : « ماشاء الله ، ما شاء الله ، ما شاء الله ! » . وكان السقف يردد صدى صوته الرفيع الحاد ، فى كل مرة يكرر فيها العبارة .. « ما شاء الله ! .. من كان يتصور أننى سأراه ! .. تصورى ! » . وكان يحاول – فى الوقت ذاته – أن يثبت على عينه عدسة « مونوكل » تدلت فى طرف شريط أسود ، ثبت فى عروة سترته .. ولكنه لم يفلح لفوره ، أما لاضطراب حركته ، واما لاضطراب عواطفه ! .. وعندما وفق – فى النهاية – الى تثبيت العدسة بين حاجبه وخده ، قدم « جانماريا » الى السيدة العجوز ، التى كانت أميرة تحمل لقبا رومانيا ، واسما انجليزيا !

وقال لها فى صوت متهدج بالعواطف ، وهو يشير الى جانماريا : « انه .. انه ياعزيزتى اديث .. تصورى انه الابن الاكبر لاخى المسكين ، الذى مات منذ عامين ، كما تعلمين ! ..



انه ينتمى ــ من ناحية أمه ــ الى آل « لورنتى » .. انك تعرفين آل « لورنتى » فى (لوكا) .. لقد ولدت زوجة أخى فى فرع « سافيللى » من هــذه الســلالة .. لست أعنى أسرة «سافيللى» المقيمة فى (أنكونا) ، وانما تلك التى تقيم فى (سيينا)، طبعا .. انه الفرع الرئيسى ، الذى تنتمى اليه كذلك « لورا سافيللى » .. تلك التى تزوجت من « لويجى كاربنيا » ، فى الشتاء الماضى .... »

وكان يدلى بهذه الانساب بسرعة ، وبصوت خفيض ، وكأنه يدلى بايضاح قليل الاهمية ، ولكن لا بد من أن يسوقه ليجلو الموضوع الرئيسى ! .. على أن السيدة العجوز لم تكن تنصت اليه ، اذ حولت وجهها المتهدل البشرة ــ المكسو بالنمش والشعر الابيض ــ نحو « جانماريا » ، وراحت ترمقه بنظرات انبعثت من عينين رماديتين ، حادتين .. وأسلمته يدها ليقبلها ، بينما كان عمه يردد فى لهجة بدا منها أنه كان يصطنع الدهشة ليخفى العتاب : « مرحى ، مرحى ، مرحى ! .. ترى لاى أمر أنا مدين بهذه الزيارة التى شرفتنى بها على غير ارتقاب ؟ .. بدون اخطار، ولا اتصال تليفونى ، ولا كلمة .. كأنك تهبط على من السماء ! .. بديع ، بديع .. أرأيت يا أديث ؟ ! » .. وتحول الى العجوز مستطردا : « أرأيت نهج أولاد الجيل الناشىء . انهم لا يعرفون معنى لكلمة « الاحترام » ، أو آداب السلوك .. كل هذه أشياء ولت وانقضت .. عادات عتيقة عفى عليها الزمن . أفكنت تتصورين أن أجرؤ ــ وأنا فى سنه ــ على أن أزور ، على غير توقع ، دار عم لا أكاد أعرفه .. بل عم لا تكاد تكون بينى وبينه صلة ؟ .. لقد كان مثل هذا التصرف بعيدا عن العقل . ولكن الزمن تغير . بديع ! .. ماذا تحب .. قدحا من الشاى وكعكة ؟ »

ولكن السيدة العجوز لم تبد ميلا الى الاخذ برأى صاحبها ، فى تربية « جانماريا » ، بل قالت للفتى ، وهى تبتسم : « لقد كنت على صواب حقا ، فلا حاجة البتة الى الكلفة والمظاهر بين

الفتيان والاعمام.. وفوق هذا فانه يبدو – يا ماتيا – صريحا ساذجا ، لا يعرف التظاهر والرياء ، كما كنت أنت فى صغرك ، فيما أعتقد ! »

وأثارت هذه الكلمات قهقهة عالية انبعثت من العم ماتيا . وقال : « لا بأس ، لا بأس ! .. حقا ، لا بد لك من أن تتصرف على هذا النسق دائما ، لا سيما وأنت ترى الاميرة تقره وتحبذه » ثم أردف ، وهو يرمق الفتى ، بسخرية ماكرة : « والآن ، أتراهم جميعا بخير فى (أريتسو) .. أعنى أمك وأشقاءك وشقيقاتك ؟ »

فأجاب جانماريا ، وقد استقر على أحد المقاعد : « أجل .. انهم جميعا بخير ! »

– بديع .. رائع ! .. والآن ، ما الذى تراك تفعله ؟ .. أتتلقى الدروس فى المدرسة ، وتذهب لمشاهدة مباريات كرة القدم ؟

فأجاب جانماريا ، وقد تضرج وجهه : « اننى فى الجامعة أدرس لاعد نفسى للسلك الدبلوماسى . على اننى لم أشهد بعد مباراة من مباريات كرة القدم »

– وأين تنزل ؟ .. أين تقطن ؟

– فى « بنسيون همبولت »

فكرر عمه الاسم ، فى دهشة بدا أنه كان مبالغا فيها : « بنسيون همبولت .. أعترف أننى لم أسمع قط عن « بنسيون همبولت » هذا .. أتعرفين « بنسيون همبولت » يا أديث ؟ »

وخفت العجوز الرحيمة الى نجدة جانماريا مرة أخرى ، اذ صاحت : « صه يا ماتيا ! .. لاتكن قاسيا بهذا الشكل ! .. ألا ترى الصبى المسكين يتململ وكأنه يجلس على دبابيس وابر ؟ .. اننى أوقن من أن « بنسيون همبولت » نزل بديع ! »

فقال العم : « جميل جدا ! .. لنذهب – فى هذه الحال –

فنقم فى « بنسيون همبولت » .. وأنت كذلك يا اديث ! »
وران صمت برهة ، ثم عاد العم يثبت عدسته المفردة ، بين حافتي محجر عينه ،وأخذ ينعم النظر فى جانماريا. ومالبث ان قال : **« انك لم تخبرنى بعد بسبب هذه الزيارة السارة ، غير المرتقبة .. فلا بد من أن ثمة باعثا حفزك عليها . لاتقل أنك جئت مدفوعا بشوقك الى .. ! »**
وقال « جانمازيا » معترفا ، وهو مرتبك : « لقد جئت لغرض حقا ، ولكنى آسف اذ لا أستطيع أن أفضى اليك به مباشرة ، هكذا .. لسوف أحتاج الى أن أحدثك فى خلوة !»
والتفت « العم ماتيا » مزهوا ، وهو يلتفت الى صديقته : « أرأيت كيف اننى عالم نفسى رائع ، يا اديث ! » .. ثم التفت الى جانماريا ، وقال : « ولكن ، فيم تريد أن أحدثك فى خلوة ؟ تستطيع ان تقول كل مالديك ، دون حرج ، أمام الاميرة .. فهى توأم نفسى .. اننا روحان فى جسد واحد ، أو بالاحرى .. » ، وبادر مصححا ، فى لهجة معتذرة : « جسدان لهما روح واحدة ! »

* * *

• **وتطلع** جانماريا الى عمه ، ثم الى السيدة العجوز ، فى تفكير . ونهضت الاخيرة عن مقعدها ، وهى تقول : « اذا شئتما أن تتحدثا ياماتيا ، فسوف أنصرف .. ان الفتى المسكين محرج لوجودى ! »
فقاطعها عمه فى تأكيد ، وهو يرد السيدة الى مقعدها : « أبدا .. أبدا . لن تتحركى ، ولسوف يتكلم فى حضورك . ماكل هذا ؟ .. كأنما ثمة أسرار أكتمها عنك ! »
وتردد جانماريا ، ثم تغلب على احجامه ، اذ خطر له أن السيدة العجوز كانت فى صفه ، وأن وجودها لن يضيره ، بل انه قد يكون فى صالحه . وشرع يقول وهو كاره : « لابأس

اذن .. هذه هى المسألة ! » . وهنا ، أخذ يتكلم بعجلة — بسرعة بالغة — وهو يروى أكذوبته ، دون التباطؤ والوقفات المألوفة عند وصف شىء يكون قد حدث فعلا : « لقد كنت مع عدد من الاصدقاء — فى الليلة الماضية — فانسقنا الى المقامرة ... »

وهنا قاطعه عمه، وقد تبدى الفضول على وجهه الذى ينم عن نزوات شهوية : « الى ماذا ؟ » . فقال جانماريا لفوره : « الى البوكر ، و .. حسنا ، لقد خسرت مبلغا كبيرا .. ألف ليرة .. والآن ، انني مضطر لان ادفع المبلغ فى خلال أربع وعشرين ساعة ، ولكنى لا أحمل معى نقودا . لذلك جئت أسألك أن تقرضنى ، ولسوف أكتب الى الاسرة وأسألها أن ترسل لى المبلغ ! »

وتوقف وقد غشيه شعور بأنه قد أساء التعبير عما بنفسه ، بدرجة غير مقنعة .. وكانت السيدة العجوز تتأمله، وهى بين الدهشة والتسلى الفكه ، بينما راح عمه يتفرس فيه متفحصا ، خلال عدسته . ثم شرع العم — فجأة — فى القهقهة ، ودق بيده على المنضدة قائلا : « يالها من قصة بديعة ! .. بوكر ، ألف ليرة ، أربع وعشرين ساعة للدفع ، العم المثرى الذى يقدم النقود فورا لينقذ شرف الاسرة ! .. يالها من قصة عجيبة .. تماما كالاقاصيص التى كانت شائعة منذ عشرين عاما .. هذا بينما كنت منساقا للوهم بأنك شاب حديث « مودرن » ، رياضى .. واسع العقل ، كما يقولون اليوم .. كنت أحسبك ذكيا ! .. »

وضحكت السيدة العجوز ، وان لم يتجل عليها انها كانت كالعم فى عدم تصديق الرواية ، أو انها رأت فيها مادة للتفكهة فحسب . أما « جانماريا » ، فقد تضرج وجهه حتى بلغ الدم منابت الشعر .. وود لو انه لم يفتح فمه اطلاقا .

وقال متلعثما فى النهاية : « ألا تصدقاننى ؟ »

وقال عمه ، وهو لايزال مغرقا فى الضحك : « لست أصدقك طبعا .. يحسن بك أن تنظر الى شكلك فى المرآة . انك لم تؤت مظهر الفتى الذى خسر ألف ليرة فى « البوكر » .. أليس كذلك يا اديث ؟ »

وهزت العجوز رأسها ، وقالت فى معابثة ماكرة : « بلى.. انه ليبدو كشخص يبدد النقود على شىء آخر » . ورمقت جانماريا بعينها الحادة الرمادية ، وهى ترميه بنظرة كتلك التى اعتادت أن ترميه بها مديرة النزل كلما تحدثت اليه .

وعاد عمه يقول : « كان من الافضل أن تقول انك بحاجة الى ألف ليرة ، لسبب يعرفه الله ، ولا أحب أنا أن أعرفه .. كان هذا اكرم من ان تختلق هذا اللغو . آه من هذا الجيل الحديث ! .. الحق أننى كنت أدرك انه أقل مما يذيعون عنه ! »

وود جانماريا أن يحرجه ، فيأخذه بقوله . ومن ثم قال مؤكدا : « حسنا ، اذن .. ليكن ماترى . اننى بحاجة الى ألف ليرة .. بحاجة عاجلة الى هذا المبلغ ، فهل تستطيع أن تقرضنيه ؟ »

ورأى عمه يشير دلالة الرفض ، ثم يردف قائلا : « ليس بوسعى أن أقرضك طبعا .. الف ليرة ؟ ! .. لو اننى كنت أملك ألف ليرة ، لكنت من أصحاب الاموال ، كما يقولون فى (روما) .. ألف ليرة ، وفى هذه الاوقات ؟ ! .. من اين لى هذا المبلغ ؟ .. هذه هى المشكلة . ثم ان اليوم يوم الاحد ، والمصارف مغلقة ! »

وكأنما كانت الدموع تجرى فى صوت جانماريا ، وهو يقول : « اذن ، فليس بوسعك أن تقرضنى ؟ »

ـ لقد قلت لك اننى لا أستطيع ، ولكن ..

والتفت نحو الاميرة ، فى حركة مازحة ، وهو يقول :

« ولكن لك أن تسأل الاميرة ، فان قلبها قد لان لك فعلا، وربما كان لديها المبلغ فى كيسها ... »

وعند هذه الكلمات ، أبرقت عينا جانماريا بالامل ، فلما رأت العجوز ذلك ، اشتد بها الاستياء ، وأسرعت تلوم ماتيا قائلة : « لابد أنك جننت يا ماتيا .. يا للفتى المسكين ! .. لقد كنت على استعداد لان أمنحه المبلغ فعلا . ولكن ألف ليرة مبلغ باهظ فى هذه الاوقات العصيبة ، كما تقول ... »

وقال جانماريا لنفسه : « من الجلى انه لن يعطينى شيئا ، ولو اننى مكثت ، فسأجعل من نفسى أضحوكة » . وكانت هذه الفكرة كافية لان ترد اليه الهدوء الذى كانت سخرية عمه ، وغضبه هو لخيبة أمله ، قد أفقداه اياه . لذلك أسرع ناهضا ، وقال : « الا اسمح لى بالانصراف ياعمى ! »

فقال عمه وهو ينهض بدوره : « آه ، لا .. لا ! »

ولكن جانماريا أصر قائلا : « بل اسمح لى بالانصراف » . وانحنى ليقبل اليد التى بسطتها اليه السيدة العجوز . فقالت هذه : « يجب أن تأتى لزيارتى . اننى أقيم فى رقم ٧ بميدان كامبيتيللى . ولا تظن أن عمك قاس ، بل ان كل مافى الامر أنه مولع بالمزاح . ثم لاتنس انه برفضه اعطاءك النقود ، ربما منعك من الاقدام على عمل ينم عن سفه . اننى أراهن على انك تريد المبلغ لامر يتعلق بامرأة ! »

وهنا قال عمه، وهو يمزح الى النهاية : « كان من الخطأ أن لا تذكر لى ذلك بصراحة ، لاننى ـ فى هذه الحال ـ كنت خليقا بأن أرفض اعطاءك المبلغ .. كذلك ! » . ولكنه بدا مرتاحا لانصراف ابن أخيه ، ولم يرافقه الى أبعد من الغرفة المجاورة . فهناك ، برز الخادم ذو الحلة الرمادية ، وكأنما انشقت عنه الارض .

وأسرع « جانماريا » الى البهو ، وهو يتحرق غيظا وشعورا

بالصغار ، فارتدى معطفه فى عجلة محمومة ، وغادر المكان !

* * *

• « **والآن** .. ترى بأى وجه أقابل «سانتينا» ، وأقول لها : لشد ما أنا آسف ، اذ عجزت عن أن أدبر المبلغ » ؟ .. كان هذا هو ما جال بخاطر « جانماريا » ، وهو يشق طريقه خلال الطرقات ، ميمما شطر النزل .. وأحس بأنه لن يبدو كمدع مغرور فحسب ، بل انه كان ــ فوق هذا ــ مذنبا ، أرتكب ذنبا عظيما .. فلقد تخلى بقسوة عن فتاة فقيرة اعتمدت عليه ، وتطلعت اليه كمنقذ ومحرر !

ومع ان هذه الافكار المريرة طردت من ذهنه صورة ذلك الاستقبال الجافى الذى لاقاه من عمه ، الا انها ضاعفت من حنقه على عمه ، ومن شعوره بالحسرة من أجل «سانتينا» .. على انه ــ حين أشرف على البنسيون ــ كان أكثر شعورا بالخزى والمهانة ، منه بالحنق والغضب . وكان ــ الى جانب ذلك ــ يشعر بالارهاق ، من جراء التجارب والاحداث المتباينة ، التى مرت به فى هذا اليوم المشئوم من أيام الاحد .. كان يشعر بأنه منهوك القوى ، مهشم الاعصاب ، حائرا مشتت الحواس .. كان يشعر بأنه فتى صغير ، بعد أن كانت النشوة قد أغرته بأن يعتقد أنه أصبح رجلا ، عزيز الجانب ، واثقا من نفسه .

ثم جاءت القشة الاخيرة ، لتتم انهيار اعتداده بنفسه .. وكانت حدثا غير ذى قيمة ــ فى حد ذاته ــ ولكنه كان حاسما ، لارتباطه بالوقت .. ففى اللحظة التى بلغ فيها حزنه وتعاسته أقصاهما ــ وهى اللحظة التى ولج فيها بهو النزل ــ دوى الرنين المعدنى الاجوف العميق ، المؤذن بالعشاء .. ولقد اعتاد دواما أن يكره هذا الضجيج السخيف ، لانه كان يبدو وكأنه نذير يوحى بشر مستطير لايدرى كنهه ، وليس مجرد تنبيه الى

موعد وجبة متواضعة ، فى نزل يسوده جو عائلى . فلما انبعث الدوى المشئوم ، فى تلك اللحظة بالذات ، اذا به يحطم أعصابه المتعبة تحطيما ، اذ رسم أمام عينيه صورة حية لقاعة المائدة ، التى لابد أن يكون النزلاء قد خفوا اليها ، وبينهم نيجرينى ، والمرأة كوكانارى ، و « سانتينا » !

وأسوأ من هذا ، ان «نيجرينى» سوف يوجه اليه الحديث ، من حيث يجلس الى مائدته ، بما له من تودد وتملق المخادعين .. ولسوف تبتسم اليه المرأة كوكانارى وتحملق فيه بعينين ملطختين بالكحل .. وربما كانت فى انتظاره مزحة جديدة ، كتلك الدعابة التى أكل فيها الصابون ! .. ثم ، وفى خلال كل هذا ، ستكون هناك « سانتينا » ، ترمقه بنظرات متسائلة ، زاخرة بالامل وبالقلق !

كل هذه الخواطر راحت تتوالى فى ذهنه ، تطارد كل واحدة منها الاخرى ، بينما كان الرنين يتتابع فى الردهات ، وكأنما كانت الخادم ـ الموكلة بطرق الصفحة المعدنية ـ تطرقها فى عنف نكاية به ! .. وراحت الطرقات تزداد ارتفاعا باطراد ، حتى بلغت أقصاها ، ثم تلاشت بعد طرقتين أو ثلاث طرقات نهائية . وما ان عاد السكون يسيطر على الردهات ، حتى استحث « جانماريا » ذهنه على اتخاذ قرار سريع ، هو : **أن يتفادى رؤية « نيجرينى » و « كوكانارى » و « سانتينا » وبقية النزلاء .. وان يطلب احضار العشاء اليه فى حجرته .. ولو الليلة فقط !**

وخطر له أن ينهى هذه الرغبة الى احدى الخادمات ، ولكن عينيه وقعتا ـ فى تلك اللحظة ـ على كلمة « المكتب » على اللوحة المثبتة الى باب حجرة المديرة ، فتراءى له أن أسرع الطرق وأسهلها ، هى أن يخطر المديرة برغبته . **لذلك سعى الى بابها وطرقه . وفى هذه المرة ، سبق انبعاث الصوت العذب المغرد بكلمة « ادخل » ، تباطؤ طويل ، وحفيف ثياب تخلع**

أو تلبس ، وخطوات قدمين عاريتين على البساط . ثم سمع الصوت المنغوم ، فدفع الباب ، ودخل .

وكانت المديرة تقف الى جوار المدفأة ، التى كانت تستعر فى موقدها نار عالية اللهب . وبدلا من الثوب الاسود المعهود. كانت المديرة ترتدى ثوبا منزليا طويلا ، وردى اللون ، وشيت حوافه بالفرو الابيض . ومن الطريقة التى كانت تشد بها الثوب حول خاصرتها ، ومن شعرها المشعث ، ومن التورد الخفيف الذى شاب خديها الشاحبين — عادة — ومن بعض قطع الثياب الداخلية ، التى لم تجد وقتا لاخفائها ، فتركتها ملقاة على الاريكة .. من كل هذه ، تبين « جانماريا » ان المديرة لم تكن قد استكملت ارتداء ملابسها . ووقع — كذلك — على اكتشاف بدا له مهما ، وان لم يدر السر فى أهميته .

فلقد لاحظ انها فى وقفتها المنتصبة ، وهى فى ثوب المنزل ، وقد بدت مشعثة — بعض الشىء — وغير متخذة زينتها ، ومتخلية عن هدوئها العميق المألوف .. لاحظ أنها — فى هذا الوضع — كانت وافرة الجمال حقا . وسمع نفسه يقول ، وهو مرتبك: « لكم أنا آسف ، ولكنى شئت أن أقول إننى لن أتناول العشاء الليلة فى قاعة الطعام ، وانما سأتناوله فى حجرتى »

ولم تكن المرأة قد تمالكت نفسها بعد ، ولا اختفت الحمرة الخجلى من وجنتيها تماما .. بينما كان صدرها العريض اللين ، يصعد زفرات حافلة بالعواطف الجياشة . وتطلعت الى « جانماريا » فى صمت — اكتسابا للوقت — وراحت تهز رأسها . ثم قالت فى النهاية : « ولماذا تريد أن تتناول الطعام فى غرفتك ؟ .. أفهذا لانك تشعر بوعكة ؟ »

واضطرب « جانماريا » ، وقد تولاه شوق صبيانى سخيف ، الى أن يفضفض اليها بكل أمره . وأجاب والعبرات تحشو حلقه : « بل اننى بخير تام ، ولكننى منحرف المزاج ، ولا أحب أن أرى أحدا ! »

ورددت المديرة برفق ، وهى تتأمله : « منحرف المزاج ؟ .. أفهذا لانك تلقيت أنباء سيئة من الاسرة ؟ »

فأجاب « جانماريا » باقتضاب : « لا ، وانما لسبب آخر! » .. وكان أعجب مافى الامر ، أنه لم يشعر بأنفه ميل الى أن يبارح الغرفة الصغيرة ، المريحة ، الدافئة . وأردف ، دون تفكير : « بسبب المال ! »

وقالت فى اشفاق : « بسبب المال ؟ .. هل أنضب مواردك أن دفعت الحساب ، فى الليلة السالفة ؟ .. أفتحب أن أرد اليك النقود ؟ .. تستطيع أن ترجىء الحساب الى نهاية الاسبوع المقبل »

وحار « جانماريا » فى الجزم بما يحسن به أن يفعله . وتولاه انفعال طاغ .. أفيحسن به أن يفضى بكل أمره الى امرأة لم يكد يعرفها ؟ .. ووجد نفسه يقول ، فى النهاية : « آه ، لو ان الامر اقتصر على هذا المبلغ ، لكان هينا . ولكن المبلغ الذى يعوزنى أكبر من هذا بكثير »

* * *

وتولت المديرة ــ فجأة ــ لهفة ملحاحة ، فقالت : « قل لى كم يعوزك ؟ .. فاذا كان بوسعى ، واذا كنت أملك المبلغ ، فسوف يسرنى أن أقرضك اياه »

ومرة أخرى ، عاد « جانماريا » يسأل نفسه عما يحسن به أن يفعل .. على ان انفعالا عاطفيا غريبا ، لاقبل له بالسيطرة عليه ، ازدحم فى حلقه ، وشعر بنفسه مدفوعا الى أن يتخلص منه بأن يفضفض الى المرأة بسره ، كما لو كانت أما رءوما حانية . لذلك قال بصوت مختنق ، وهو يحدق فى عينيها السوداوين الثابتتين : « اننى أحتاج الى ألف ليرة »

وظلت لحظة صامتة، وهى ترمقه فى قلق . وخطر لجانماريا أن المبلغ كان ضخما ، فقال وقد تضرج وجهه : « انك جد

كريمة ، ولكنك قد لاتستطيعين أن تقرضينى هذا المبلغ ، ولذلك .. » . وأشار بيديه فى حركة عصبية ، وكأنه يريد أن يقول : « لذلك أرجو أن لا تشغلى بالامر ! » . على أنه لم يقو على الكلام ، وظل بادى الاضطراب والاستياء .. **وفجأة ، تقدمت المرأة خطوة نحوه ـ وكأنها تسير فى نعاس ، مسلوبة الارادة ـ ورفعت احدى ذراعيها نحو « جانماريا » . وشعر الفتى بغتة بلمسات تلك اليد الرطبة الرقيقة ، تمسح على شعره وخديه . وسألته أخيرا ، دون أن تكف عن لمساتها الرفيقة : « هل تسر حقا ، اذا أنا أقرضتك النقود ؟ »**

وتضرج وجهه قليلا ، اذ رمقته المرأة بنظرة تكاد تصرخ بالضراعة والرجاء . ثم سحبت يدها بسرعة ومباغتة ، وكأنما لسعتها نار حامية ، وتركتها تهوى الى جانبها !

وكشفت اللمسات الحانية لجانماريا ـ أخيرا ـ عن سبب المسلك الغريب الذى أبدته المديرة نحوه. فقال لنفسه : « أنها تحبنى ! »

ولم يدر أيغتبط لذلك ، ويستجيب لشعورها ؟ .. ولكن الشىء الوحيد الذى كان يدريه عن يقين ـ بومضة من تلك الومضات الخبيثة التى تتألق فى أذهان المراهقين ، بوجه خاص ـ هو أن شعور المرأة نحوه ، قد انبعث فى اللحظة المناسبة ، وأن من الممكن أن يفيد منه . فقد كان من الجلى أنه ليس بحاجة الى أكثر من أن يحتمل هذا الشعور ، حتى يحصل على النقود التى يريدها .. لذلك أجاب وهو مبهوت ـ بعض الشىء ـ لجرأته ، عاجز عن أن يصرف نفسه عن التطلع الى عينى المرأة بنظرات مباشرة ، فيها تسلط ، وفيها تملق .. فى آن واحد :«أجل،لسوف أسر كل السرور ، لاننى بحاجةماسة الى المبلغ ! » .

وولته ظهرها ، بدون أن تنبس ببنت شفة ، وسارت الى المكتب ، ففتحت أحد أدراجه ، وأخذت تنبش فيه . ولكن

شكا غير مرتقب ـ كان من الجلى أنه من وحى تجارب السنين الطويلة ـ أوقفها عن العمل فجأة ، فوقفت جامدة ، لا تحير حراكا ، ويداها فى الدرج .. وقالت أخيرا ،وهى تلتفت نحوه، نصف التفاتة : « ولكن ، أواثق أنت حقا ، من أنك سترد الى المبلغ ؟ »

وما أن سمع هذه الكلمات ، حتى اندفعت الى خديه حمرة عميقة ، وقال لنفسه : « انهـا لا تثق بى ! » .. ووخزه الشعور بالاباء ، وبالكرامة الجريحة .. وتولته رغبة طاغية فى أن يقدم للمديرة ضمانا لا مراء فيه ، يؤكد أمانته . وجعله الحنق والارتباك يتردد لحظة ، ثم قال : «انتظرى ثانية واحدة ، لسوف أعود حالا » . وقبل أن تجد المرأة فرصة تفيق فيها من دهشتها ، كان قد غادر الحجرة .

وقطع الردهات عدوا الى غرفته . وهناك ، تناول حقيبة ثيـابه ـ من تحت السرير ـ وقلبـه يفيض بالغضب ، وراح ينتزع الاوراق التى كانت تملأها ، حتى عثر على علبة جلدية سوداء ، احتوت على أزرار لكمى وياقة القميص ـ رصعت بأحجار ثمينة براقة ـ كانت ملكا لابيه يوما. وأسرع الى غرفة المديرة ، وهو يجرى فى خطوات مجنونة ، واندفع داخلا فى هياج ، دون أن يطرق الباب ، فرمى العلبة على المكتب ، وقال : « ان هذه تساوى ثلاثة آلاف ليرة فى الواقع ، وربما أربعـة آلاف .. خذيها ، حتى اذا أعدت اليك المبلغ رددتها الى ! »

وكان يلهث ، وقـد تجهم فى ضراوة ، واحتقن وجهـه الصغير واشتدت حرارته ، واتقـدت عينـاه السوداوان .. **وبدلا من أن تحتج المرأة أو تعترض ، رمقته مليا،ثم ابتسمت فى عجب وحنان ، وتساءلت فى هـدوء : « لماذا تراك صاب الرأس ؟ » . وسكتت برهة ، لتدفع اليه بالورقة المالية التى كانت قد أخرجتها من الدرج فى غيابه ، ثم قالت : « اننى لم أقل ما قلت الا .. مجرد كلام . هاك النقود ، وخذ أزرارك ،**



فان بوسعى أن أطمئن اليك بدون كل هذه ..»
وبدون أن يفطن «جانماريا» الى ما كان يفعله ، أسرع بدس الورقة المالية فى جيبه ، بيد أنه رفض أن يسترد العلبة، قائلا : «لا ، لا .. استبقيها ! تستطيعين أن ترديها لى عندما تستعيدين النقود . أما عن العشاء ، فقد عدلت عن رأيى ، وسأتناوله فى قاعة الطعام . شكرا ، وعمى مساء !» . ودار على عقبيه بعد أن قال هذه العبارات ، أو بالاحرى لفظها فى تلعثم ، وعلى دفعات متقطعة .. وغادر الحجرة .

واذ صار فى الردهة ، أخرج حافظة نقوده من جيبه ، وتناول منها الورقتين الماليتين الاخريين — وقيمة كل منهما ألف ليرة — فطواهما مع الورقة التى أخذها من المديرة ، ودس ثلاثتها فى جيب «البنطلون» .

ثم سار فى خطوات معتدة، فدفع باب قاعة الطعام، وولج..

* * *

• وكان النزلاء قد فرغوا من نصف عشائهم تقريبا عند دخوله . وبادر نيجرينى قائلا فى حفاوة : «مساء الخير ، مساء الخير !» . ولكن «جانماريا» لم يجبه بأكثر من هزة مقتضبة من رأسه ، وسار الى مائدته مباشرة . ولقد حيته

المرأة « كوكانارى » ــ كذلك ــ بابتسامة مشرقة ، من فمها المعتم الملىء بالاسنان الذهبية . بيد أن « جانماريا » تظاهر بأنه لم يرها وثبت بصره على « سانتينا » .. وفى اللحظة التى تطلعت اليه فيها ، رمقها بنظرة محملة بالمعانى ، وكأنه يقول لها : « لقد حصلت على النقود ! » . ولاحظ أنها أصدرت اشارة مستترة ، أوحت بها اليه بأنها أدركت ما كان يرمى اليه ، فارتاح باله ، وشرع فى التهام طعامه .

وتخلفت المديرة عن الظهور ــ فى قاعة الطعام ــ فى ذلك المساء . على أن بال « جانماريا » كان منصرفا الى «سانتينا» كل الانصراف ، على كل حال . فراح يأكل ببطء ، وبحركات دقيقة ، كما لو أنه كان يستمرىء كل لقمة . ومكنه هذا من أن يشهد كل النزلاء ، وهم يبارحون قاعة الطعام واحدا بعد آخر . وكان آخر من نهضوا عن الموائد ، هم « نيجرينى » والمرأتان ، فنهض « جانماريا » بدوره ، واقترب من ثلاثتهم .

وسألته كوكانارى ، وهى تبسط اليه يدا بضة ، مثقلة بخواتم لا تقدر بثمن : « ما الذى كنت تفعله فى هذا النهار ، حتى انك اختفيت عن أبصارنا .. أفكنت مدعوا فى مكان ما ؟ »

فأجاب جانماريا مراوغا : « لقد كنت أمارس تدريبى العسكرى » . وكانوا اذ ذاك قد أصبحوا فى الردهة . وكما حدث فى اليوم السابق ، سار « نيجرينى » والمرأة « كوكانارى » أمام « سانتينا » و « جانماريا » ببضع خطوات ، فأخرج الفتى الاوراق المالية من جيبه ، ودسها فى يد الفتاة ، وقد طواها أربع طيات . وهمس : « هاك الثلاثة آلاف ليرة ! .. والآن ، سأذهب الى حجرتى ، وأنتظرك هناك ! »

واذ تناولت الفتاة الاوراق المالية ، ضغطت يده بقوة ، وكأنما قصدت بالضغطة أن تكون ميثاقا للتفاهم بينهما . وهمست : « شكرا » . وكانت ترتدى ثوبا رماديا من قطعتين ، قريب الشبه من زى الرجال ، لبست تحت سترته قميصا أبيض

من الحرير ، بدا – تحت قماشه الخفيف – ثدياها الصغيران المنتصبان ، وهما يرتجان مع حركاتها. وتمتم جانماريا موجسا، وقد رأى نيجرينى وكوكانارى يتورايان خلف انحناءة فى الردهة : « امنحينى قبلة ! » . وهم بأن يعانق الفتاة ، ولكنها دفعته عنها وهمست : « ليس هنا . فيما بعد .. فى غرفتك ! » . ثم ابتعدت مهرعة ، بخطوات خفيفة ، وتوارت عن بصره

وشعر « جانماريا » بمرارة الاعراض ، وبخيبة رجاء .. بيد أنه سار الى غرفته ، وتناول كتابا وعلبة سجائر ، ثم استلقى على الاريكة ، وراح ينتظر مجىء « سانتينا » . وطال انتظاره، وهو يقرأ دون أن يفقه كلمة واحدة ، ويلقى السيجارة بمجرد اشعالها ، ليعود فيتناول غيرها ، فيفعل بها ما فعله بسابقتها .. وقد أرهف أذنيه يتسمع بهما فى نهم كل حركة خارج الغرفة .. وكان ينهض – من آن الى آخر – فيسير الى الباب ، ويرسل بصره متجسسا ، فى طول الردهة الخالية .. ويحصى دقات ساعة الكنيسة المجاورة ، كلما انبعثت مسجلة مرور الوقت .

وطال به الانتظار كثيرا .. طال الى الدرجة التى شعر معها – بعد أن مر بكل مراحل نفاد الصبر ، والغيظ ، والقنوط .. وبعد أن استعرض ألف افتراض لتعليل توانى « سانتينا » عن موافاته – بنوع من النعاس الاليم ، المخدر ، يسرى الى ذهنه، فيطرد عنه كل شعور آخر غير التبلد والخمول . وخيل اليه أنه ينتقل الى فترة من الزمن ، لا نهاية لها ، ولا ضوء فيها .. فترة بدا له فيها أن الانتظار وخيبة الرجاء من الامور الطبيعية التى لا مفر منها !

وكان يتمتم لنفسه بين الآن والآخر : « لم لم تأت يا سانتينا؟ .. اننى هنا ، أقبع فى انتظارك ! » . وكان فى نوم اليقظة المضطرب الذى غشيه ، أشبه بالمسافر فى قطار – أثناء الليل – وقد عجز عن أن يدرك أمستيقظ هو أم نائم ، ولكنه – كلما

توقف القطار ، وسمع صوت عامل السكك الحديدية ينبعث وسط السكون الموحش كأنه النعيب ، معلنا اسم المحطة - يفتح عينيه ، ويحاول أن يرسل بصره ليرى المكان الذى وصل اليه القطار ، وليلقى نظرة على العربة المغرقة فى الظلام ، والمسافرين الذين أسلموا رؤوسهم الى الوسائد ، وقد أحاط الرجال منهم ياقاتهم بمناديل بيضاء ، بينما أطبقت النسوة أجفانهن فى اغماض محكم ! .. ويعجز المسافر أخيرا عن أن ينفض عنه النعاس ، فينساب عائدا الى نومه المضطرب ، فى اللحظة التى يعاود فيها القطار حركته ، وتتوالى دقات دواليب العجلات بانتظام ، وهى تمضى على القضبان دون كلل !

وأخيرا ، نهض « جانماريا » عن الاريكة ، عند انتصاف الليل - وهو لا يدرى ما الذى كان يفعله - فسار الى سريره وخلع عنه ثيابه فى حركة آلية ، ثم اندس بين الاغطية وبعد وهلة قصيرة ، غرق فى نعاس عميق !

* * *

• **واستيقظ** فى ساعة متأخرة من الصباح ، على صوت موسيقى ناعم ، خيل اليه أنه كان ينبعث فى حلم ، وليس فى واقع .. وأحس بيد مستحيية ، ولكنها مصرة على الاقدام ، تتحسس خده وعنقه . فقال لنفسه - فى الحال - دون أن يفتح عينيه : « لا بد أنها سانتينا ! » .

وفتح عينيه ، وهو موقن من هذه الفكرة ، وقفز جالسا فى الفراش ، فاذا بألف خيط من النور تنتشر فى الظلام الممزق ، منسابة خلال ثغرات المصاريع الخشبية للنوافذ .. وعلى هذه الخيوط ، تبين أن التى كانت تقف الى جوار وسادته لم تكن سانتينا .. وانما كانت مديرة النزل ، فى رداء منزلى (روب دى شامبر) !

وقالت بصوت ناعم : « أرجو أن لا أكون قد أيقظتك قبل

الموعد الذى كنت تريده .. ولكن الساعة بلغت العاشرة ! »
فهتف جانماريا فى ارتباك : « آه ، لا .. لقد كنت مستيقظا فى الواقع » . وأسرعت يداه تحكمان أزرار سترة منامته (بيجامته) على صدره العارى
وفى حركات بسيطة ، غير متكلفة ولا مصطنعة ، أضاءت المصباح الذى كان على المنضدة المجاورة للسرير، فانساب منه ضوء أصفر واهن . ثم جلست بنصف جسمها على حافة الفراش ، وشرعت تقول فى هدوء ، وهى تتأمل يديه باهتمام رصين ، غير مشبوب : « انها لجرأة منى — حقا — أن آتى الى حجرتك بهذا الشكل .. اننى أوقن من ذلك ، وما كنت لاقدم عليه ، لو أن ما حدث لم يكن أمرا غير عادى ! »
وامسكت لحظة ، ثم سألته : « أتعرف الآنسة رينالدى ؟ .. لقد فرت أثناء الليل ! »
وفتح جانماريا عينيه على وسعهما ، فى دهشة وذهول
وعادت المديرة تكرر عبارتها ، وقد بدأ يلوح فى صوتها شيء من الرضى والارتياح : « فرت أثناء الليل .. ويبدو أنها انطلقت فى سيارة ،مع شاب أسمر كثيرا ما اعتادت أن تخرج معه . ولقد فرت بكل مجوهرات المرأة التى كانت تقيم معها ، وبكل نقود ونفائس صديقهما الانيق .. ذلك الذى يدعى نيجرينى ! »
وراح « جانماريا » يفرك عينيه بيديه ، وقد خيل اليه أنه لا يزال فى حلم ، وقالت : « ولكن ، ماذا ... ؟ »
فمضت المديرة تقول فى هدوء وتؤدة : « يبدو أن تلك المرأة لم تكن أمها ، وانما هى امرأة مبتذلة تدعى .. انتظر .. كوكانارى ! .. وكان نيجرينى شريكا لهما ! .. ولقد اجتمعوا على استدراج الناس وابتزاز أموالهم . لقد عرفت كل هذا ، لاننى وجدت تلك المرأة — كوكانارى — تبكى وتقول ان تلك الـ« رينالدى » مخلوقة جاحدة ، كما كان نيجرينى يصرخ ،

كمن فقد رشده . ومن الواضح أن الفتاة ((رينالدى)) فعلت بهما ما علماها أن تفعله بالغير . فالى جانب مبلغ كبير من المال سرقت علبة سجائر نيجرينى ، وساعته ، ودبوس رباط عنقه ، وعدة أشياء أخرى ، كما سرقت خواتم كوكانارى !))

واستطردت المرأة قائلة : ((على أن الذى أثار ريبى فى هذين الشخصين ، هو أنهما أبيا ان اخطر البوليس . ومن الواضح أنهما يخشيان أن تفتضح كل أعمالهما الشريرة، اذا ألقى القبض على الفتاة ((رينالدى)) .. ولقد أمرتهما — على أية حال — بأن يحزما متاعهما ويغادرا النزل قبل أن ينتصف النهار !))

وكانت المديرة تروى هذه القصة فى هدوء بالغ ، ولكنها ظلت توجه الى ((جانماريا)) نظرات غريبة ، تجمع بين الاسى والتساؤل . حتى اذا أمسكت عن الكلام ، راحت تتأمله وكأنها تتوقع منه تعليقا .

والواقع أن ذهن ((جانماريا)) خلا من أية فكرة عما كان ينبغى أن يقال . ولم يشعر بالاستياء والغم ، بقدر ما شعر ببرودة جليدية تسرى فى كيانه ، فى مكان الدفء العارم ، والانفعالات العاطفية الدافقة ، التى خالجته فى الليلة السالفة، بسبب ((سانتينا)) :

وأحس فجأة بأنه قد كبر فى السن ، وبأن شوقه المتأجج المضطرب نحو ((سانتينا)) قد تهشم ، وانهار ، تاركا خلفه فراغا جليديا . واستطاع — اذ ذاك — إن يتبين قيمة هذه التجربة، فى أكمل صورها . ولكنه عجز عن أن يمضى قيد شعرة بعد ادراك غلطته .

وقطع عليه تأملاته المبهمة لموقفه ، صوت المديرة العذب ، وهو ينبعث فى خفوت ناعم ، وعيناها لا تتحولان عن وجهه : ((لقد هربت الفتاة ((رينالدى)) . والى جانب ما أخذته من مقتنيات شريكيها ، اخذت الالف ليرة التى اقرضتك اياها))

ولم يقو جانماريا على الكلام .. وشعر برغبة طاغية فى أن

يخفى وجهه فى غطاء الفراش . وهز رأسه ، ثم نكس وجهه المتضرج ، الملبد بالاسى والانفعال .

واستطاع أخيرا أن يقول : « هو ذلك ، ولكن .. لا تخالى أنك لن تستردى نقودك ثانية ! »

فأجابت المرأة فى لهجة مفعمة بالاسى ، وبالتأنيب الحزين : « وما قيمة نقودى ؟ »

وهنا رفع «جانماريا» عينيه صوبها فرآها تهز رأسها بتؤدة ، واسترحام ، وكأنها تقول : « لماذا تصر على أن تكون مرهف الحس بكرامتك ؟ .. لماذا تأبى أن تفهمنى ؟ » .. وألفاها — فى الوقت ذاته — تضع على المنضدة المجاورة للسرير ، شيئا أسود .. علبة الازرار التى تركها لها فى الليلة السالفة . كذلك لاحظ أنها زحفت على السرير مقتربة منه ، حتى أصبح صدرها البارز ، المنتصب الثديين ، يمس ذراعه تقريبا !

وفجأة أحس تحت وطأة آماله المحطمة ، بجاذبية عنيفة نحو هذه المرأة الرقيقة ، الرصينة العواطف ، الوفية ، التى كانت الى جواره .. وكان احساسه أشبه بنار كادت تتوارى تحت هشيم ، ثم اندلعت فجأة ، فأرسلت ألسنة عالية من اللهب ! .. وخيل اليه أنه كان يحبها طيلة الوقت ، منذ اليوم الاول الذى وقع عليها فيه بصره .. بل وفى أشد لحظات شوقه نحو



« سانتينا » .. أجل ، فى تلك اللحظات بوجه خاص ، فقدكان يشعر اذ ذاك ـ وان لم يفطن الى شعوره ـ بأنها بهدوئها وشحوبها ، القوة التى تتعادل مع تلك الفتاة الفاجرة اللعوب ، محاولة أن تقر توازن عواطفه !

واذ اختمرت هذه الفكرة فى ذهنه،مد يده ، وراح يتحسس خديها بأصابعه ، بنفس اللمسات اللطيفة الرقيقة ، التى حظى بها منها فى الليلة السالفة !

واستطاع أن يرى جيشان عواطفها تحت لمساته الخفيفة .. وأخذت تغمض عينيها ـ بين وقت وآخر ـ فى استمراء ولذة ، وكأنها تستعذب مذاق المتعة التى طال بها الشوق الطاغى اليها ، ثم حصلت أخيرا عليها.وارتكزت بكل من يديها الى أحد جانبى جسم « جانماريا » ، دون أن تفتح جفنيها اللذين أطبقا بشدة على عينيها ، وقد شحب وجهها..وتركت ثوبها ينحسر عن ثدييها العاريين..ومالت عليه ، مسلمة اياه شفتيها !

هل حصلت على هذه الشوامخ الادبية الخالدة ؟

التى قدمتها لك : **مطبوعات كتابى**

أتاحت لك « مطبوعات كتابى » ـ منذ مولدها ـ رحلات ممتعة فى مختلف عوالم الادب ، من شرقية وغربية . فقدمت لك روائع من الادب الروسى ، والهندى ، والصينى ، والانجليزى ، والفرنسى ، والامريكى ، واليونانى ، والايطالى ، والنمسوى .. وحرصت على ان تجوس بك ـ فى هذه الرحلات ـ خلال مختلف العصور .. فقدمت اليك **« الياذة »** هوميروس الخالدة ـ التى ترجع أحداثها الى عشرة قرون قبل الميلاد ـ وقدمت اليك فى **« اوديب »** ثلاث تمثيليات عن هذه الشخصية الرائعة ، جمعت بين أدب « سوفوكليس » اليونانى ـ قبل الميلاد ـ وأدب « اندريه جيد » الفرنسى المعاصر ، وقد ربط بينها عميد الادب العربى « الدكتور طه حسين » بتحليل شيق ممتع .. ومن أدب العصور الوسطى ، ومطلع عهد النهضة ، قدمت اليك **« ديكاميرون »** ـ الف ليلة وليلة الايطالية ـ كما قدمت اليك الف ليلة وليلة فرنسية ، ممثلة فى **« ليالى بلزاك »** .. ومن أدب القرن الثامن عشر ، قدمت اليك **« اعترافات جان جاك روسو »** .. الكنز الادبى الخالد ، الذى ظلت اللغة العربية ـ دون جميع اللغات ـ محرومة منه قرنين كاملين ..

هذه مجرد نماذج مما قدمته اليك **« مطبوعات كتابى »** لتؤسس لنفسك ولاسرتك انفع وامتع مكتبة للثقافة العالمية باللغة العربية .. فلا تفوت على نفسك هذه السلسلة القيمة

وترقب ماسوف توافيك به «مطبوعات كتابى» ـ فى اعدادها القادمة ـ من ترجمة « امينة » كاملة ، للشوامخ العالمية .

رجُل !؟



DON'T DELVE TOO DEEPLY

• **من** المؤكد أنه كان بوسع « أجنيسى » أن تنذرنى ، بدلا من أن ترحل هكذا ، دون أن تقول شيئا .. بل دون أن تقول لى : « اذهب الى الجحيم ! » . ولست أزعم أننى كامل الصفات ، ولو أنها أنبأتنى بما كانت فى حاجة اليه ، لاستطعنا أن نبحث الامر معا . ولكنها لم تفعل .. لم تنبئنى بشىء البتة .. لم تقل كلمة واحدة ، خلال عامين من الحياة الزوجية .. ثم ، اذا بها تتسلل ـ ذات يوم ـ كخادم عثرت على عمل أفضل ، مستغلة لحظة كنت فيها متغيبا عن البيت .. أجل ، لقد رحلت .. وما زلت الى اليوم ـ وقد انقضت ستة أشهر على رحيلها ـ لا أفقه لهذا الرحيل سببا !

ففى ذلك الصباح ، ابتعت لوازم البيت ، من السوق المحلية الصغيرة (**اذ أننى أحب أداء المشتريات بنفسى . فأنا أعرف الاسعار ، وأعرف ما أبتغى ، وأميل الى المساومة والجدال ، والى الفحص والاختيار ، وأتوق الى أن أعرف نوع الماشية التى يأتى منها شوائى ، ومن أية سلة اجتلبت تفاحتى**) .. ثم خرجت مرة أخرى ، لاشترى ياردة ونصف الياردة من شريط يحاك الى حافة ستار غرفة المائدة . ولما لم أكن راغبا فى أن أنفق اكثر من مبلغ معين ، فقد تنقلت بين عدة محلات قبل أن أعثر على الشىء الذى كان يروق لى تماما ، فى متجر صغير بطريق (أوميلتا) .

وكانت الساعة حوالى الحادية عشرة والثلث ، عندما عدت الى البيت . فيممت شطر غرفة المائدة ، لاقارن لون الشريط بلون الستار ، واذا بى أرى ـ لفورى ـ المحبرة والقلم ورسالة على المائدة . والحق أن أول ما اجتذب اهتمامى دون كل هذا ، هو بقعة من المداد على غطاء المائدة . فقلت لنفسى :

« ما الذى حملها على مثل هذا الاهمال الارعن ؟.. لقد أحدثت بغطاء المائدة بقعة ! » .

★ ★ ★

• **ورفعت** المحبرة ، والقلم ، والرسالة . ثم رفعت غطاء المائدة، وذهبت به الى المطبخ، وهناك تحايلت على ازالة البقعة بأن رحت أفركها بالليمون بشدة . ثم عدت الى قاعة المائدة ، وأعدت غطاء المائدة الى مكانه ، واذ ذاك فقط ، تذكرت الخطاب . فاذا به موجه الى ، باسمى : « الفريدو » . ففضضته ، وقرأت فيه : **« لقد أديت أعمال البيت . وفى وسعك أن تطهو لنفسك الغداء ، فأنت متعود ذلك كل التعود .. وداعا ، فاننى عائدة الى دار أمى ــ اجنيسى »** .

ومكثت برهة لا أفقه شيئا ، ثم أعدت تلاوة الرسالة ، فلم يلبث معناها أن أشرق على ذهنى أخيرا : لقد رحلت « اجنيسى » ، وهجرتنى بعد حياة زوجية عمرها عامان ! .. وبحكم العادة ، وضعت الرسالة فى درج صوان أدوات المائدة (البوفيه) ، حيث اعتدت أن أحفظ الايصالات والرسائل . ثم جلست على مقعد بجوار النافذة . ولم أدر فيم أفكر ، اذ اننى لم أكن مهيأ لهذا الظرف ، وما كنت لاعتقد فى وقوعه .. وفيما كنت أجلس شارد البال ، على هذا النحو ، وقع بصرى على الارض، فرأيت ريشة بيضاء صغيرة ، لا بد أنها طارت من المنفضة ، عندما كانت « اجنيسى » تنفض الغبار عن الاثاث . فالتقطت الريشة، وفتحت النافذة فطوحت بها منها . ثم تناولت قبعتى وغادرت البيت !

وبينما كنت أسير ، وأنا أخطو على حجر ــ من أحجار رصف الطرق ــ واتجاوز آخر ، بحكم عادة رذيلة علقت بى ، شرعت

أسائل نفسى عما يحتمل أن أكون قد فعلت حتى تهجرنى « أجنيسى » بمثل هذا الاسلوب المجرد من الرحمة ، وكأنها صدرت فى ذلك عن تعمد الاساءة الى .

وقلت لنفسى : « لنر ــ قبل كل شىء ــ ما اذا كان بوسع « أجنيسى » أن تعيب على أى نوع من عدم الوفاء ، مهما يكن تافها ؟ ! » .. وأجبت نفسى فى الحال : « أبدا .. البتة ! » والحق أننى لم أكن يوما متهوسا بالنساء ، فلست أفهمهن ، ولا هن يفهمننى .. ومن الممكن أن يقال انهن لم يعدن على قيد الوجود بالنسبة لى ــ منذ يوم زواجى ــ الى الدرجة التى جعلت « أجنيسى » تتعمد اثارتى ــ فعلا ــ بأن تسألنى من وقت الى آخر : « ما الذى تراك فاعله ، اذا أنت وقعت فى حب امرأة أخرى ؟ » . فكنت أجيب : « هذا مستحيل ، فاننى أحبك ، وسوف يلازمنى هذا الشعور طيلة عمرى ! » .. وانى اذ أذكر هذا مرة أخرى ، أكاد اخال أن هذه الـ « طيلة عمرى » لم تكن تروق لها ، بل انها كانت ــ على العكس ــ تعبس وتخلد الى الصمت .

وانتقلت الى ناحية من الافكار مختلفة تمام الاختلاف عن تلك .. فقد كنت تواقا الى أن أتبين ما اذا كان من المحتمل أن تكون «أجنيسى» قد تركتنى لدواع تتعلق بالمال، وبمعاملتى اياها بوجه عام ، فى الواقع ! .. على أننى وجدت ضميرى مرتاحا ، فى هذه الناحية كذلك .. **فمن الحقيقى ــ فيما يتعلق بالمال ــ أننى لم أكن أمنحها نقودا الا لدواع استثنائية ، ومع ذلك .. فأية حاجة كانت بها الى النقود ؟ لقد كنت بشخصى قريبا منها دائما ، على استعداد لان أتولى الدفع بنفسى ! ..** أما عن الطريقة التى كنت أعاملها بها ، فواعجبى ! .. لم يكن فيها أية قسوة ، وبوسعك أن تتبين ذلك بنفسك .. السينما

مرتان فى الاسبوع ، والمقهى ـ مرتان فى الاسبوع كذلك ـ بغض النظر عما اذا كانت تتناول شيئا من المثلوجات ، أو مجرد قدح من القهوة .. ثم مجلتان فى الشهر ، والصحيفة فى كل يوم .. وكانت « الاوبرا » تضاف الى القائمة فى الشتاء .. وعطلة نقضيها فى بيت أبى ـ فى (مارينو) ـ فى الصيف ! ..

هذا فيما يتعلق بالمرفهات، فاذا انتقلنا الى موضوع الثياب، وجدنا ان « أجنيسى » كانت أقل شكوى ـ فى هذه الناحية ـ منها فى النواحى الاخرى .. **فقد كنت على استعداد دائما لاجابتها، اذا ما احتاجت الى شىء، سواء كان هذا الشىء مشدا لصدرها (سوتيان) ، أو كان زوجا من الجوارب ، أو منديلا .. اذ كنت أرافقها الى الحوانيت ، وأساعدها فى اختيار الشىء، وأدفع الثمن بغير تذمر . وكذلك كان أمرى مع حائكات الثياب، أو بائعى القبعات ، فما حدث مرة واحدة أن قالت : « اننى بحاجة الى قبعة.. اننى بحاجة الى ثوب» ، ولم أجبها قائلا : « هيا بنا ! سأذهب معك »** ! ولا بد من أن أقر ـ فوق هذا ـ بأن « أجنيسى » لم تكن مسرفة فى المطالب ، فقد كفت تماما عن طلب الثياب ، بعد العام الاول من زواجنا . وأصبحت أنا ـ فى الواقع ـ الذى يذكرها بأنها كانت بحاجة الى هذه القطعة من الثياب ، أو الى تلك ! .. ولكنها كانت تجيب ـ عادة ـ بأن هذا ليس بالامر المهم ، اذ أن لديها ثيابا من العام السابق .. حتى أننى ملت ـ فى النهاية ـ الى الاعتقاد بأنها كانت ، من هذه الناحية ، مختلفة ، ولا بد عن سواها من النساء ، وأنها لم تكن تحفل بأناقة ملبسها ! .

* * *

• **وهكذا** لم يكن للدواعي علاقة بالمسائل القلبية أو المالية ،

فبقي ما يعبر عنه المحامون بـ « عدم التوافق فى الطباع » . ومن ثم فقد ساءلت نفسي : أى عدم توافق فى الطباع يمكن أن يوجد ، ونحن لم يدب بيننا أى شقاق ، ولو واحد ، خلال عامين ؟ .. لقد كنا معا ، على الدوام ، ولو كان لهذا الـ « عدم التوافق » أى وجود ، لكان قد نم عن نفسه ! .. **بيد أن « أجنيسى » لم تعارضنى يوما فى أمر ما ، بل انها ــ فى الواقع ــ لم تكن تتكلم تقريبا ! .. وكانت لا تكاد تفتح فمها خلال بعض الامسيات التى كنا نقضيها فى المقهى أو فى البيت ، بل كنت أنا الذى ينفرد بالكلام كله ! .. ولست أنكر أننى أحب الكلام ، واحب ان أسمع نفسى وأنا أتكلم ، لا سيما حين أكون مع شخص تربطنى به روابط الود الوثيقة !** .. وطريقتى فى الكلام تتسم بالهدوء ، والتناسق ، فلا رفع للصوت ولا خفض ، وانما انسيابه معقول ، فاذا هاجمت موضوعا ، حللته تحليلا ، من أعلاه الى أسفله ، ومن كل نواحيه . والموضوعات التى أفضلها هى التى تتعلق بالشؤون المنزلية . فأنا أحب تبادل الحديث حول أسعار السلع ، وحول ترتيب قطع الاثاث ، وحول الطهو والتسخين ، وحول كل هذه السفاسف فى الواقع ! .. فلست أتعب قط من الحديث فى هذه الامور ، بل اننى أوليها اهتماما بالغا ، حتى اننى كثيرا ما لا أتمالك أن أعود الى اثارتها من جديد ، مستخدما نفس الحجج .. وهذه هى الموضوعات التى تصلح للحديث مع النساء بالتأكيد ــ اذا شئنا أن نكون منصفين ــ والا ، فعم يتحدث المرء عداها ؟ .. وعلى أية حال ، **فان « أجنيسى » اعتادت ان تنصت الى فى اصغاء .. أو هكذا كان يبدو لى ، على الاقل ! .. مرة واحدة ــ وكنت أشرح عمل سخان الماء الكهربائى ــ هى التى فطنت فيها الى أن « أجنيسى » استسلمت للنعاس ! . فما كان منى الا أن أيقظتها ، وسألتها : « ما الذى**

جعلك تملين ؟ »» . فأجابتني لفورها : « كلا ، كلا .. انما أنا متعبة . اذ أنني لم أحظ بنوم جيد فى الليلة السالفة ! »

وللازواج عادة مكاتب أو متاجر يذهبون اليها ، أو لا يكون لهم شيء من هذا ، فهم يخرجون مع أصدقائهم . أما أنا ، فقد كان مكتبي ، ومتجري ، وأصدقائي ، ينحصرون جميعا فى .. « أجنيسى » . فما تركتها وحيدة لحظة واحدة ، وانما كنت أمكث الى جوارها ، حتى – ولو أدهشك هذا ! – وهى تطهو !.. وأنا مولع بالطهو ، وقد اعتدت – قبل الوجبات ، من كل يوم



– أن ارتدى مرولة ، وأعاون « أجنيسى » فى المطبخ . وكنت أؤدى كافة الاعمال ، فأقشر البطاطس ، وأنتزع البازلاء من قرونها ، وأعد « التقلية » ، وأراقب أوانى الطهو ، وهى على النار ، وكنت أتقن معاونتها حتى انها كثيرا ما كانت تقول لى : « اسمع ، تول أنت العمل .. فانني أشعر بدوار ، وسأذهب لانام ! » واذ ذاك كنت أؤدى الطهو بنفسي ، بل انني كنت قادرا على أن أجرب اعداد ألوان جديدة من الطعام ، مستعينا بكتاب الطهو !

ومما يرثى له ان « اجنيسى » لم تكن أكولة ، بل أن رغبتها

فى الاكل تضاءلت – فى الواقع – فى الفترة الاخيرة ، فكانت لاتكاد تمس الطعام !.. ولقد قالت لى ذات مرة ... على سبيل المزاح طبعا : « لقد أخطأت لانك خلقت رجلا .. فأنت امرأة حقا .. ربة بيت ، فى الواقع ! » .. وجدير بى أن أقر بأن هذه الملاحظة كانت تنطوى على شىء من الحقيقة ، اذ اننى أحب – الى جانب الطهو – الغسل ، والكى ، والحياكة .. بل اننى – فى لحظات فراغى – أعيد تطريز المناديل التى تستخدم فى البيت ، والمفارش .

وأعود فأكرر اننى لم أكن أفارقها ، حتى عندما كانت احدى صديقاتها ، أو أمها ، تفد لزيارتها . بل ولا عندما تملكتها الرغبة – لسبب ما – فى أن تتلقى دروسا فى اللغة الانجليزية ، فقد رحت ابذل الجهود لكى أتعلم هذه اللغة البالغة الصعوبة ، وذلك لكى أظل الى جوار « اجنيسى » أثناء الدرس ! ... كنت شديد التعلق بها ، الى درجة اننى كنت أجعل نفسى عرضة للسخرية فى بعض الاحيان .. **كما حدث ذات مرة ، اذ قالت لى « اجنيسى » بصوت خافت ، قولا لم أتبينه – وكنا فى مقهى – فنهضت فى اثرها ، اذ نهضت وتبعتها حتى بلغت دورة المياه ، واذ بالحارس يستوقفنى قائلا ان ذلك القسم كان خاصا بالنساء ، فليس لى أن أدخل !**

أجل ، ان الازواج الذين على شاكلتى ، لايسهل العثور عليهم ، وكثيرا ما كانت تقول لى : « اننى أريد الذهاب الى المكان الفلانى ، لكى أقابل فلانه أو فلانا ، وهو شخص لايروق لك » . غير اننى كنت أقول لها : « لابأس .. سأذهب معك ، فليس لدى مايشغلنى » وهنا كانت ترد قائلة : « تعال ، فلست أجد مانعا من ناحيتى .. ولكنى انذرك بأنك ستسأم وتمل » . ولكنى لم أكن أسأم على الاطلاق .. وكنت أقول

لها ، فيما بعد : « ارأيت .. اننى لم أمل ! » . وهكذا كنا لانفترق ، فى الواقع !

★ ★ ★

• وفى غمرة التفكير فى هذه الامور ، والتساؤل طيلة الوقت عما دعا « اجنيسى » الى هجرانى ، دون أن أصل الى جواب ، بلغت متجر ابى .. وهو متجر تباع فيه السلع الدينية ، ويقع على مقربة من ميدان (منيرفا) . وأبى رجل لايزال شابا ، ذا شعر أسود مجعد ، وشاربين أسودين . وتحت الشاربين ابتسامة لم أدرك كنهها قط . **ولعل رقته البالغة — الى أقصى حد — وهدوءه ، ودماثة أخلاقه على الدوام ، راجعة الى تعامله مع القساوسة وأهل التقوى . ولكن أمى — التى تعرفه تمام المعرفة — تقول أن أعصابه جميعا دفينة فى أعماقه .**

وعلى أية حال ، فاننى ولجت الحانوت ، ومررت بكافة الصناديق الزجاجية المليئة بالبخور والشموع والاوعية المباركة وسرت مباشرة الى الغرفة التى كانت فى مؤخرة الحانوت ، حيث كان مكتب أبى . وكان مكبا على حساباته — كالعادة — وهو يقرض طرف شاربيه ، اثناء التفكير . وقلت له بصوت متحشرج : « ابت .. لقد هجرتنى اجنيسى ! »

وتطلع الى ، فخلت انه كان يبتسم تحت شاربيه ، ولكن .. لعل هذا كان مجرد وهم . وقال : **« اننى آسف ... بل اننى جد آسف ولكن كيف حدث هذا ؟ »**

ورويت له القصة كلها .. واختتمت حديثى بقولى : « اننى مهموم لذلك ، طبعا .. على أن الذى أود أن أعرفه — قبل أى شىء آخر — هو : لماذا تراها هجرتنى ؟ »

فسألنى وهو بادى الحيرة : **((أو لم تفهم السبب ؟))**
ـ كلا

ومكث برهة صامتا ، ثم قال وهو يتنهد : **((اننى لآسف يا ألفريدو ، ولكنى لا أدرى ما الذى ينبغى أن أقوله لك ... انك ابنى ، وانى لاحتملك وأحبك كل الحب .. أما زوجتك .. فهذه مسألة تعنيك أنت وحدك !))**

ـ أجل ، ولكن .. لماذا تراها هجرتنى ؟

وهز رأسه ، ثم قال : **((لو أننى كنت فى مكانك ، لما ألححت ، ولما أوغلت فى نبش الامر .. أتركه على علاته ! .. فيم يهمك أن تعرف الدواعى ؟))**

ـ انه جد مهم لى .. بل هو أهم من كل شىء .

وفى تلك اللحظة أقبل قسيسان ، فنهض والدى وسعى اليهما ، وهو يقول لى : **((عد فيما بعد .. واذ ذاك سنتكلم فى الامر .. أما الان ، فأنا مشغول !))**

ولم تكن دار أم ((اجنيسى)) بعيدة ، فهى تقوم فى طريق (فيتوريو) . وخطر ببالى أن الشخص الوحيد الذى يملك أن يشرح لى لغز رحيل ((أجنيسى)) هو ((أجنيسى)) نفسها . ومن ثم فقد ذهبت الى هناك . وصعدت درجات السلم عدوا ، فاقتدت الى غرفة الجلوس . وبدلا من أن توافينى ((اجنيسى)) هناك ، أقبلت أمها . وكانت هى الاخرى تملك متجرا .. كما انها كانت بشعرها الاسود المصبوغ ، وخديها الموردين ، ومظهرها المصطنع ، البسام ، الماكر .. كانت امرأة لا احتملها ! .. وكانت ترتدى غلالة منزلية (روب دى شامبر) ، وقد ثبتت وردة فى صدرها . وقالت ، اذ رأتنى، بود مصطنع : **((آه، ما الذى تصنعه هنا يا ألفريدو ؟))**

فأجبتها : « انك لتعرفين سبب مجيئى .. لقد فارقتنى اجنيسى » .

فقالت بهدوء : « اجل، انها هنا . . ما الذى ترى فى الوسع عمله ، يابنى العزيز ؟ .. هذه أمور مألوفة الحدوث » .

ـ ماذا؟ .. أفهذا هو كل ماتبدينه لى من رأى ؟

فتأملتنى برهة ، ثم سألتنى : « هل أنبأت أبويك بالامر ؟»

ـ أجل ، انبأت أبى

ـ وما الذى قاله لك ؟

وما علاقة ما قاله والدى بهذا الامر ، وما شأنها ؟ .. واجبت ، على مضض : « انك تعرفين طباع أبى .. انه يقول أن من الخير لى ان لا أتمادى فى نبش الامر .. »

ـ انه على حق ، يابنى العزيز .. لاتوغل فى النبش !

فصحت وقد بدأ الغيظ يتملكنى : « ولكن ، ما السبب الذى دعاها الى ان تهجرنى ؟.. ما الذى فعلته لها ؟ .. لماذا لاتخبرنى ؟ »

وفيما كنت أتكلم ، وانا فى غمرة الغضب ، وقع بصرى على المنضدة ، فاذا بها مكسوة بغطاء وضع فى منتصفه مفرش أبيض مطرز ، وفوق المفرش ، كان ثمة اناء الزهور ، به ورود حمراء . ولكن المفرش كان منحرفا عن وسط المنضدة . وبحركة آلية ، ودون أن أدرى ما الذى كنت أفعله ، اذا بى أرفع وعاء الزهور ـ وهى تنظر الى مبتسمة ،دون ان تجيبنى ـ وأسوى المفرش ، ثم أعيد الوعاء مكانه .

واذ ذاك ، قالت : « احسنت صنعا ، فقد أصبح المفرش الان فى منتصف المنضدة .. اننى لم أنتبه اليه ، أما أنت فقد لمحته لاول وهلة .. أحسنت صنعا .. والان ، يحسن بك أن تنصرف يا ولدى العزيز ! »

وكانت – فى تلك الاثناء – قد نهضت من مكانها ، فنهضت أنا الآخر . وأردت أن أسألها عما اذا كان بوسعى أن ارى « اجنيسى » ، ولكننى تبينت أن لاجدوى من وراء ذلك .. فضلا عن اننى خشيت ان أفقد حجاى – اذا رأيتها – فأفعل أو أقول ماينم عن غباء .

ومن ثم انصرفت . ومن ذلك اليوم لم أر زوجتى قط . ولعلها ستعود يوما ما، اذ تتبين أن الازواج الذين على شاكلتى لاتصادفهم النساء فى كل يوم من أيام الاسبوع . ولكننى لن أدعها تجتاز عتبة دارى ، حتى توضح لى أولا .. السر فى أنها هجرتنى !

– * –

فاتنة سائقى السيّارات



THE LORRY—DRIVER

• **انني** نحيف الجسم ، عصبي المزاج، ذو ذراعين نحيلتين، وساقين طويلتين ، كما أن بطني منبسطة ، حتى أن سروالي (بنطلوني) لايفتأ ينساب هابطا عنها . فالواقع انني على النقيض تماما مما هومطلوبلتهيئة المرء لكي يكون سائقا صالحا لقيادة سيارات النقل .

هل تأملت يوما سائقي سيارات النقل ؟ .. انهم رجال ضخام الاجسام ، عريضو المناكب ، سمر السواعد ، أقوياء الظهور والبطون . ذلك لان سائق سيارة النقل ، يعتمد ـ بوجه خاص ـ على ساعديه وظهره وبطنه .. يعتمد على ساعديه في أدارة عجلة القيادة ، التي يكون محيطها ـ في سيارة النقل ـ معادلا لطول الذراع ـ تقريبا ، والتي لابد أحيانا من ادارتها دائرة كاملة، في منعرجات الطرقالجبلية !.. وهو يعتمد على قوة ظهره ، ليصمد للتعب الذي ينجم عن الجلوسساكنا ساعات تلو ساعات، في وضع واحد باستمرار، فلا يشعر بالالم يدب في ظهره ، ولابعضلاته تميل الى التيبس .. ثم هو يعتمد على قوة عضلات بطنه ، ليستطيع أن يمكث جالسا جامدا في مكانه، كصخرة غاصت في الارض .

هذا من الناحية البدنية .. أما من الناحية الخلقية ، فقد كنت أقل صلاحية للعمل كسائق لسيارة نقل ، فان سائق سيارة النقل يجب ان يكون بلا أعصاب ، ولانزوات ، ولاحنين الى الديار ، ولا أية مشاعر رقيقة أخرى . فان قيادةالسيارة مهمة مرهقة ، مضنية ، تكفي لان تقتل الثور ، فما بالك بالانسان ! .. أما فيما يتعلق بالنساء ، فعلى سائق سيارة النقل أن يكون كالملاح ، فلا يفكر فيهن الا قليلا .. قليلا جدا ، والا فانه لايلبث ـ من جراء اضطراره الى الذهاب والاياب باستمرار ـ أن يصاب بالهوس . غير انني مليء دائما

بالافكار والشواغل ، وانى آحزين بفطـرتى ، كما اننى أحب النسـاء !

ومع ذلك ، فقد رغبت فى أن أكون سائق سيارة للنقل ـ برغم أنها ليست الوظيفـة الملائمـة لى ـ وتحـايلت حتى استخدمتنى احدى شركات النقـل . وقد عينوا لمسـاعدتى ومرافقتى شـابا يـدعى « بالومبى » ، كان ـ كمـا ينبغى الاعتراف ـ فظا جلفا ، بالمعنى الصحيح !.. كان مثالا لسائق سيارة النقل .. لا لان سائقى السيارات كثيرا ما يـكونون بعيدين عن الذكاء ، وانما لانه كان غبيا لحسن حظه ، فـكان وسيارته قطعة واحدة. ومع انه قد تجاوز الثلاثين من عمره، فقـد ظلت تلوح عليـه امارات الفتى الذى سـبق سـنه . **فكان له وجه غليظ السمات ، وخدين مستديران ، وعينان صغيرتان تحت جبين ضيق منحدر ، وشق ضيق يمثل الفم ويشبه فتحة صندوق الادخار (حصالة النقود).وكان مقلا فى كلامه،بل يكاد لا يتكلم اطلاقا،فاذاتكلم آثر الهمهمةوالزمجرة !** ولم يكن ذكاؤه يشرق الا عندما يكون ثمة حديث عما يؤكل . وانى لاذكر مناسبة ، دخلنا فيها فندقا فى (اتيرى) ـ على طريق (نابولى) ـ وقد امضنا التعب والجوع . ولم يكن ثمة مايؤكل سوى (فاصوليا) مطهوة مع شرائح من لحم الخنزير، فلم أكد أمسها لانها لاتروق لى . اما « بالومبى » فقد التهم منها وعاءين مليئين ، ثم اضطجع فى مقعده ، ورمقنى لحظة بنظرة جدية ، وكأنه يوشك أن يذكر لى أمرا هاما . ومالبث أن قال أخيرا ، وهو يمر بيده على بطنه : « لقد كان بوسعى ان التهم أربعة أطباق اخرى ! » .. تلك هى الفكرة الجليلة التى استغرق كل هذا الوقت فى البحث عن تعبير عنها !

★ ★ ★

• **ولست** بحـاجة الى أن أصور لك مدى سرورى حين

التقيت ـ لاول مرةبالفتاة ـ «ايتاليا» ، معهذا الزميلالذى كان كشخص صنع من خشب . وكنا فى تلك الفترة نقوم برحلات بين (روما) و (نابولى) ، ناقلين كل أنواع الحمولات المختلفة ، من طوب ، الى فضلات الحديد المستعمل ، الى (بوبينات) ورق الصحف ، الى خشب ، وفواكه ، بل وقطعان صغيرة من الاغنام ، كانت تنقل ـ بين آن وآخر ـ من مرعى الى مرعى !

ولقد استوقفتنا « ايتاليا » عند (تيراسينا) ، وسألتنا أن نقلها الى (روما) . وكانت الاوامر تقضى علينا بأن لانقل مخلوقا . ولكنا بعد أن ملأنا أعيننا بمنظر الفتاة ، اتفقنا على أن القاعدة لم تكن سارية فى هذه المرة !.. وأشرنا اليها بأن تصعد ، فقفزت بأشد ماتكون نشاطا وخفة ، وهى تهتف : « مرحى لسائقى سيارات النقل . انهم دائما كرماء ! »

وكانت «ايتاليا» فتاة مثيرة ، وما من كلمة أخرى لوصفها. كانت لها خاصرة طويلة ، نحيلة ، بدرجة لايتصورها العقل ، يعلوها صدر بارز بحدة ـ وكأنه متحفز اللدغ ، كالافعى ـ تحت الصديرى (البلوفر) الذى كانت ترتديه عادة ، والذى كان ينسدل حتى ردفيها. كذلك كان لها عنق طويل ، ورأس صغير اسمر ، وعينان خضراوان واسعتان . وعلى النقيض من جذعها المسرف الطول ، كانت ساقاها قصيرتين ، بل ومعوجتين تقريبا ، فكان مظهرها يوحى بأنها تسير وقد ثنت ركبتيها !.. ولم تكن جميلة ـ فى الواقع ـ ولكنها اوتيت شيئا أفضل من الجمال ، وقد لمست الدليل على ذلك ، خلال هذه الرحلة الاولى ، عندما بلغنا (سيستيرنا) ـ ونحن ماضون فى رحلتنا ـ وتسلم « بالومبى » عجلة القيادة . فقد دست الفتاة يدها فى راحتى ، وشدت عليها فى قوة ، ولم تفلتها أطلاقا حتى بلغنا (فاليترى) ، وتسلمت القيادة من « بالومبى » .

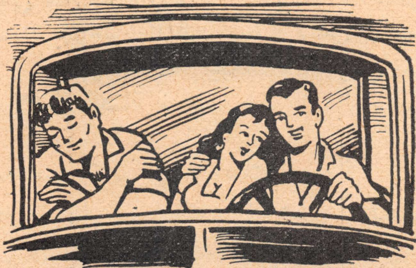
وكنا فى الصيف ، وفى حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وهى أشد فترات اليوم قيظا ، فأصبحت يدانا لزجتين من العرق . **ولكن الفتاة كانت ترمقنى – بين الفينة والفينة – بنظرة من تلكما العينين الخضراوين الشبيهتين بعينى النور (الفجر) ، فخيل الى أن الحياة – التى ظلت طويلا لاتعدو مجرد شريط من الاسفلت – قد بدأت تبتسم لى من جديد. فقد عثرت على ماكنت أنشد .. على امرأة أشغل بها بالى!. ولقد أوقف « بالومبى » السيارة بين (سيستيرنا) و (فاليترى) ، وبارح مكانه ليتفقد العجلات ، فانتهزت هذه الفرصة لاقبل الفتاة .** فلما بلغنا (فاليترى) ، تبادلت و « بالومبى » مجلسينا ، وانا قرير العين ، اذ كان تماسك اليدين والقبلة غنما كافيا لى فى ذلك اليوم !

ومنذ ذلك الحين ، أصبحت « ايتاليا » تتصيدنا بانتظام – مرة أو اثنتين فى الاسبوع – لنقلها من (روما)الى(تيراسينا) ، ومن هذه الى تلك . وكانت تنتظرنا قرب الاسوار – فى الصباح – ومعها لفافة او حقيبة أو شىء من هذا القبيل . فاذا كان « بالومبى » هو الذى يتولى القيادة ، فانها كانت تمسك بيدى طيلة الطريق ، حتى (تيراسينا) . وفى عودتنا من (نابولى) ،كانت ترتقبنا عند (تيراسينا) ، فتصعد الى السيارة ، وتعود اليدان الى التعانق ، كما تعود القبلات المسترقة ، فى اللحظات التى لم يكن بوسع « بالومبى » أن يرانا فيها ، ولو لم تكن الفتاة راغبة !

* * *

• **وقصارى** القول اننى وقعت فى هواها تماما ، وكان هذا راجعا – فى بعض أسبابه – الى أن عهدا طويلا كان قد انقضى مذ شغفت بأية امرأة ، حتى اننى فقدت هذه العادة .. ولقد

بلغ من تدلهى انه كان يكفيها أن تنظر الى بطريقة معينة ، فاذا عواطفى تجيش لفورها حتى لتتدافع الدموع الى عينى، وكأننى طفل .. تلك كانت دموع الحنان ، ولكنها بدت لى ضعفا لايليق برجل ، فرحت أبذل جهودا قوية لكبحها ، دون أن أوفق ! .. وكنا نتكلم بصوت خفيض - أثناء قيادتى السيارة - منتهزين اخلاد « بالومبى » الى النوم . ولست



أذكر شيئا مما كنا نقوله .. مما يدل على ان حديثنا كان مجرد سفاسف وفكاهات ومناجاة عاشقين . على أننى أذكر ان الوقت كان ينقضى سراعا ، حتى ان الشريط الاسفلتى الممتد بعد (تيراسينا) - والذى كان يبدو عادة وكأنه ممتد الى الابد - كان لايلبث ان ينتهى ، وكأنما بفعل سحر ! ... وكنت أخفض السرعة الى عشرين أو خمسة عشر ميلا فى الساعة ، تاركا كل شىء - حتى عربات المزارع - يسبقنى.. ولكننا كنا - رغم ذلك - لانلبث أن نصل الى نهاية الرحلة ، فتفارقنا « ايتاليا » . على أن الامر كان بالليل أفضل منه بالنهار ، اذ كانت السيارة تمضى قدما وكأنها تسوق نفسها، وأنا أضع احدى ذراعى على عجلة القيادة ، بينما تحيط الذراع الاخرى بخصر « ايتاليا » . فاذا انبعثت أضواء السيارات الاخرى ، من خلال الظلام البعيد ، فى انبثاق

وانطفاء متعاقبين، كنت أشعر بان الاشارات الضوئية التي كنت أجيب بها ، كانت كلمات تبين لاى فرد مدى سعادتى ؟ ... وكأنها كانت تؤلف عبارة على هـذا النسـق : « انني أحب ايتاليا ، وايتاليا تحبنى ! »

أما « بالومبى » فاما فانه لم يفطـن الى شيء ، واما أنه كان يتظاهر بأنه لم يلاحظ شيئا . والواقع انه لم يحتج اطلاقا ـ ولامرة واحدة ـ على كثرة رحلات « ايتاليا » هذه . بل كان يزمجر ـ على سبيل التحية ـ حين تقفز الى السيارة ، ثم يفسـح لهامكانا لتجلس . وقد اعتادت دائمـا أن تجلس فى الوسـط ، اذ كان على أن أظل أرقب الطـريق ، وان انبىء بالومبى ـ عندما تخلو الطريق لنا ـ اذا كنا نسعى الى تجاوز سيارة اخـرى . بل ان « بالومبى » لم يعارض عندما رغبت ـ فى غمـرة افتتـانى ـ فى ان أكتب على الزجـاج الامامى السيارة شيئا يمت بصلة الى ايتاليا . **ولقد فكرت مليا ، ثم كتبت بحروف بيضاء : « لتحيى ايتاليا ! » . بيد أن بالومبى كان من الغباء بحيث لم يفطن الى المعنى المزدوج لهاتين الكلمتين، حتى سألنا سائقو السيارات الاخرى ـ مازحين ـ عن السر فى أننا انقلبنا الى وطنيين متحمسين بهذه الدرجة !.. اذ ذاك فقط ، قال لى وهو ينظر الى فاغر الفم ، وقد أشرقت على وجهه ابتسامة « انهم يظنونها ايتاليا البلد ، وليست ايتاليا الفتاة .. انك لذكى . وقد كانت هـذه فـكرة وضـاءة من أفكارك ! »**

ولقد استمر كل هذا شهرين ، وربما أكثر من شهرين . ثم حدث ذات يوم ـ بعد أن خلفنا « ايتاليا » فى (تيراسينا) كالمعتاد ، ومضينا الى (نابولى) ـ أن تلقينا أوامر بافـراغ حمولتنا ، والعودة الى (روما) فورا ، بدلا من ان نقضى ليلتنا فى (نابولى). ولقد استأت ، لاننا كنا على موعد مع «ايتاليا»

فى الصباح التالى ، ولكنا كنا مضطرين الى تنفيذ الاوامر . وتسلمت عجلة القيادة فما لبث « بالومبى » أن شرع يغط فى نومه ، لفوره .

وسار كل شيء فى أمان ، حتى بلغنا (ايترى) ... فقد كانت الطريق مليئة بالمنحنيات وكانت هذه المنحنيات تضطر سائق سيارة النقل فى الليل ــ حين يدب فيه التعب ــ الى ان يفتح عينيه باستمرار ، وان يتخذ منهما نعم العون والصديق. **على أن النعاس بدأ يثقل اجفانى بعد (ايترى) ، وأنا أنطلق بالسيارة خلال بساتين البرتقال فى (فوندى) ، ومن ثم فقد حملت نفسى على التفكير فى ((ايتاليا)) ، لكى أظل يقظانا . بيد أننى خلت ــ وأنا أفكر فيها ــ أن أفكارى كانت تختلط وتزداد تكاثفا وتشابكا فى مخى ، كالاغصان فى الغابة ، اذ تزداد تكاثفا حتى تصبح فى النهاية كتلة مظلمة .**

وأذكر اننى قلت لنفسى ، على حين غرة : « من حسن طالعى ان أجد من التفكير فيها وسيلة لابقى مستيقظا ... والا لكنت الآن نائما ! » .. والواقع اننى كنت ــ اذ ذاك ــ قد نمت ، وماكونت هذه الفكرة فى اليقظة ، وانما كونتها فى المنام .. وكانت خاطرا وافانى فى نعاسى ، ليجعلنى استغرق فى النوم ، باستسلام تام .

وفى اللحظة ذاتها ، شعرت بالسيارة تحيد عن الطريق ، وتغوص فى حفرة .. وسمعت ضجيج المقطورة وارتطامها وهى تنقلب ورائى . وكنا نسير ببطء ، ولذلك لم تكن ثمة اضرار . ولكننا لم نكد نفلح فى مغادرة السيارة ، حتى رأينا المقطورة وقد انقلبت رأسا على عقب ، وقد ارتفعت عجلاتها فى الهواء ، بينما تناثرت حمولتها ــ من الجلود المدبوغة ــ فى الحفرة . وكانت الليلة مظلمة ، وقد غاب عنها القمر ، وان زخرت صفحة السماء بالنجوم . ولقد شاء الحظ ان نكون على مشارف (تيراسينا) ، والى يميننا التل الوعر الانحدار ،

والى يسارنا ـ خلف بساتين الكروم ـ البحر المظلم ، الساكن !

واكتفى « بالومبى » بأن قال : « ها انتذا قد فعلتهـا » ، ثم اردف قائلا ان لابد لنا من أن ننشد معونة من (تيراسينا) فشرعنا فى السير اليهـا على أقدامنا . **وكانت المسافة جد قصيرة ، ولكن « بالومبى » ، الذى كان يفكر فى الاكل على الدوام، قال ـ حين رأى أننا كنا على مشارف (تيراسينا) ـ انه جائع ، وانه لم يكن ثمة بد من أن تنقضى بضع ساعات قبل وصول سيارة الانقاذ والآلة الرافعة .. ومن ثم فخليق بنا أن نأوى الى احد الفنادق الصغيرة .** لذلك سرنا الى المدينة ، وشرعنا نبحث عن فندق . بيد اننا كنا قد تجاوزنا منتصف الليل ، ولم يكن فى ذلك الميدان المستدير ـ الملىء بالفجوات من أثر الغارات الجوية التى تعرض لها ـ سوى مقهى واحد .. وحتى هذا المقهى ، كان يتأهب لان يغلق أبوابه !

* * *

. **وانحرفنا** الى شارع صغير ، لاح لنا انه يفضى الى البحر. ولمحنا على مسافة قصيرة من بدايته ، مصباحا ولافتة يعلوان بابا . وغذذنا السير ، وقد استيقظت آمالنا .. وكان فندقا صغيراً ، فعلا .. ولكن الحصير المعدنى كان منسدلا الى النصف ، وكأنما المكان يوشك أن يغلق أبوابه .. وكانت الابواب زجاجية ، وقد انحسر الحصير المعدنى عن فرجة فى الجزء الزجاجى ، تسمح بان نرسل البصر خلالها .

وقال بالومبى وهو ينحنى ليتأمل داخل المكان : « بوسعك أن ترى أن العمل قد انتهى ! » .. فانحنيت لاتأمل بدورى .. واستطعنا أن نرى قاعة كبيرة ، كتلك التى توجد فى الفنادق الريفية ، وبها بضع موائد ، وخوان كبير ليقف خلفه الموكل بتوزيع الشراب. وكانت المقاعد كلها مقلوبة فوق الموائد .. **كما كانت « ايناليا » هناك ، مسلحة بمكنسة ، وقد**

ربطت خصرها منفضة كبيرة ، وانهمكت فى تنظيف المكان !
.. وخلف الخوان ـ فى نهاية القاعة ـ وقف رجل أحدب . ومع اننى رأيت كثيرا من المحدودبين ، الا أننى لم أر مثالا الاحدب الكامل ، كهذا ! وكان يحيط وجهه براحتيه ، بينما بدت حدبته أكثر ارتفاعا من رأسه ، وراح يرمق « ايتاليا » بعنيين كبيرتين ، سوداوين ، تنمان عن مزاج صفراوى .

وفيما كانت تكنس ارض المكان ، قال لها الاحدب قولا ما ، دون أن يتحرك . فسارت الفتاة اليه ، وأسندت المكنسة الى الخوان ، ثم طوقت عنق الرجل بذراعها ، ومنحته قبلة طويلة دافئة .. وتناولت مكنستها من جديد ، وعادت تحجل فى أرجاء الحجرة وكأنها كانت ترقص !.. فغادر الاحدب مكانه خلف الخوان ، وسار الى وسط القاعة . واصبح بوسعنا ـ اذ ذاك ـ أن نرى انه من أهل البحر ، فقد كان يرتدى نعلين مكشوفين (صندل) ، وسروالا من سراويل صيادى السمك صنع من قماش أزرق ، وثنى طرفاه من اسفل ـ وقميصا مفتوح الصدر ، على نمط قميص « روبسبير » . وتقدم نحو الباب ، فتراجعنا معا ، وكأنما خامرتنا فكرة واحدة . وفتح الاحدب البابين الزجاجيين ، ثم جذب الحصير المعدنى من الداخل .

وقلت محاولا كتمان انفعالى : « منذا الذى كان يخطر بباله هذا ؟ »

فأجاب بالومبى فى حسرة اذهلتنى : « أجل ! »

وسرنا الى حظيرة للسيارات ، طلبنا منها النجدة ، ثم قضينا بقية الليل فى اخراج السيارة من الحفرة ، واعادة كل تلك الجلود اليها .

وبينما كنا ننحدر نحو (روما) ـ عند الفجر ـ شرع بالومبى يتكلم المرة الاولى مذ عرفته ، كما ينبغى أن يقال :
« أفرأيت مافعلته تلك الفاجرة « ايتاليا) بى ؟ »

فأجبت فى دهشة : « ما الذى تعنيه ؟ »

فانطلق يقول بلهجة كئيبة ، بطيئة : « .. **بعد كل الذى قالته لى .. بعد أن ظلت تمسك بيدى طيلة الوقت ، ونحن منطلقون فى رحلاتنا ذهابا وايابا ، وبعد أن أنبأتها بأننى كنت راغبا فى الزواج منها .. بل اننا كنا خطيبين ــ الى حد ما ــ فى الواقع .. ومع ذلك ، فهل رأيت ؟ .. أتؤثر دونى أحدب ؟ ! »**

وجعلتنى كلماته احبس انفاسى ، فلم أقل شيئا . بينما استطرد بالومبى قائلا : « **لقد أعطيتها كثيرا من الهدايا البديعة .. عقدا من المرجان ، وملفحة من الحرير ، وزوجا من الاحذية الجلدية المتينة ... انما أقول لك الحقيقة ، فلقد كنت مشغوفا بها فعلا ، وكانت ــ الى جانب ذلك خير فتاة تصلح لى ... انها امرأة جاحدة : لا قلب لها . هكذا هى فى الواقع .. ! »**

وظل سادرا فى مثل هذا الحديث فترة ، وهو يتكلم فى أناة ، وكأنه يخاطب نفسه ، فى ضوء الفجر الشاحب ، والسيارة تدرج بنا صوب (روما) .

* * *

. **وهكذا** لم اتمالك أن أرى أن « ايتاليا » قد غررت بنا معا ، لالشىء الا لتقتصد أجور السفر بالسكك الحديدية . وهاجنى أن أسمع « بالومبى » يتكلم ، اذ أنه كان يقول عين ما كان من المحتمل أن أقول ، كما ان هذه الامور كانت تبدو ، وهى تنبعث من فمه ــ هو الذى كان شبه عاجز عن الكلام ــ أمورا سخيفة ، مثيرة للسخرية .. وبلغ من غيظى أننى لم أتمالك أن اندفعت ــ على حين غرة ــ قائلافى قسوة ضارية : « كف عن الحديث الى عن كيس العظام هذه ، بالله عليك !.. اننى أريد أن أخلد الى النعاس ! » . واجابنى المسكين : « ان

من الامور مايوجـع .. ولكن ، لابأس .. لك ماتشاء ! » .
ومكث صامتا طيلة الطريق ، حتى بلغنا (روما).

ولقد ظل محزونا عدة شهور بأكملها . أما أنا ، فقد عادت الطريق – فى نظرى – الى ماكانت عليه من قبل .. طـريق لا اول لها ولا آخـر .. مجرد شريط كئيب من الاسـفلت ، يطوى ثم ينشر ثانية ، مرتين فى كل يوم .

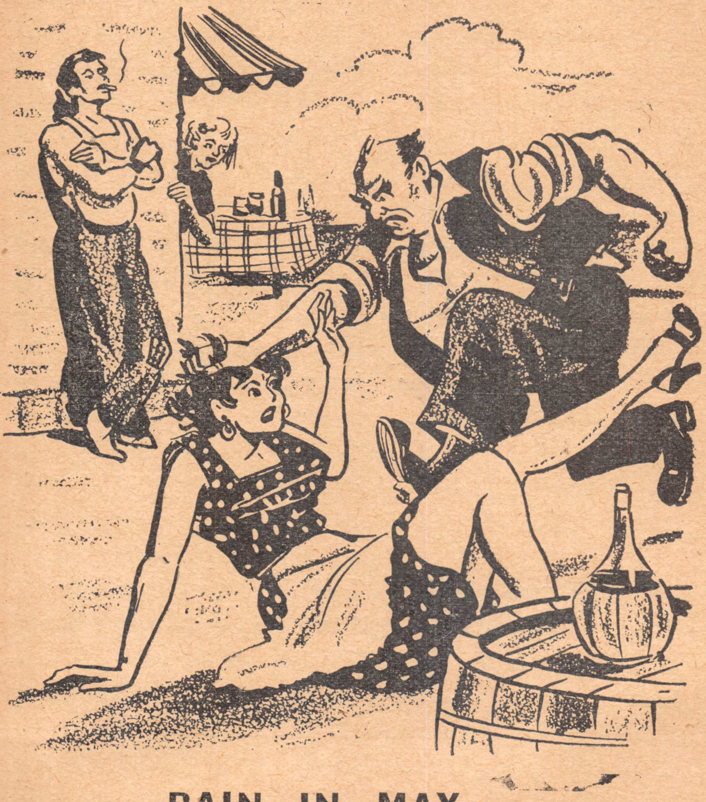
على أن الشىء الذى حملنى – فى نهـاية الامـر – على أن أبدل عملى، هو ان «ايتاليا» افتتحت حانةعلى طريق(نابولى) بالذات ، وأطلقت عليها اسم : « استراحة سائقى سـيارات النقل » ! .. والحق انها استراحة بديعة جديرة بأن يقطـع المرء مئات الاميال كى يزورها !

وغنى عن القول اننا لم نقف بها البتة . ومع ذلك ، فقـد ظل منظر « ايتاليا » أمام مائدة الشراب ، والاحدب يناولهـا الكؤوس وزجاجات البيرة ، مبعث ألم لى . لذلك اسـتقلت من عملى .

أما سيارة النقل – بعبارة « تحيا ايتاليا » على زجاجهـا الامامى ، وبالومبى خلف عجلة قيادتها – فلا تزال تجرى على الطـريق ! .

– * –

المطر في شهر مايو !



RAIN IN MAY

• **لسوف** أعود ـ في يوم من الايام ـ الى جبل (ماريو) .. الى فندق (كاتشياتورى) . ولكنني سأذهب ـ اذ ذاك ـ مع اصدقائى .. زملاء يوم الاحد ، الذين يعزفون على « الكونشيرتينا » ، ولسوف نرقص معا ، اذا لم تكن ثمة فتيات لنرقص معهن !.. أبدا لن اجرؤ على الذهاب وحيدا !

وانى لاحلم فى الليل ـ أحيانا ـ بموائد الفندق الصغير ، وبأمطار شهر مايو الدافئة ، وهى توقع انغامها على هذه الموائد ، وبالاشجار العابسة وهى تقطر الماء فوقها .. وقد بدت السحب ـ بين الاشجار ـ وهى تمر فى الافق ، ولاح منظر بيوت روما ، تحت هذه السحب ! .. **وأخالنى أسمع صوت صاحب الفندق ، « انتونيو توتشى » ـ كما سمعته فى ذلك الصباح البعيد ـ وهو ينادى من قبو الدار ، فى صخب : « ديرشى ، ديرشى ! » . وأتمثلها أمامى مرة أخرى، وهي ترمقنى بنظرة الشريك المتآمر ، قبل أن تهبط الى القبو، ووقع خطوتها الثابتة يدوى على درجات السلم !**

كنت قد وصلت الى هناك بمحض المصادفة ، حين وفدت من الريف على (روما) . فلما عرضنا على أن أعمل ساقيا ، مقابل ايوائى فى الفندق ، دون أن يدفعا لى أجرا ، قلت لنفسى : « اننى لن أحصل على نقود ما ، ولكننى سأعيش كفرد من الاسرة ، على الاقل ! »

ويالها من أسرة ، فى الواقع ! .. لقد وجدت انها كانت جحيما ، وليست أسرة ! فقد كان رب الدار مكورا ، سمينا ، ككرة من الزبد ، ولكن بدانته كانت من ذلك النوع الثقيل الدم ، الممجوج . فقد كان له وجه مغبر مستدير ، تتخلل سطحه بأسره أخاديد دقيقة ـ نجمت عن سمنته ـ وعينان صغيرتان كالخرزتين .. بل هما تشبهان عينى الثعبان .. وكان يبدو دائما فى صديرية ، وقميص مشمور الكمين ،

وقلنسوة رمادية ذات حافة يجذبها دائما فوق عينيه ..

أما ابنته ((ديرشى)) ، فلم تكن أفضل من أبيها شخصية .. كانت جافة ، سيئة الطباع ، خشنة . ولكنها كانت جميلة .. كانت من أولئك النسوة الصغيرات الاجسام ، المفتولات العضلات ، اللاتى يحركن أردافهن وأقدامهن بقوة ، اذ يسرن ، وكأن الواحدة منهن تريد أن تقول : ((ماعليك يا أرض غيرى !)) . وكان لها وجه مستدير ، وعينان سوداوان وشعر فاحم ، وبشرة شاحبة فى لون الموتى . **ولعل البيت لم يكن يضم شخصية لطيفة سوى الام . فقد كانت فى حوالى الاربعين من عمرها ، ولكنها كانت تبدو فى الستين : نحيلة ، لها أنف العجائز ، وشعر العجائز الحائل اللون .. على أن لطفها ربما كان راجعا الى نقص فى ذكائها..** أو هكذا كنت خليقا بأن تظنها — على أية حال — اذا رأيتها أمام موقد الطهو ، وقد اختلج وجهها بأسره ، بضحكة خفية صامتة . فاذا ما التفتت ، استطعت ان تتبين انها لم تؤت سوى سن واحدة ، أو اثنتين .. وهذا جل مافى فمها !

* * *

• وكان الفندق يشرف على الطريق ، تنم عنه اشارة على شكل قوس فى لون دم الثور ، يحمل هذه الكلمات : ((فندق كاتشياتورى ، لصاحبه انتونيو توتشى)) ، وقد نقشت بلون أصفر . ومن هذا القوس كانت تمتد طريق ظليلة الى الموائد التى قامت تحت الاشجار ، فى مواجهة المنظر الذى كان بمثابة لوحة لمدينة (روما) . أما المبنى ذاته فكان ريفيا ، يتألف من جدران لاتكاد تتخللها نوافذ ، وسقف من القرميد .

وكان الصيف هو خير المواسم ، اذ كان الناس يتوافدون على الفندق من الصباح حتى منتصف الليل .. اسرات تصطحب أطفالها ، عشاق ، ثلل من الرجال .. فكانوا

يجلسون الى الموائد ، يشربون النبيذ ، ويتناولون مايقدمه « توتشى » من طعام ، ويتأملون المنظر . ولم نكن نجد وقتا نتمالك فيه أنفاسنا .. فكنا نحن الرجلين ـ نقوم بخدمة الرواد طيلة الوقت ، بينما كانت المرأتان تطهوان وتغسلان دون انقطاع . فاذا أقبل المساء ، كان التعب يثقلنا ، فنأوى الى مضاجعنا ، لايكاد الواحد منا ينظر الى وجوه الآخرين .

أما فى الشتاء ـ بل وعندما تسقط الامطار فى الفصول الطيبة ـ فان المتاعب كانت تبدأ . اذ كان كل من الاب والابنة يكره الآخر . بل ان القول بأن كلا منهما كان يكره الآخر ، يعتبر وصفا مخففا ، فقد كان كل منهما على استعداد لان يقتل الآخر ، عن طيب خاطر .. **كان الاب متعسفا ، وضيعا ، غبيا ، على استعداد لان يبث المضايقات فى كل ماحوله ، لاتفه الامور . بينما كانت الابنة صلبة كالصوان ، منطوية على نفسها ، حقودة ، تصر دائما على أن تكون لها الكلمة الاخيرة ، وتذهب فى العناد الى درجة الشراسة .**

ولعل أعظم ما كان تنبع عنه كراهيتهما المتبادلة ، هو انهما من دم واحد . وكما هو معروف ، ليس كصلة الدم فى ايغار الناس بعضهم على بعض !.. على انهما كانا يتبادلان الكراهية لدواع تنبعث عن المصلحة الخاصة كذلك فقد كانت الابنة طموحة ، وكانت تقول أن منظر (روما) ـ الذى يشرف عليه الفندق ـ كان رأس مال جاهز ، مهيأ للاستغلال ، ولكنهم كانوا يتركون الخير يذهب أدراج الرياح ، بدلا من أن يفيدوا منه . وكانت تقول أن من الجدير بأبيها أن ينشىء ساحة بالاسمنت للرقص ، وأن يستأجر فرقة موسيقية ، ويعلق فوانيس صيفية ، ويحول الدار الى مطعم حديث يسميه « مطعم منظر المدينة » .

ولكن الاب لم يكن يثق بأحد ـ ولابنفسه ـ لانه كان وضيعا ، وعدوالكل جديد ـ من ناحية ـ ولان ابنتههى التى

كانت تقترح ذلك ـ من ناحية أخرى ـ وكان يؤثر أن تقطع رقبته ، على أن ينزل عند رأى ابنته !.. **وكان الشجار يدب بين الاب والابنة ، كلما جلست الاسرة الى المائدة . فكانت الفتاة تشن حملة ، بأسلوب وقح جارح ، لسبب شخصى محض .. كأن يتجشأ أبوها أثناء الاكل ، على سبيل المثال ! .. وكان يرد حملتها بعبارات وقحة ، شتامة .. فتمعن الابنة فى حملتها ، فيصفعها الاب** .. وجدير بالذكر انه كان يستمرىء صفعها ويجد فيه متعة ، اذ كان وجهه يتخذ شكلا معينا ، فيعض على شفته السفلى ، وتدور عيناه فى محجريهما . على أن الصفعة كانت ـ لدى الابنة ـ أشبه بالماء النمير للزهرة ، فكانت تزداد اغداقا للكراهية والقحة . وإذ ذاك ، كان أبوها يمسك بشعرها ، وينهال عليها ضربا .. وتنهمر الاطباق والاكواب على الارض ، ولا تلبث الام أن تنضم الى المعركة ، اذ تحاول أن تتدخل بين الاب والابنة ، ولكن بوسيلة تنم عن غباء ، وبتلك الابتسامة الابدية على فمها الخالى من الاسنان .. بينما ابرح أنا البيت ، بقلب يفيض بالسم ، وانطلق متريضا فى طريق (لاكاميلوتشيا)

* * *

• **ولقد** كنت خليقا بأن أهجر المكان قبل ذلك بأمد طويل، لولا اننى وقعت فى هوى « ديرشى » . ولست من ذلك الصنف من الرجال ، الذين يقعون فى الحب بسهولة ، اذ اننى رجل عملى ، لا تسبينى الكلمات ولا النظرات . أما حين تمنح امرأة مانفسها ـ لا الكلمات والنظرات فحسب ـ فتهب كل كيانها ، لحما ودما ، بغتة ودون مساومة ، فهنا يتردى الرجل ، وكأنه وقع فى فخ ، وكلما ازداد جهدا لتحرير

نفسه ، ازدادت أسنان الفخ انغراسا فى لحمه . **ولا بد أن « ديرشى » كانت قد عقدت النية على شىء من هذا القبيل ، حتى قبل أن تعرفنى ، فلم يكن يعنيهـا فى شىء أن أكون أنا المتردى أو رجل سواى .. اذ انها أقبلت على حجرتى ـ فى يوم وصولى بالذات ـ عندما أوشكت على النعاس، فانتزعتنى بجذبة واحدة من عدم الاكتراث الى الوجد المشبوب ، وانا بين اليقظة والمنام ، حتى ليتعذر على أن أعرف ما اذا كان ماجرى حلما أو حقيقة !** .. والواقع انه لم يدر بيننا حديث ولا نظرات ، ولا لمسات ، ولا أى نوع من المراودات التى يلجأ اليها أى حبيبين ليفصح كل منهما للآخر عن حبه .. بل ان الامر كان على النقيض ، فكأننى كنت مع مومس ، ومومس من الصنف الرخيص ! .. وكل ما هناك من فارق ، هـو أن « ديرشى » لم تكن بغيا ، بل انهـا ـ على العكس ـ كانت معروفة بالتقوى والترفع .. وكان هذا التناقض بالذات هو الذى اعد لى الفخ الذى وقعت فيه !

وأنا رجل فطرت على الصبر واتباع صوت العقل ، ولكننى ـ كذلك ـ عنيف ، يتدافع الدم سراعا الى رأسى ، اذا ما أهاجنى الناس . وهو أمر ينم عنه مظهرى الجسدى ، فأنا أشقر الشعر ، شاحب الوجه ، ولكن أى شىء يستطيع أن يحول لونى الى الحمرة القانية . **ولقد اهاجتنى « ديرشى » ، فلم ألبث أن تبينت السبب الذى دعاها الى ذلك .. كانت تريدنى على أن أقف الى جانبها ضد أبيها. وقالت اننى كنت جبانا اذ اسمح لابيها بأن يضربها أمامى وان يمسك بشعرها ، بل وان يتمادى الى أبعد من ذلك ـ كما حدث فى احدى المرات ـ فيطرحها أرضا ، ويروح يركلها .. ولست أزعم أنها لم تكن على حق ، فقد أصبحنا عشيقين ، وكان من واجبى أن أذود عنها .** بيد اننى تبينت ان ثمة غاية أخرى

كانت تستهويها .. وفى غيظى للاهانة اذ وصفت بالجبن ، وسخطى اذ عرفت أنها كانت تستخدم الكلمة لغرض مقصود ، لم أقو على احتمال حديثها .. بيد انها لم تلبث أن غيرت لهجتها ، ذات يوم بديع ، وأخذت تصور لى كم يكون جميلا ان نتزوج ، وان نحقق مشروع « مطعم منظر المدينة » ، لحسابنا الخاص .. أنا وهى فقط !

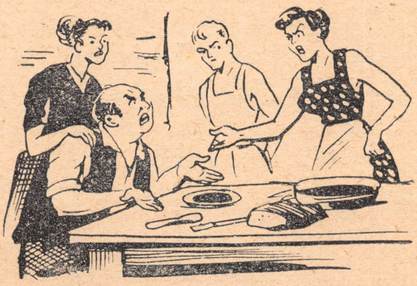
وتحولت فاذا هى فى تألق الذهب ، واذا هى كلها رقة ، ومحبة ، وحلاوة ! .. وكانت هذه أجمل فترات حبنا ، ولكنى لا أكاد أجد أثرا من كل هذا فى الفتاة الان ، ولابد انه كان فى الامر شىء اذ ذاك .. **والواقع انها لم تلبث أن غيرت لهجتها - مرة أخرى - على حين بغتة ، وراحت تقول انه لن يكون لنا ان نطمع فى أمل واحد - سواء كنا متزوجين أو لم نكن - طالما ظل أبوها على قيد الحياة .. وقصارى القول ، ان علينا - كما قالتها لى بصراحة - أن نقتله ! ..** وكان هذا التحول شبيها بالمفاجأة التى تمثلت فى وفودها على حجرتى فى ليلتى الاولى .. فلا مقدمات ، ولا مداورات ، بل انها رمتنى بهذا الاقتراح ، ثم انصرفت ، وخلفتنى أقلبه فى فكرى !

* * *

• **وقلت** لها - فى اليوم التالى - انها كانت مخطئة اذ ظنت اننى على استعداد لان أساعدها فى أمر كهذا ، فأخبرتنى بأنه من الخير لى - فى هذه الحال - أن أحزم أمرى على الرحيل فورا ، لاننى لم أعد على قيد الوجود بالنسبة لها ! .. وكانت عند كلمتها فعلا ، اذ انها نادرا ما التفتت الى ، منذ ذلك اليوم ، واصبحنا لانكاد نتبادل حديثا . **وكان رد فعل هذا - فى نفسى - اننى اتجهت الى كراهية الاب ، فقد لاح لى ان**

الذنب كان ذنبه هو ! .. وشاءت المصادفة ، أن يشرع الاب فى اثارة المشاجرات يوميا – فى تلك الفترة – وكأنه كان يتعمد أن يجعل نفسه مقيتا .

كان ذلك فى شهر مايو ، وهو موسم الرواج ، الذى اعتاد الناس أن يفدوا فيه على الفندق ، ليحتسوا النبيذ ويلتهموا « الفاصوليا » الجديدة .. على أن الامور جرت – فى هذه الفترة – على النقيض ، اذ راحت الامطار تنهمر دافقة طيلة الوقت ، على أرض الريف الخضراء الخصيبة ، فلم يعد يفد على الفندق أحد ولا .. كلب ! ومن ثم فقد أصبح رب الفندق فى ضيق وسوء طباع دائمين .



وفيما كنا حول المائدة – ذات يوم – اذا به يدفع طبقه جانبا ، وهو يقول : « انك تتعمدين أن تقدمى لى هذا الحساء القذر الكثيف ! » . فأجابته الفتاة : « لو اننى تعمدت أمرا ، لدسست لك السم فيه ! » . فحملق فيها ، ثم صفع وجهها بشدة ، حتى لقد قفز المشط من شعرها . وكنا فى شبه ظلام ، من جراء المطر ، فاذا بوجه « ديرشى » يبدو فى العتمة أبيض ، جامدا ، كأنه قد من رخام .. وأخذ شعرها يتهدل –

فى الجانب الذى سقط المشط منه ـ رويدا ، فى تؤدة بالغة ، وكأنه ثلة من الثعابين التى تستيقظ من نعاس !.

وهنا قلت لتوتشى : « هل تسمح بالكف عن هـذا ؟ » . فأجاب : « لاشأن الك بهذا ! » . بيـد انه كان فى دهشـة ، لانها كانت المرة الاولى التى أتدخل فيها بينهما . وخامرنى فى تلك اللحظة شعور أقرب مايكون الى الغرور ، وكأننى كنت أذود عن امرأة ضعيفة .. وهو مالم يكن يطابق الواقع تماما. **وخطر لى اننى بهذه الطريقة جدير بأن أعود الى الاستحواذ على الفتاة مرة اخرى ، وأن هذه هى الطريقة الوحيـدة التى تيسر لى نيلها من جديد . ومن ثم فاننى قلت بصوت مرتفع: « كف عن هذا ! أتفهم ما أقول ؟ .. اننى لن اسكت عن هذا ! »**

وكان وجهى قد أصبح فى لون اللهب ، بينما تدافع الدم فى عروقى .. وأمسكت « ديرشى » بيـدى ـ تحت المائدة ـ فأدركت اننى كنت فى قبضتها ـ ولكن فرصة التراجع كانت فاتت . وقفز الرجل قائمـا على قدميه ، قائلا : « وهاك صفعة لك أنت الآخر ! » . وانهال على خدى بصفعة رنانة ، فقبضت على كوب وطوحت فى وجهه بـكل ما كان فيهـا من نبيذ . واعتقد اننى كنت أفكر فى تلك الكوب وذلك النبيذ ، شهرا قبل ذلك . وكم سررت بهذه الحـركة منى ، وشـدما كرهت « توتشى » !

أما وقد أصبح النبيذ يغمر وجهه ، وقد حققت الحـركة التى كنت أرجوها ، فاننى أسرعت أصعـد درجات السلم . وسمعته يصرخ خلفى : « لسوف أقتلك ، أيها الوغد ، أيهـا الافاق ! » .. وسرعان ما أغلقت باب حجرتى ، وسرت الى النافذة لاتأمل المطر المنهمر . وفى غمـرة الهيـاج ، تناولت السـكين ـ التى اعتـدت أن أستبقيهـا فى أحـد أدراجى ـ

وغرستها فى قاعدة النافذة بشدة قصمت نصلها !

* * *

وبعد ؟ ! .. لقد كنا هناك ، فوق جبل (مونتى ماريو) المشئوم ، ولو أننى كنت فى (روما) ، لما كنت خليقا بأن أوافق على ما كانت « ديرشى » تريده منى . ولكن كل شىء أصبح هناك طبيعيا ، واذا الشىء الذى كان من المستحيلات فى اليوم السابق ، يصبح أمرا مفروغا منه فى اليوم التالى . ومن ثم فقد غدوت على تفاهم مع « ديرشى » ، فجمعنا رأينا معا على الوسيلة ، واليوم ، والساعة .. اذ اعتاد « توتشى » أن يهبط — فى كل صباح — الى القبو لكى يحضر الخمر اللازمة لليوم ، وكانت « ديرشى » تصحبه حاملة قنينة كبيرة ليملأها . وقد كان القبو تحت سطح الارض .

وكانت وسيلة الهبوط اليه درجات ثبتت الى اطار ، وأسندت الى الجدار .. وأعتقد أنها كانت سبع درجات . وقد استقر رأينا على ان اتبعهما الى القبو . وبينما يكون « توتشى » منحنيا ليحكم سدادة قنينة الخمر ، انهال على رأسه بقضيب من حديد ، كان يستخدم لتحريك النار . ثم نزحزح السلم عن مكانه ، ونقول ان الرجل قد وقع فتهشمت جمجمته !

وكنت راغبا فى ذلك .. وكنت غير راغب ، كذلك ! على أننى فى سورة الغيظ قلت : « سأقدم على هذا العمل ، لاثبت أننى غير خائف .. بيد أننى سأرحل بعده ، فلا أعود البتة ! » . فكان جواب ديرشى : « يحسن بك — فى هذه الحال — أن لا تفعل شيئا ، وأن ترحل لفورك .. فاننى

أحبك ، ولا أبتغى أن أفقدك ! »

كانت تعرف كيف تذكى صبابتى عندما تريد ، ومن ثم فقد أنبأتها بأننى على استعداد لأن أرتكب ذلك العمل ، وأن أمكث بعده ، فنفتتح المطعم معا !

وفى اليوم المحدد ، طلب « توتشى » الى « ديرشى » أن تحضر قنينة كبيرة ، ثم اتجه صوب باب القبو ، وكان فى أقصى أركان المبنى . وكان المطر ينهمر — كالمعتاد — وجوف الفندق شبه مظلم . وأحضرت « ديرشى » القنينة الكبيرة ، ثم تبعت أباها . ولكنها التفتت نحوى — قبل أن تهبط الى القبو — وأصدرت اشارة جد واضحة ، تنم عن أننا بيتنا أمرا . ولمحت أمها هذه الاشارة — وهى تقف بالقرب من الموقد — فوقفت فاغرة فاها ، تحملق فينا .

ونهضت عن المائدة ، فسرت الى الموقد ، وتناولت محرك النار ، ومررت أمام الام مباشرة . فحملقت فى ، ثم نظرت الى « ديرشى » .. وكانت نظراتها حافلة بحديث طويل ، ولكن من الجلى أنها لم تكن راغبة فى أن تتكلم ! .. وكان والد « ديرشى » يصرخ منادياً اياها ، من القبو : «ديرشى ، ديرشى» . فأجابت : « ها أنذى مقبلة ! » .. **وما زلت أذكر أننى قلت لنفسى — لآخر مرة — انها كانت ذات بدن جذاب .. وهبطت السلم بقدمين ثابتتين ، فى تلك المشية التى كانت تحذقها فتثير الحواس .. وأحنت عنقها البض الملفوف ، تحت الحافة العليا للباب !**

وفى تلك اللحظة ، فتح الباب المؤدى الى الحديقة ، وأقبل رجل نشر على منكبيه جوالا مبتلا . كان حوذيا من المشتغلين بالنقل . وقال دون أن ينظر الى : « أعرنا يدك يا فتى .. هلا ساعدتنا ؟ » . فتبعته بطريقة آلية ، وأنا لا أزال قابضا على

محرك النار .. وكان العمل يجرى فى بناء حظيرة ، فى المزرعة المجاورة ، وقد حملت عربة هذا الحوذى أحجارا ، ولكن عجلاتها غاصت فى الطين ، وهى تدلف خلال باب المزرعة ، فعجز الجواد عن أن يقلقلها من مكانها . وبدأ الحوذى ــ الذى كان قبيحا، قميئا، كالحيوان ــ وهو يحرق الارم غيظا .

* * *

. **ووضعت** محرك النار على احدى قوائم باب المزرعة ، ثم دسست حجرين تحت عجلتى العربة ، ورحت أدفعها ، بينما أمسك الحوذى بعنان الجواد وراح يجذبه .

وكان المطر ينهمر مدرارا على أشجار البيلسان الكثيفة ، وأشجار السنط المزهرة التى كان عبيرها ينبعث قويا .. ولم تتحرك العربة ، بينما راح الحوذى يسب ويلعن ، وتناول سوطه وانهال بمقبضه على الجواد . ثم اشتد حنقه ، فقبض على محرك النار ، الذى كنت قد وضعته على قائمة الباب.

وكان بوسعك أن تتبين أنه كان يتميز غيظا ، لا من جراء العربة ، وانما من جراء حياته كلها ، فقد كان يمقت الجواد ، كما لو كان شخصا . وقلت لنفسى : « ها هو ذا يوشك أن يقتله ! » . وكنت على وشك أن أصرخ : « لا ، دع محرك النار مكانه ! » .. ولكننى تبينت ــ اذ ذاك ــ أننى سأغدو بمأمن اذا هو قتل الجواد . فقد لاح لى أن غيظى وهياجى كانا ينتقلان الى جسد الحوذى ، الذى بدأ كرجل تملكه الشيطان .. بل أنه كان كذلك فعلا ، فقد مال بجسده على ذراعى العربة ، ودفعها دفعة أخرى ، ثم شرع ينهال على رأس الجواد بالقضيب .

وأغمضت عينى ، عند الضربة الاولى .. ثم سمعته يواصل

الضرب ، فراحت قواى تتسرب منى ، حتى أوشكت أن أخر مغشيا على . وما لبثت أن فتحت عينى ثانية ، فرأيت الحصان وقد جثا على ركبه ، والحوذى ماض فى ضربه .. لا لكى يحثه على النهوض ، وانما .. لكى يقضى عليه ! .. وارتمى الحصان على جانبه ، وراح يركل الهواء بأقدامه ، فى وهن .. ثم أسلم رأسه للوحل .

وطوح الحوذى بالقضيب ، وهو يلهث ، وقد اكفهر وجهه ثم ركل الجواد . ولكن ، دون جدوى .. فأدرك أنه قد قضى عليه .

ومررت دون أن أحتك به ـ ثم انطلقت أسير نحو الطريق العامة ، وأقبل قطار الترام ، فى طريقه الى (روما) ، فهرعت وقفزت اليه ، ثم التفت خلفى ، فرأيت ـ للمرة الاخيرة ـ لافتة الفندق : « فندق كاتشيانورى ، لصاحبه أنتونيو توتشى » ، خلال أوراق الاشجار المخضلة بمياه أمطار شهر مايو !





إلى

زيورخ

عن طريق

أثينا . روما

بطائرات

الفايكونت الفاخرة المجهزة بالرادار

شركة مصر للطيران

القاهرة - ميدان الاوبرا ت ٤٧٢٥٦ - ٤٧٧٣٥ - ٥٦٩٢٩
الاسكندرية - ميدان محطة الرمل ت ٣٣٣٥٧ - ٢٤٢٠٣ - ٢٠٧٧٨
بورسعيد - ٣٩ شارع الجمهورية ت ٢٨٧٠

في سبيل حذاءين!



THE TERROR OF ROME

• **كنت** أتوق الى زوج من الاحذية الجديدة ، الى درجة اننى رحت أحلم بهما خـــلال الصيف ، وأنا راقد فى حجرة الطابق الأرضى ، حيث أجر البواب لى سريرا صـــغيرا ـ من أسرة المعسكرات ـ فى مقابل مائة ليرة فى الليلة ٠

وما كان شوقى راجعا الى اننى كنت أسير حافى القدمين ، وانما الى أن الحذاءين اللذين كنت ألبســهما ، كانا منحة من الأمريكيين ، وكانا خفيفين ، رقيقى النعلين ، وأوشكا ـ فى هذه الفترة ـ أن يصبحا بلا كعبين ، كما أن أحدهما كان قد ثقب عند الأصبع الصغرى لقدمى ، بينما كان الثانى قد نحل حتى أصبح يبدو أقرب الى النعل (الشبشب) الخفيف ، منه الى الحذاء !

وكنت أتحايل على طرد الجوع ـ الى حد ما ـ ببيع بضع أشياء فى الســـوق السوداء ، وبحمـــل « الطرود » ، وأداء المهمات ٠ ولكننى لم أوفق قط الى ادخار النقود اللازمة لابتياع حذاءين ، اذ ظللت بحاجة الى بضع آلاف من الليرات ٠ **وأصبح هــذان الحذاءان المنشودان عبئـــا يجثم على صدرى ، وقذى أسود يعكر صفوى ، ويطاردنى أينما ذهبت !٠٠ وبدا لى أن ليس بوسعى أن أعيش بدون حذاءين جـديدين ٠ وكان الهم لاضطرارى الى البقاء بدونهما ، يثقل علي ـ فى بعض الأحيان ـ الى درجة أذهب معها الى التفكير فى أن أقتل نفسى !**

وكنت اذا سرت فى الطريق لا أنظر الى شىء ســوى أقدام المارة ٠٠ وفيما عدا ذلك ، كنت أقف أمام نوافذ محال صانعى الأحذية ، وأظل أحملق ـ بعينين واسعتين لفرط الاعجـاب ـ فى الأحذية الطويلة والأحذية العديمة الرقاب ، وأقارن بين أسعارها ، وأشكالها ، وألوانها ، وأنتقى ـ فى ذهنى ـ الزوج

الذى يكون أكثر ملاءمة لى مما عداه ٠

* * *

◆ **وفى** الحجرة القابعة تحت مستوى الأرض ـ حيث اعتدت أن أنام ـ تعرفت الى شخص يدعى « لوروسو » ، كان شريدا مثلى ٠٠ كان شابا أشقر الشعر مجعده ، متين البنيان وان لم يضارعنى طولا. وسرعان ما تبينت أننى كنت أحسده لمجرد أنه استطاع ، بوسيلة ما ، أن يحصل لنفسه على زوج ـ بديع حقا ـ من الأحذية ذات الأربطة ، صنع من جلد سميك ، وقد أوتى نعلا مزدوجا ، ومسامير واقية ٠٠ من ذلك النوع من الأحذية ، الذى يرتديه ضباط الحلفاء ٠ وكان هذان الحذاءان كبيرين جدا بالنسبة لقدمى « لوروسو » ، فكان يحشوهما ، فى كل صباح ـ فى الواقع ـ بورق الصحف ، ليلائما قدميه . ولكنهما ـ من ناحية اخرى ـ كانا يلائمان قدمى أنا تماما ، لانهما كانا أكبر من قدمى « لوروسو » .

وكنت أعرف أن للوروسو رغبة يتوق كثيرا الى تحقيقها ٠٠ كان يهفو الى أن يبتاع مزمارا من مزامير الرعاة ، وهى أداة كان يجيد العزف عليها ، لأنه كان يعيش مع الرعاة ، على الجبال ، قبل أن يفد على (روما) ٠ وكان يقول انه بجسمه الصغير الحجم ، وشعره الأشقر ، وعينيه الزرقاوين ، وسترته الواقية من الريح ، فوق سرواله ـ الذى كان من سراويل جنود الحلفاء ـ وقد دست ساقاه فى رقبتى حذائيه ـ اللذين كانا من أحذية جنود الحلفاء ـ وغليونه بين شفتيه ٠٠ كان يقول أنه يخال أن بوسعه أن يطوف بالمطاعم ، وأن يكتسب كثيرا من النقود ، اذ يعزف على المزمار ألحان الرعاة ـ التى كان يعرفها ـ وبعض الألحان الأخرى التى حفظها أثناء عمله

كساع لدى الأمريكيين • **ولكن المزمار كان يتكلف مبلغا كبيرا من المال ، يعادل ثمن زوج من الاحذية ، ان لم يزد • وماقدر للوروسو ـ الذى كان يمارس مثلى كل الحرف ـ أن يحصل على المال اللازم لشراء المزمار • لذلك فانه كان يفكر كثيرا فى مزماره ، بقدر ما كنت أفكرى فى حذاءى ، فاتفقنا معا على أمر، دون أن نتكلم عن شىء اللهم الا أننى حدثته ـ أولا ـ عن الحذاءين ، فحدثنى هو عن المزمار • ولكن هذا الحديث لم يتجاوز مجرد الكلمات ، فلم نسع الى أن ندبر لنفسينا المزمار أو الحذاءين •**

وانتهينا أخيرا الى اتفاق مشترك •• الى قرار •• أو بالأحرى ، كنت أنا الذى فكر فيه ، فوافق عليه « لوروسو » فى الحال ، وكأنه لم يكن يفكر قط فى أى شىء آخر طيلة عمره • ذلك هو أن نذهب الى بقعة منعزلة ، من البقاع التى يرتادها العشاق ، مثل حدائق (بورجيزى) ، وهناك نباغت زوجا من أولئك العشاق الذين يبحثون عن البقاع المنعزلة ، ليستمتعوا بالعناق والقبلات ، دون أن يعكر عليهم أحد صفوهم • ولقد اكتشفت اذ ذاك ـ لدهشتى ـ أن « لوروسو » كان متعطشا الى الدم •• وهو ما لم أكن أصدقه ، لبراءة مظهره الذى كان يشبه مظهر فتيان الرعاة • فقد بادر لفوره الى القول ـ فى تحمس ـ بأنه أوشك أن يشعر بأنه كان «ينهال» على المرأة والرجل معا •• وقد مكث يردد كلمة « الانهيال » ـ التى لم يكن يدرى من أين اكتسبها ـ فى تلذذ واستمراء ، وكأنه كان يتمثل اللحظة التى ينهال فيها عليهما حقا !•• بل انه انقض على ، فى احدى المرات ـ وكأنما كان راغبا فى أن يبين لى كيف كان خليقا بأن يتصرف ـ وأمسك بطوقى ، متظاهرا بأنه ينهال على رأسى بالمفتاح الانجليزى الثقيل الذى

كان يمتلكه ، وهو يقول : « سأضربه هكذا ٠٠ هكذا ٠٠ هكذا ٠٠ الى أن أشبعهما معا لكما ! »

على أننى أوتيت أعصابا جـد سيئة ، اذ كنت قد ظللت مستلقيا يوما وليلة ، فى قبو تحت أنقاض منزلى ، فى قريتى الأصلية ، بعد غارة جوية ٠ لذلك أصبحت ـ منذ ذلك الحين ـ عرضة لنوبة تجعل أعصاب وجهى تختلج باستمرار ، كما أن أتفـه الأمور كفيل بأن يجعلنى أفقد سـيطرتى على نفسى ٠ ومن ثم فقد دفعت لوروسو بعنف ، فارتمى على جدار الحجرة التى كانت تحت مستوى الأرض ، وقلت : « احتفظ بيديك لنفسك ٠ فاننى أقسم بأن أنتزع منك هذا المفتاح الانجليزى ، فأهوى به على رأسك بضربة قاضية ، اذا أنت مسستنى مرة ثانية ! »

وما لبثت أن تمالكت نفسى ، فقلت : « ألا ترى مدى جهلك وغبائك ؟ .. انك لا تفهم شيئا ، بل انك أغبى من الثور ! .. ألا تدرى أن العاشقين اللذين يتبادلان الحب فى الخلاء ، انما يفعلان ذلك لأنهما لا يبغيان أن يعرف أحد بأمرهما ؟٠٠ لولا هذا ، لمارسا الهوى داخل الدور ٠٠ لذلك فانهما لن يجرءا على أن يبلغا أمرك الى السلطات ، اذا أنت استوليت على نقودهما ، اذ أنهما يخشيان أن يعرف زوج أو أم بما يمارسانه من هوى ! ٠٠ أما اذا أنت ضربتهما حتى آذيتهما ، فلن تلبث الصحف أن تتحـدث عن ذلك ، ويعرف كـل امرىء بالأمر ، فيقبض البوليس عليك فى النهاية ٠٠ لا ، انما الشىء الذى ينبغى ، هو أن نزعم أننا من رجال المباحث ، ونصيح فيهما : « ارفعا الأيدى !٠٠ انكما تتبادلان القبلات فى مكان عام ، فهلا تدريان ان هذا محرم ؟ .. انكما تخرقان القـانون ! » .. وبحجـة

الخروج على القانون ، نستطيع أن نستولى على نقودهما وننصرف ! »

وحملق « لوروسو » فى ـ اذ كان غاية فى الغباء ـ وظل يحملق وهو فاغر الفم ، وعيناه اللتان فى زرقة القيشانى تتطلعان من تحت شعره الأشقر الزاحف على جبينه • وأخيرا قال : « أجل ، ولكن ••• ولكن الموتى لا يشون بما جرى »•• قالها في بساطة ، كما كان شأنه حين قال : « سأضربه هكذا ! » •• كأنه ببغاء لا يدرى سوى الله من أين التقط الكلمات !•• فأجبته : « لا تكن أحمق •• افعل ما أشير عليك به ، واعقل لسانك ! » • ولم يحاول أن يقدم على أي اعتراض آخر ، وبهذا انعقد اتفاقنا على الخطة !

★ ★ ★

• **ولما** حان اليوم المحدد ، خرجنا فى المساء الى حدائق (بورجيزى) • وكان « لوروسو » يحمل المفتاح الانجليزى داخل سترته الواقية من الريح ، بينما حملت فى جيبى مسدسا ألمانيا كنت قد كلفت ببيعه ولكننى لم أجد له مشتريا • وكنت قد أفرغت الرصاص منه ـ على سبيل الاحتياط ـ اذ رأيت أن حملتنا اما أن تنتهى الى نجاح سريع ، واما أن نعدل عنها اذا وجدت أن الضرورة تدعو الى اطلاق النار •

وسرنا فى الطريق الذى يمتد بجانب طريق الجياد ، فاذا كل مقعد يحمل عاشقين ، ولم يحل بيننا وبين غايتنا سوى أن الطريق كانت مزودة بمصابيح ، وكان الناس يسلكونها ، فكأنها شارع عام••وعرجنا الى الطريق المفضية الى (بينشيو)، وهي من أكثر أرجاء حدائق (بورجيزى) ظلمة ، نظرا لكثافة

الأشجار ، ولندرة المصابيح ٠٠ **وكان العشاق الذين احتلوا المقاعد يفوقون الحصر ٠٠ بل لقد كان بين المقاعد ما احتله زوجان من العشاق ، وقد مضى كل اثنين فى العناق والقبلات ، غير عابئين ـ أحيانا ـ بالعاشقين الآخرين ، دون أن يخامرهما استحياء من أنهما كانا على مرأى من هذين العاشقين الآخرين اللذين كانا يمارسان الشىء ذاته !**

ولاح على « لوروسو » أنه نسى ـ اذ ذاك ـ رغبته فى لكم الناس وايذائهم ، فهكذا فطر ، وقد اعتاد أن يبدل فكره بسهولة بالغة ٠٠ فما هو أن رأى العشاق يتبادلون القبلات ، حتى أخذ يتنهد ، وراحت عيناه تومضان ، وامتلأت أساريره بالحسد ٠ ومضى يقول لى : « اننى لا أزال فى شرخ الشباب ، على أية حال ٠ وأصارحك بأننى اذ أشهد كل هؤلاء العشاق يتبادلون القبلات ، أتمنى لو لم أكن فى (روما) ، ولو اننى كنت فى الريف ، فاذ ذاك كنت أرهب الرجل حتى أحمله على الفرار ، ثم أتحول الى الفتاة قائلا : تعالى يا حسنائى ٠٠ تعالى يا جميلتى ، فلن أوذيك ٠٠ هيا ، تعالى يا حبيبتى ٠٠ تعالى الى فتاك توماسو ! »

وأخذ يسير فى منتصف عرض الطريق ، على مسافة منى ، وهو يحملق فى العشاق بطريقة مخجلة ، ويلعق شفتيه بلسانه الأحمر الكبير ، وكأنه ثور ٠٠ ولقد أراد أن يحملنى ـ أنا الآخر ـ على أن أنظر الى العشاق ، وأن أتأمل كيف كان الرجال يدسون أيديهم تحت أثواب النساء ، وكيف كانت النساء تتعلق بالرجال ، ويتركنهم يتحسسون أجسامهن بأيديهم ٠ ولكننى أجبته : « يا لك من مأفون !٠٠ أراغب أنت فى ذلك المزمار ، أم تراك غير راغب ؟ » ٠٠ فلوى جذعه لينظر الى أحد المقاعد ، وهو يقول : « لست أبتغى الآن سوى فتاة ٠٠ أية

فتاة ترضينى !٠٠ هـــذه مثلا ! » ٠ فقلت له : « ما كان لك اذن ، أن تجلب معك مفتاحك الانجليزى ، وأن ترافقنى » ٠٠ وكان رده : « أجل ، أكاد أعتقد أن هذا ما كان ينبغي لى ! »٠٠ وما قال هذا الا لأنه كان متقلبا ، يغير رأيه بين دقيقة وأخرى !

وفيما كنا نطوف بالحدائق ، رأى من السـيقان الأنثوية العارية ، ومن القبلات والضمات ، ما كان كافيا لحمله على أن يشعر بأنه كان موشكا على أن يموت شوقا الى أن يبادل فتاة الهوى !٠٠ أما أنا ، فكنت على النقيض ٠ فأنا لست سـهل الاستثارة ، واذا رغبت فى شيء ، فلابد من هذا الشيء بالذات ، ولا شيء غيره ٠ ولقد كنت أتوق الى الحذاءين ، فعقدت العزم على أن أحصل عليهما فى ذلك المساء بالذات ، مهما يكن الثمن!

وظللنا نطوف بالحدائق والمتنزهات بعض الوقت ، متنقلين من طريق الى أخرى ، ومن مقعـــد الى آخر ، مارين بجميـع التماثيل الرخامية النصفية ، التى صفت فى خط طويل ، فى ظلال الأشجار ٠ ولم يقدر لنا قط أن نعثر على البقعة الملائمة لغايتنا ، لأننا كنا فى خوف ـ دائما ـ من أن يرانا الجالسون على المقاعد الأخرى القريبة ٠ وأخذ « لوروسو » يفقد اهتمامه مرة أخرى ، كعادته ، وان لم يعد يشغل بالحب ، وانما أصبح مشغولا بتلك التماثيل النصـفية الرخامية ، اذ لم يلبث أن سألنى ، على حين غرة : « لمن كل هذه التماثيل ؟٠٠ لكم أحب أن أعرف لمن أقيمت ؟ » ٠ فأجبته : « أرأيت مدى جهلك ؟٠٠ انها جميعا لعظماء من الرجال ٠٠ فان عظمتهم كانت سببا في أن نحتت لهم التماثيل ، وأن أقيمت هنا ! »

وسار الى أحد التماثيل فتأمله ، ثم قال : « ولكن هـــذا التمثال لامرأة » ٠ فأجبته : « جدير بك أن تتبين أنها الأخرى كانت عظيمة » ٠ ولم يبد عليه أنه اقتنع بهذا الجواب ، اذ أنه

لم يلبث أن تساءل فى النهاية : « اذن ، فهل تراهم يقيمون لى تمثالا ، لو أننى كنت عظيما ؟ »

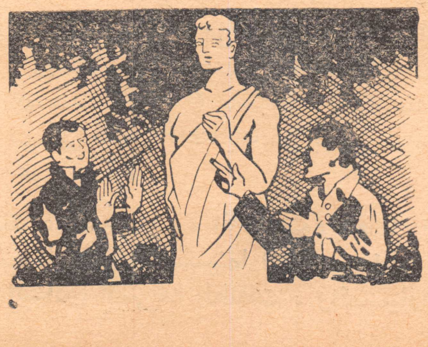
ـ طبعا ٠٠ ولكن ٠٠ ولكنك لن تصبح عظيما قط !

ـ وكيف لك أن تعرف ؟٠٠ هب أننى أصبحت مصدر الذعر لروما بأسرها ٠٠ لو اننى انقضضت على أناس كثيرين ، وتحدثت عنى الصحف ، ولم يتسن لهم العثور على أطلاقا٠٠ انهم خليقون ـ اذ ذاك ـ بأن يقيموا لى تمثالا !

وانفجرت مقهقهـا ـ بالرغم من أننى لم أكن راغبا فى الضحك ـ اذ أننى عرفت مبعث الفكرة التى أوحت له بأن يكون « مصدر الذعر لروما » ٠ فلقد ذهبنا معا ـ قبل ذلك بأيام قلائل ـ لمشاهدة شريط سينمى ، كان ـ فى الواقع ـ يدعى : « مصدر الذعر لشيكاجو » !٠٠ وما لبثت أن قلت له : « لا ، لن يقدر لك أن تغدو عظيما ، عن طريق الانقضاض على الناس.. ألا ما أشد جهلك !..ان العظماء هم الذين لا يعتدون على أى مخلوق »

ـ فماذا يفعلون ، اذن ، حتى يصبحوا عظماء ؟

ـ آه !٠٠ أحسبهم يؤلفون كتبا



وبدا عليه الضيق ، اذ سمع هذه الكلمات ، لأنه كان أميا تقريبا . بيد أنه قال فى آخر الأمر : « ومـــع ذلك ، فانني أتمنى أن يقام لى تمثال .. اننى لصادق كل الصدق فى رغبتى .. فان القوم سيظلون ـ بهذه الطريقة ـ يذكروننى » . وكان ردى : « انك معتوه بالتأكيد ، وانى لفى خجل من صحبتك .. على أنه لا جـــدوى من أن أحاول أن أوضح لك الأمور ، فلن يكون هذا سوى مضيعة للوقت ! »

وهكذا رحنا نتسكع فترة من الوقت ، ثم يممنا الى رحبـة (بينشيو) ذات السياج ، فاذا ثمة بضع سيارات ، وقد غادرها أصحابها ، وراحوا يملون أبصارهم بمنظر (روما) ، كمـــا يبدو للواقف فى هذا المكان المرتفع .. وسرنا ـ نحن الآخرين ـ الى السياج .. انك لترى (روما) بأسرها ـ من هنـاك ـ وقد بدت كفطيرة هائلة ، سوداء ، محروقة ، تتخللها أخاديد مضيئة ، يمثل كل أخدود منها شارعا .ولم يكن القمر مشرقا، ولكن السماء كانت وضاءة . وأشرت للوروسو نحو شبح قبة كنيسة (سان بيترو) ، وقد لاحت سوداء ، ووراءها رقعـة السماء المرصعة بالنجوم . فقال : « تصور !.. لو اننى كنت مبعث الذعر لروما ، لكان كل هؤلاء الناس ، الذين يعمرون كل هـــذه الدور ، يفكرون فى ، ويهتمـــون بأمرى ، طيلة الوقت ! » . وأشار بيده ـ عندما بلغ هذا الحد من كلامه ـ وكأنما كان يهـــدد (روما) بأسرها ، ثم استطرد قائلا : « ولخرجت فى كل ليلة ، فاعتديت على بعض الناس ، دون أن يعثر لى أحد على أثر ! »

فقلت معلقا على حديثه : « **انك معتوه حقا !.. وما ينبغى لك أن تذهب الى دور الســـينما البتة .. انهم فى أمريـكا يستخدمون البنادق السريعة الطلقات ، والســيارات .. وهم**

منظمون ٠٠ انهم ينظمون هذه الأمور كما ينظمون أى عمل جدى ٠٠ أما أنت ؟!٠٠ انك لست سوى راعى غنم نشأ على اللبن المختثر ، ولم يؤت من سلاح سوى قبضة فولاذية فى صدر سترته ! » ٠٠ وظل ـ لبضع لحظات ـ صامتا ، متأملا ٠ ثم قال أخيرا : « انه لتصور بديع ، لا انكار فى ذلك ٠٠ بديع جدا ، فى الواقع ٠٠ ولكننى أدرك تماما أن لا سبيل لنا الليلة الى عمل أى شىء ، بل كل ما علينا هو أن نعود فنندس فى الفراش ! »

فسألته : « **ما الذى تعنيه ؟** »

ـ أعنى أن عزيمتك قد فترت ، وأنك خائف !

لقد اعتاد دائما أن يسلك هذا المسلك ، فسرعان ما يشرد ذهنه ، ويشغل بأمور غير التى يجدر به أن يفكر فيها ، ثم يلقى اللوم على أنا ، فيتهمنى بأننى جبان !٠٠ ولكننى قلت له : « هيا أيها الأحمق ٠٠ سأريك ما اذا كنت خائفا أم غير خائف ! »

* * *

◆ **ومضينا** فى طريق شديد الاظلام ، تحف به الأشجار ، ويمتد ملاصقا لحاجز يطل من ارتفاع على طريق (مورو تورتو) ٠ وكانت ثمة مقاعد عريضة ٠ وكان ثمة عدد وافر من العشاق هنا أيضا ، ولكننى تبينت أن لا مجال هنا للعمل ، لسبب أو لآخر ، فأشرت الى « لورسو » كى يمضى قدما ٠ وعند نقطة فى الطريق ، لمحت اثنين من العشاق وقد لاذا ببقعة مظلمة ومنعزلة تماما ، فكدت أعقد العزم على العمل ، لولا أن مر ـ فى تلك اللحظة ـ فارسان من الشرطة ، فخشى العاشقان أن يفتضحا ، واختفيا عن الأنظار

ووصلنا ـ ونحن نسير بحذاء الحاجز ، طيلة الوقت ـ الى ذلك الجزء من البقعـــة المشرف على جسر (مورو تورتو) ٠٠ وهناك يقوم كوخ محوط بثلة كثيفة من أشجار الغار ، تعززها أسلاك شائكة ٠ على أنه كانت ثمة « بوابة » خشبية صغيرة ـ فى أحد الجوانب ـ مفتوحة دائما ٠ وكنت أعرف هذا الكوخ لكثرة ما نمت هناك فى ليال عديدة لم أكن أملك فيها من المال ما يكفى لدفع أجر مبيتى ، ولو على سرير صـــغير فى حجرة بواب ٠ وكان هذا الـكوخ أشبه ببيت للنباتات المرهفـة ، ذا ألواح زجاجية فى الجانب المطل على الجسر ٠٠ وقد كان يتخذ كمخزن لأدوات الفلاحة وأصص الزهور ٠ كما كان يحفظ فيه عدد من التماثيل الرخامية النصـــفية ـ التى هشم الصبية أنوفها أو رؤوسها ـ بغية اصلاحها ٠

واتجهنا الى الحاجز ، فجلس « لوروسو » فوقه ، وأشعل لفافة ٠ وظل جالسا ، محافظا على توازنه ، وهـــو يدخن فى مظهر متواقح ٠ وغشيتنى ـ فى تلك اللحظة ـ كراهية عارمة نحوه ، حتى لقد فكرت جديا فى أن أدفعه فألقى به من فوق الحاجز ٠٠ **ولو أننى فعلت لهوى من ارتفـاع مائة وخمسـين قدما تقريبا ، ولتهشم تهشم البيضة على أرض طريق (مورو تورتو) المرصـوفة ٠٠ وكان بوسعى اذ ذاك أن أهرع هابطا اليه ، فأستولى على ذينك الحذاءين البديعين اللذين كنت أغبطه عليهما !**

واغتظت لهذه الفكرة ، اذ فطنت الى أننى قد خدعت نفسى واستدرجتها الى كراهية « لوروسو » فى عنف زين لى أن أقتله ٠٠ وما كان لذلك من سبب حقيقى ـ فى الواقع ـ ســوى ذلكما الحذاءين اللعينين٠٠وكان سيان عندى أن أظفر بحذاءى « لوروسو » ، أو حذاءى سواه ، فالمهم ـ فى الأمر ـ هو أن

أحصل على حذاءين !٠٠ ومع ذلك ، فلعلى كنت موشكا أن أدفعه فعلا ـ اذ كنت قد سئمت التجوال، كما أنه كان قدبدأ يثقل على أعصابى الى درجة لم أعد أطيقها ـ لولا أن الحظ ساق فى تلك اللحظة ، وعلى حين غرة ، طيفين أسودين ، مرا جد قريبين منا ، حتى كادا يحتكان بنا ٠٠ كانا طيفين متلاصقين متخاصرين ٠٠ عاشقين !

ومرا أمامى تماما ٠٠ وكان الرجل أقصر من المرأة ، ولكننى لم أستطع أن أتبين وجهيهما ، نظرا للظلام ٠ واذ بلغا « البوابة » ، بدا على المرأة التردد والمقاومة ٠ وسمعت الرجل يغمغم : « لندخل هنا ! » ، وأجابته المرأة : « ولكن المكان مظلم » ، فقال : « وفيم يهمنا هذا ؟ » ٠ ومهما يكن من الأمر، فانها انصاعت فى النهاية ، ودفعا « البوابة » ، وولجا ، ثم غابا داخل الكوخ ٠ **واذ ذاك تحولت الى لوروسو قائلا : « هذا عين ما كنا نبغى ٠٠ لقد ولجا بيت النبات ليكونا فى عزلة هادئة ٠٠ وكل ما علينا الآن هو أن ندعى أننا من رجال البوليس السرى ، ونتظاهر بأننا نفاجئهما وهما ينتهكان حرمة القانون ، ثم نأخذ نقودهما ! »**

فطوح لوروسو بلفافته بعيدا ، وهو يقفز عن الحاجز ، وقال لى : « حسنا ٠٠ ولكنى أبغى الفتاة » ٠ وبهت ٠٠ وسألته : « ماذا تقول ؟ » ، فعاد يكرر : « أريد الفتاة ٠٠ ألا تفهم ؟٠٠ ان هذا ما أعتزمه ، على أية حال » ٠ واذ ذاك ،أدركت غرضه ، فقلت : « ولكن ، ما الذى ترمى اليه ؟٠٠ أتراك جننت ؟٠٠ ليس بوسع رجال البوليس السرى أن يفعلوا شيئا من هذا القبيل »٠فقال : « وفيم يعنينى هذا ؟٠٠ما شأنه بى؟»

كان يتكلم بصوت غريب مختنق ، ومع أننى لم أكن أتبين وجهه ، الا أننى أدركت من لهجته أنه كان جادا ٠ فأجبته فى

حزم : « اذن ، فلن نفعل شيئا فى هذه الحال ! »
- ولم لا ؟
- لأننى أقول : لا ٠٠ لن أسمح بأن تعامل النساء بهذه الطريقة !
- وهب أننى أريد أن أعاملهن كذلك ؟
- فى هذه الحال ، لن أحجم عن أن أضربك ٠٠ وأقسم على ذلك !

وكنا نقف ملاصقين للحاجز ، وقد أوشك أنفانا أن يتماسا ، ونحن نتشاد ٠ وقال أخيرا : « انك جبـــان ! » ٠ فأجبت فى جفاء : « وأنت مغفل ! » ٠ وما لبث أن قال فجأة فى غيظ منى لأننى كنت أحول بينه وبين ارضـاء رغبته فى الظفر بامرأة : « لا بأس اذن ٠٠ لن أمس الفتاة ، ولكنى - فى مقابل ذلك - سأقضى على الرجل »

- ولكن ، لماذا ٠٠ لماذا أيها الأحمق اللعين ؟
- لابد من ذلك ٠٠ اما الفتاة ، واما الرجل !

وتململت ، اذ كان الوقت يمر سراعا ، وما كان من المحتمل أن تتكرر فرصة كهذه ، ومن ثم قلت فى النهاية : « حسنا ٠٠ لك أن تقضى عليه ، اذا اقتضت الضرورة ٠٠ على أننى أحب أن تفهم أن ليس لك أن توجه اليه الضربة القاضية ، الا اذا أشرت لك بهذه الحركة ! » ٠٠ ومسحت بيـدى على جبينى ، أريه الاشارة التى أقصدها ٠ ويعلم الله السر فى هذا الشرط ٠٠ فلعلى قيدت « لوروسو » به لانه كان ذا غباء مطلق ٠٠ والمهم فى الأمر هو أنه قبله لفوره ، فسألته أن يكرر وعده بأنه لن يقدم على أية حركة ما لم تصدر الاشارة المتفق عليها منى ٠

* * *

◆ **ودفعنا** البوابة ، ودلفنا الى الداخل ، أحدنا خلف الآخر

٠٠ والى أحد جانبى المكان ، كانت الحافلة ـ التى يجرها حمار صغير ، وتحمل الأطفال بالنهار فى جولات خلال طرق الحدائق ـ تقف ملاصقة للحاجز ٠٠ وفى ركن بين الحاجز والبوابة ، كان ثمة عمود يحمل مصباحا راح يلقى ضوءه عبر المكان ، وخلال الألواح الزجاجية ، الى داخل الكوخ مباشرة ٠ وكان بوسعك أن ترى ـ داخل الكوخ ـ صفوفا وصفوفا من اصص الزهور ، وقد رتبت بعناية حسب أحجامها ٠ وظهر خلف الأصص عدد من تلك التماثيل الرخامية النصفية وقد استوت على الأرض ، وبدت ـ ببياضها وجمودها ـ ذات أشكال عجيبة ، فكأنها أناس انبثقت صدورهم وما فوقها ، من جوف الارض ٠

وانقضت لحظة لم أر فيها أثرا للعاشقين، ثم اكتشفتهما فى الركن الأقصى من الكوخ ، بعيدا عن النور ٠٠ كانا فى ركن مظلم ، ولكن الفتاة كانت تقف بحيث يقع عليها شعاع من ضوء المصباح القائم فى الخارج ، فاستطعت أن أتبينها بيدها البيضاء التى تركتها تتحسس ثوبها فى خمول ، وهى تغيب مع الرجل فى قبلة

ودفعت الباب ففتحته ، وأنا أقول : « من هناك ؟ ٠٠ ماذا تفعلان هنا ؟ »

وتقدم الرجل لفوره ، بطريقة تنم عن عزم ، بينما مكثت المرأة فى الركن ولعلها كانت ترجو أن لا نراها

وكان الرجل شابا ، قصيرا ، ذا رأس كبير ، ولا يكاد يكون له عنق ٠٠ وكان وجهه منتفخا ، وعيناه جاحظتين ، وشفتاه بارزتين ٠٠ ولمحت لفورى أنه كان مليئا بالاعتداد ، وان لم يكن جذابا البتة ٠ وبحركة تلقائية ، خفضت بصرى الى قدميه فتأملت حذاءيه ، وتبينت أنهما جديدان ، من عين النوع

الذى أحبه .. النوع الامريكى ، ذى النعل المطاط « الكريب » ، وقد صيغا على نمط « الموكاسان » ٠ ولم يبد على الرجل أنه خائف اطلاقا ، فأثار هذا انفعالى ، حتى أن عضـلات وجهى راحت تختلج أكثر مما اختلجت فى أية مناسبة أخرى ، من قبل ٠ وهتف متسائلا : « وأنتما ؟٠٠ من تكونان ؟ »

وأجبت : « بوليس !٠٠ ألا تعرفان أن تبادل القبلات فى الأماكن العامة محرم ؟٠٠ انكما تخرقان القـانون ٠٠ وأنت يا آنسة ، أرجو أن تقتربى ٠ لا جدوى من محاولتك الاختباء !»

وانصاعت ، فاقتربت ووقفت الى جوار صـاحبها ٠ كانت ـ كما ذكرت ـ أطول منه قليلا ، نحيلة ، ذات قوام متماسك ملتف ، فى ثوب أسود ، على شكل ناقوس ، ينسدل الى منتصف المسافة بين ركبتيها وكعبيها ٠ وكانت جميلة ، يشبه وجهها وجه « المادونا » ـ فى لوحة العذراء ـ وقد أوتيت شعرا فاحما طويلا ، وعينين سـوداوين واسعتين ٠٠ وكانت تبـدو من الفتيات الجـادات ، المحتشمات ، فلا أثر لمواد الزينـة على وجهها ٠٠ بل كانت من الحشمة بحيث اننى كنت خليقا بأن أعتقد أنها عاجزة عن التقبيل ، لو لم أكن قد رأيتها تتبـادل القبلات مع صاحبها

ولكى أزيد من التظاهر بأننى من رجـال البوليس ، قلت لها : « ألا تعرفين يا آنسة أن التقبيل فى الأماكن العـامة ممنوع ؟٠٠ ثم انه ـ بالنسبة لفتاة محترمة مثلك ـ عمـل مشين ٠٠ أن تقبلى رجلا فى الظلام ، فى حدائق عامة ، كأية مومس ٠٠ »

وهمت بأن تجيب ، ولكنه استوقفهـا بحركة منه ، ثم استدار نحوى ، وقال : « اذن ، فأنا أنتهك القانون ٠٠ أليس

كذلك ؟ .. أطلعانى على أوراقكما ! »

ـ أية أوراق ؟

ـ الأوراق التى تثبت شخصيتيكما لأعرف أنكما من رجال البوليس حقا

وأومض فى ذهنى خاطر أوحى الى بأنه نفسه كان ـ ولابد ـ من رجال البوليس .. وما كان هذا ليدهشنى ، نظرا لما عهدته من سوء الحظ عادة . ولكننى أجبته بخشونة : « لاتكثر من اللجاج .. انك تنتهك القانون ، ولابد لك من أن تدفع الثمن ! »

فقال بحدة ، وكأنه محام : « أدفع الثمن .. حقا ! » . وكان بوسعك أن ترى بجلاء أنه لم يكن خائفا . وأردف يقول: **« رجلا بوليس ، حقا !.. رجلا بوليس بمثل هذين الوجهين ! .. وهو بتلك السترة الواقية من الريح ، وأنت بحذاءيك هذين !.. أغبى أنا بالشكل الذى تظنانه حقا ؟ »**

وتملكنى نوع من الغضب الأهوج ، اذ ذكرنى بحذاءى .. اللذين كانا ـ فى الواقع ـ باليين ، ممزقين ، لا يمكن أن يمتا ـ فى حالهما هذه ـ الى رجل بوليس .. وأخرجت المسدس من جيب معطفى الواقى من المطر ، ودفعته حتى ألصقته ببطن الرجل بشدة ، وأنا أقول : « ليكن ، اذن .. لسنا من رجال البوليس .. ومع ذلك فعليك أن تسلمنا نقودك ، ولا تثر أية ضجة ! »

وكان « لوروسو » ـ حتى هذه اللحظة ـ قد وقف بجانبى دون أن ينبس ببنت شفة ، وراح يحملق ـ وهو فاغر الفم ـ كالغبى الذى عهدته .. ولكنه أفاق عندما رآنى أتخلى عن التمثيل ، ولوح بالمفتاح الانجليزى فى وجه الرجل ، وهو يقول : « هل فهمت ؟.. أسلمنا نقودك ، اللهم الا اذا كنت

تريدنى على أن أهشم رأسك بهـذا » • وغاظنى تدخله أكثر مما غاظنى ما أبداه الرجل من التحدى • أما الفتاة ، فقـد أطلقت صرخة خافتة ، حين رأت الأداة الحـديدية الثقيلة • **ولكننى قلت لها بأدب ، اذ كنت أعرف كيف أكون مؤدبا اذا شئت : « لا تكترثى له يا آنسة •• انه أحمق •• لا تجزعى ، فلن يمسك أحد بسوء •• عودى الى ذلك الركن ، ودعينـا نبحث الأمر فيما بيننا » •• وتحـولت الى لوروسو قائلا : « وأنت ، أقص هـذا المفتـاح بعيـدا ! » • ثم قلت للرجل : « هيا ، أسرع ! »**

ومن الانصاف أن أقر بأن الرجل كان شجاعا ، وان لم يكن جذابا •• فهو لم يبد أى خوف ، حتى فى هذه اللحظة التى صوبت فيها مسدسى وألصقته ببطنه • كل ما هنالك أنه دس يده فى الجيب الداخلى لسترته ، وأخرج حافظة نقوده ،وقال: « هاك حافظتى ! » ، فضغطتها وأنا أدسها فى جيبى ،واستطعت أن أعرف من ملمسها أنها لم تكن تضم نقودا كثيرة • فعدت أقول : « والآن ، اعطنى ساعتك ! » • فنزع الساعة عن معصمه وأسلمنيها قائلا : « ها هى ذى ساعتى » • وكانت سـاعة زهيدة القيمة ، ذات غلاف من الفولاذ • ومن جديد قلت له : « والآن ، اعطنى قلمك ! » •• وكان قلمـا جيدا • قلمـا أمريكيا ، انسيابيا ، يغيب سنه فى عوده ••

والى هنا، لم يعد ثمة شىء أستطيع أن أسأله أن يعطينيه.. أقصد ، لا شىء اللهم الا ذانك الحذاءان البديعان اللذان بهرنى منظرهما منذ اللحظة الاولى.. وقال الرجل ساخرا :« أهناك شىء آخر تريده ؟ » • فأجبته بدون تردد : « أجل •• اخلـع حذاءيك ! » •• وعارض فى هذه المرة ، فهتف : « حذاءاى ؟! •• لا ! »

وهنا ، لم أستطع أن أمضى فى المقاومة ٠٠ والواقع أننى كنت أشعر بميل شديد الى أن أصفع ذلك الوجه المنبسط ، الخالى من الجاذبية ٠٠ وهفت نفسى الى أن أرى تأثير ذلك عليه ٠٠ وعلى نفسى أنا الآخر !

لذلك قلت له : « اخلع حذاءيك ٠٠ هيا ، ولا تستغفلنى ! » ٠ وصفعته بيدى الطليقة ، فى مباغتة خبيثة ٠ واشتد احمرار وجهه ثم استحال الى بياض ٠ وخيل الى أنه يوشك أن ينقض على فى اللحظة التالية ، بيد أن الفتاة صاحت فيه من ركنها ، لحسن الحظ : « أجل ياجينو ، اعطهما كل ما يبغيان ! » ٠ فعض شفته حتى أدماها ، وهو يحملق فى ، ثم قال : « حسنا ٠٠ ليكن ذلك ! » ٠ ونكس رأسه وهو يتكلم ٠ ثم انحنى وشرع يفك رباطى حذاءيه ٠ وخلعهما حذاء اثر حذاء ، وقبل أن يسلمنى اياهما ، ظل يتأملهما لحظة فى حسرة ، مما نم عن أنه كان متعلقا بهما !٠٠ والواقع أنه كان شديد القصر ، بدون الحذاءين ٠٠ بل انه كان أقصر من لوروسو ، ومن ثم فقد أدركت السر فى أنه ابتاع لنفسه حذاءين لهما هذان النعلان السميكان !

* * *

◆ **وعند** هذا الحد ، وقع الخطأ ٠٠ فلقد سألنى الرجل وهو يقف فى مكانه ، حافيا الا من جوربيه : « ما الذى تبتغيه فى هذا الدور ؟٠٠ أتريد قميصى أيضا ؟٠٠ » ٠ وأوشكت — وأنا أمسك بالحذاءين فى يدى — أن أجيبه بأن فيما أخذت الكفاية ، واذا بشىء يمس جبهتى مسا خفيفا ٠٠ ولم يكن ذلك الشىء سوى عنكبوت هبط من سقف بيت النبات الى نهاية الخيط الذى كان ينسجه ٠٠ وانتبهت اليه لتوى ، فرفعت

يدى الى جبهتى ، أذبه عنها ٠٠ **واذا بلوروسو ـ بما عهد عنه من غباء حيوانى ـ يظن أننى أصدر اليه الاشارة ، فرفع المفتاح الانجليزى وانهال على مؤخر رأس الرجل بضربة عنيفة !**



وسمعت للضربة صوتا مكتوما ، شديدا ، وكأنما دق لوروسو حجرا ٠٠ وانكفأ الرجل لفوره ، محاولا أن يحتضننى فى سقوطه كالسكران ٠ ثم انزلق على الأرض ، فانطرح على ظهره ووجهه الى أعلى ، وقد فتح عينيه على وسعيهما ، وكاد انسانا هما أن لا يبينا ٠٠ وأطلقت الفتاة صرخة حادة ، واندفعت من ركنها ، فانحنت عليه ، وراحت تناديه باسمه وهو مسجى على الأرض لا حراك به ٠ ولست بحاجة ـ لكى أبين مدى غباء لوروسو ـ الى أن أذكر أكثر من أنه عاد ابان الارتباك ، فرفع المفتاح الانجليزى فوق رأس الفتاة الجاثية ، وهو ينظر نحوى فى تساؤل ، ليعرف ما اذا كان له أن يغدر بها كما غدر بصديقها ٠٠ فصرخت فيه : « أمجنون أنت ؟ ٠٠ هيا ، لننصرف ! »

وبادرنا الى الفرار ٠٠

وما أن غدونا فى الطريق ثانية ، حتى قلت للوروسو : « والآن ، سر وئيدا ، وكأننا جئنا لنتمشى ٠٠ لقد ارتكبت

الكفاية من الحماقات ليومك ! » . فخفف من سرعة خطواته ، بينما دسست كل حذاء فى جيب من جيبى معطفى الواقى من المطر ، أثناء سيرى .

وقلت للوروسو ونحن ماضيان : « ما أرانى بحاجة الى أن أذكر لك مدى غبائك .. أى شيطان جعلك تقرر أن تضرب الرجل بهذا الشكل ؟ » .. فتطلع الى ، وقال : « **أنت الذى أصدرت الاشارة لى** »

ـ أية أشارة تزعم ؟.. انما كنت أذب عنكبوتا مس جبهتى

ـ وكيف كان لى أن أعرف هذا ؟.. لقد أصدرت لى الاشارة

وبلغ بى الغيظ منه ـ فى تلك اللحظة ـ مبلغه ، حتى اننى كنت على استعداد لأن أخنقه . فقلت مهتاجا : « انك غبى ، مطلق الغباء .. من المحتمل أنك قتلته ! » . وهنا بدأ يعارض ، وكأننى أهنته . فقال : « كلا .. انما ضربته بظهر المفتاح الانجليزى ، حيث لا نتوء ولا بروز .. ولو أننى أردت أن أقتله ، لضربته بمقدم المفتاح ، لأنه مدبب ! »

ولم أقل شيئا ، ولكننى كنت أتميز غيظا ، وراح وجهى يختلج فى عنف ، حتى اننى اضطررت الى وضع يدى على خدى لأرد اليه سكونه . بينما كان هو ماضيا فى الحديث : « أرأيت كم كانت الفتاة جميلة ؟.. لقد أوشكت أن أقول لها : « تعالى يا جميلتى ، هيا يا عزيزتى ! » .. وكان من المحتمل أن تسر وترضى .. كان خطأ منى أننى لم أحاول .. » . **ومضى يحجل فى مشيته وهو راض عن نفسه ، وراح يحدثنى عما كان يود أن يفعله بالفتاة ، وكيف كان يفعله ، حتى صحت فيه أخيرا : « اننى آمرك بأن تغلق هذا الفم الحيوانى الذى أوتيته ، وأن تسكت .. والا فلن أضمن أن .. »**

وأمسك عن الكلام ، فسرنا معا الى طريق (فلامينيو) الممتد

بحذاء النهر ، واجتزنا الجسر ، ودلفنا الى ميدان الحرية ·· وهناك ، كانت ثمة مقاعد تحت الأشجار الوارفة ، ولم يكن ثمة من انسان على مقربة ·· وكان الضباب يزحف من نهر (التيبر) · فقلت : « لنجلس هنا لحظة ، ولنتبين ما غنمنا·· ثم اننى أود أن أجرب الحذاءين ! »

وجلسنا على مقعد ، ثم بدأت بحافظة النقود ففتحتها ، ووجدت أنها لم تكن تضم سوى ألفى ليرة ، اقتسمناها بالتساوى · ثم قلت للوروسو : « انك لا تستحق شيئا ، فى الواقع ·· على اننى رجل عادل ، ومن ثم فسأعطيك الحافظة والساعة ·· وسأحتفظ بالحذاءين والقلم ·· فهل هذا عدل ؟» واعترض لفوره قائلا : « انه ليس عدلا بالتأكيد ··انه لتصرف عجيب ، فى الواقع ·· ان نصيبى هو النصف » · فأجبته مغضبا : « ولكنك ارتكبت خطأ أرعن ، ومن الانصاف أن تدفع ثمنه »

وقصارى القول اننا تجادلنا فترة من الوقت ، ثم اتفقنا فى النهاية على أن أحتفظ بالحذاءين ، وأن يأخذ هو الحافظة ، والقلم ، والساعة · بيد أننى لم ألبث أن قلت له : « وما الذى ستفعله بالقلم ؟·· انك لا تكاد تعرف كيف تكتب اسمك ! »· فأجاب : « اذا شئت أن تعرف حقا ، فأنا أقرأ وأكتب ، اذ أننى كنت فى المدرسة الأولية ·· فضلا عن أن بوسعى – فى أى وقت – أن أبيع قلما كهذا ، فى ميدان كولونا »

وسلمت له ، لأننى كنت جد مشوق الى اللحظة التى أستطيع فيها أن أطوح بحذاءى القديمين ، كما اننى كنت – الى جانب ذلك – قد سئمت الشقاق · فضلا عن أن انفعالى العصبى أحدث مغصا فى معدتى · ومن ثم فقد خلعت الحذاءين القديمين ، وحاولت أن أدس قدمى فى الجديدين ، ولكنى

تبينت ـ لفرط استيائى ـ أن الحذاءين كانا يصغران قدمى كثيرا .. وكما هو معروف ، لكل داء علاج يستطب به ، الا الحذاءين الصغيرين عن القدمين !.. لذلك قلت للوروسو :

« اسمع !.. ان هذين الحذاءين جد صغيرين بالنسبة لى ، ولكنهما ملائمان تمام الملاءمة لقدميك ، فلنتبادل !.. اعطنى حذاءيك ، فهما كبيران جدا عن قدميك ، وسوف أعطيك هذين ، وهما أفضل من حذاءيك وأكثر جدة ! »

وفى هذه المرة ، ارسل صفيرا طويلا ، كأنه يبدى أستخفافه وازدراءه ، وأجاب : « يالك من مغفل كبير .. اننى قد أكون غبيا ، ولكنى لست من الغباء بالدرجة التى تحسبها ! »

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أن وقت الايواء للفراش قد حان

ونظر فى زهو الى ساعة الشاب ، ثم أردف : « ان ساعتى تشير الى الحادية عشرة والنصف .. فكم ساعتك ؟ » . ولم أقل شيئا ، بل اعدت حذاءى الى جيبى معطفى الواقى من المطر . واستقللنا الترام ، وانا متململ ـ طيلة الوقت ـ لما رأيته فى نصيبى من حيف ، أفكر فى مدى غباء لوروسو ، وأعجب مما ينبغى أن أفعله لكى أحمله على أن يعطينى حذاءيه فى مقابل حذاءى .

* * *

• **واذ** غادرنا الترام ، فى الحى الذى نقيم فيه ، عدت الى فتح باب المناقشة ، فلما رأيت ان المنطق لايؤدى الى غاية ، ذهبت الى حد الاستعطاف ، قائلا : « ان الحصول على حذاءين مسألة حياة او موت بالنسبة لى يا لوروسو .. لن أستطيع أن أمضى فى الحياة بدون حذاءين .. اذا لم تكن راغبا فى أن تفعل ذلك لارضائى ، فافعله لوجه الله ، على الاقل ! »

وكنا فى شارع مقفر ، فى اتجاه (سان جيوفانى) . فوقف لوروسو تحت احد مصابيح الطريق ، وشرع يلوى قدمه فى هذه الناحية وفى تلك ، بطريقة مثيرة ، كى يغيظنى .. وراح يقول : « يالهما من حذاءين بديعين ـ حذاءى ـ اليسا كذلك؟ .. انهما يثيران حسدك ، أليسا كذلك ؟ .. ولكن ، لن يجديك ان تفقد هدوء أعصابك من اجلهما ، فلن انزل لك عنهما ! » . وشرع يهمهم فى لهجة منغومة : « لا ، لا ، لا .. لم تنلهما من قبل ، ولن تنالهما الآن » . وراح يبتسم فى وجهى ساخرا .

وعضضت شفتى ، وأقسمت اننى ماكنت لاحجم عن قتله ـ لو كان فى مسدسى رصاصات ـ لا من أجل الحذاءين بعد ، وانما لاننى لم أعد أحتمله كذلك .. وبلغنا ـ على هذه الحال ـ القبو الذى كنا ننام فيه ، فطرقنا النافذة ، فخف « البواب » ليفتح لنا الباب ، وهو يزمجر كعادته ..

وهبطنا الى الحجرة التى كنا ننام فيها . وكان فيها خمسة أسرة ـ من أسرة المعسكرات ـ مصطفة فى صف واحد . فكان « البواب » وابناه ـ اللذان كانا فى عمرنا ـ ينامون فى الثلاثة الاولى ، بينما كنت ولوروسو ننام فى السريرين القصيين .

وتقاضانا البواب أجر المبيت مقدما ، ثم أطفأ النور ، واندس فى فراشه ، بينما رحنا نتحسس طريقنا فى الظلام الى سريرينا ، فاستلقينا عليهما . على اننى لم أكد أستقر تحت الغطاء الرفيع ، حتى شرعت أفكر فى الحذاءين من جديد ، وانتهيت الى قرار . كان لوروسو ينام وهو فى ثيابه ، ولكننى كنت أعرف انه خلع حذاءيه ووضعهما على الارض ، بين السريرين .

فكان بوسعى أن أنهض فى الظلام ، فألبس حذاءيه ، وأترك له حذاءى ، ثم أغادر المكان متظاهرا بأننى ذاهب الى دورة المياه ، التى كانت خارج الغرفة ، عند مدخل القبو .

وخطر لى أن هذه ـ على أية حال ـ خطة محكمة ، يحسن

بى أن أتبعها ، اذ كان ثمة احتمال أن يكون لوروسو قد قتل الرجل — فى بيت النبات — فعلا ، ومن ثم فقد كان من الخير أن لا أبقى فى صحبته . ولم يكن لوروسو يعرف لقبى ، وانما كان يعرف أسمى الاول فحسب ، ولذلك فلن يستطيع أن يرشد الى ، اذا ماقبض عليه .

وما أن حزمت أمرى ، حتى بادرت الى التنفيذ . فرفعت نفسى عن السرير ، ووضعت قدمى على الارض ، وانحنيت فى تؤدة وحرص ، ثم دسست قدمى فى حذاءى لوروسو . وفيما كنت أحكم الرباط ، اذا بى أشعر بأن ضربة عنيفة قد وجهت الى . وتحركت فى اللحظة ذاتها — لحسن الحظ — فاذا باللكمة تمس أذنى ، وتهوى على كتفى . **وكان لوروسو هو الذى انقض على ، فى الظلام ، بمفتاحه الانجليزى اللعين . وجعلنى الالم أفقد صوابى ، فقفزت ، وانقضضت عليه ، على غير هدى .**

وأمسك بخناقى ، محاولا ان يضربنى بالمفتاح الانجليزى ، مرة ثانية .. وتدحرجنا على الارض معا . وأيقظت الجلبة التى احدثناها البواب وابنيه ، فأضاءوا الحجرة . وكنت أصرخ : « القاتل ! » .. وكان لوروسو يصرخ : « اللص ! » .. وشرع الآخرون يصرخون ، وهم يحاولون أن يفرقوا بيننا . ثم حاول لوروسو أن يصيب بمفتاحه البواب ، فاذا البواب — الذى كان سريع الهياج ، يكفى أتفه أمر لاثارته — يمسك مقعدا ، ويحاول أن يهوى به على رأس لوروسو .. واتخذ هذا لنفسه موقفا فى الطرف القصى من الحجرة ، محتميا بالحائط ، وراح يصرخ وهو يلوح بالمفتاح الانجليزى : « تعالوا اذا كنتم تجسرون ! .. سأقضى عليكم .. عليكم جميعا .. أنا مصدر فزع روما ! »

كان كالمجنون ، وقد أحمر وجهه ، وجحظت عيناه .. وكان الغيظ والقهر قد سلبانى عقلى — أنا الآخر — فى تلك

اللحظة ، حتى انني صحت في غير حكمة : « احذروه ، فلقد قتل رجلا منذ دقائق معدودات ! .. انه قاتل ! »

واقتضب القصة فأذكر أن أحد ابني البواب تسلل الى الخارج ـ بينما كنا نحاول ان نمسك لوروسو ونشل حراكه، وهو سادر في صراخه ونضاله كالمجنون ـ فاستدعى الشرطة .. ومن كلمة مني وكلمة من لوروسو ، استطاعوا أن يعرفوا ما حدث في بيت النبات ، فألقوا القبض علينا .

* * *

• **وساقونا** الى قسم البوليس، وكان كل ما عليهم هو أن يتصلوا تليفونيا ليتحروا الامر ، ثم اتهمونا للفور بأننا الرجلان اللذان قاما بحادث العدوان في حدائق بورجيزى . وقلت أن لوروسو هو المعتدى ، فلم ينبس ـ من ناحيته ـ بكلمة ، في هذه المرة .. ولعل ذلك كان راجعا الى انه فقد حواسه ، لفرط الضرب !

وقال رئيس الشرطة : « يالكما من رائعين !.. حقا ، انكما لرائعان ! .. سرقة بالاكراه ، ومحاولة اغتيال ! »

ولكن .. لكي أريكم مدى عدم ادراك لوروسو للمسئولية، يكفي أن أقول انه مالبث ـ بعد لحظات ـ أن أفاق ، فتحامل على نفسه ، وتساءل : « أي يوم من أيام الاسبوع غدا ؟ » . فلما قيل له انه يوم الجمعة ، قال وهو يفرك يديه : « آه ، هذا بديع .. سيكون الغداء حساء « اللوبيا » في سجن ريجينا كويلي ! »

هكذا عرفت انه كان قد قضى في السجن فترة ، مع انه كان قد اعتاد أن يقسم لي انه لم يغش السجن اطلاقا .

وفيما كنت أنظر الى قدمي ـ بعد ذلك ـ رأيت انني كنت لا أزال ألبس حذاءي لوروسو ، فخطر لي انني ـ رغم كل شيء ـ قد ظفرت ، في النهاية ، بما كنت أبغي !

لن أقول: لا ؟



I DON'T SAY NO

• **لكى** أساعدك على أن تفهم شخصية « أديل » ، أحب أن اروى لك ـ فى صراحة ـ ما حدث فى ليلة زفافنا

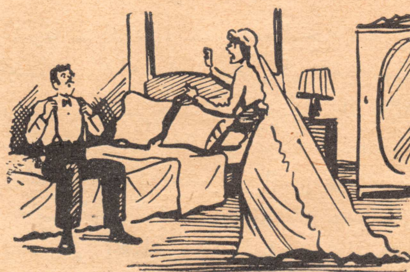
كانت « سماء النهار حمراء .. » ، كما يقولون !
لا بأس ، فبعد العشاء فى مطعم فى (تراستيفيرى) ، وبعد شرب الانخاب ، وبعد القصائد، والدعوات والتمنيات الطيبة، وبعد العناقات والدموع التى ذرفتها حماتى ، انطلقنا الى دارى ، التى كانت تعلو المتجر الذى أبيع فيه الحديد ، فى طريق (ديللا انيما) .

كنا قد غدونا زوجين ، وكان كل منا يعانى شيئا من الخجل . فلما ضمتنا حجرة النوم ، بدأت بخلع سترتى . وفيما كنت أعلقها على ظهر مقعد ، قلت على سبيل المحاولة لتبديد الجو المتوتر الذى لفنا : **« انهم يقولون أن هذا بشير السعد والفأل الحسن .. هل لاحظت ؟ .. لقد كنا ثلاثة عشر شخصا حول المائدة .. »**

وكانت « أديل » قد خلعت الحذاءين الجديدين اللذين آذيا قدميها، ووقفت امام مرآة خزانة الثياب ، تتأمل نفسها . فقالت لفورها ، فى لهجة تنم عن سرور ، وكأنما الذى قلته قد بدد استحياءها : « لا يا جينو ، فى الواقع .. لقد كنا اثنى عشر . عشرة ضيوف ، ونحن الاثنان، فيكون المجموع اثنى عشر » . ولكننى ـ للمصادفة ـ كنت قد أحصيت عدد الحضور فى المطعم ، لا سيما وقد أردت أن ألزم الدقة فى طلب الطعام والشراب . وتبينت ـ عندما عددتهم ـ أننا كنا ثلاثة عشر شخصا فعلا ، ومن ثم فقد قلت للودوفيكو ، أحد شاهدى الزواج : « هناك ثلاثة عشر شخصا .. آمل أن لا يجلب هذا النحس ! » . فأجابنى : « أبدا .. بل انه على

النقيض ـ مجلبة للسعد ! » .

وجلست على حافة السرير ، وبدأت فى خلع «البنطلون»، وأنا أجيب ـ فى الوقت ذاته ـ بهدوء : « انك مخطئة . . كان عددنا ثلاثة عشر . . فلقد لاحظت ذلك بوجه خاص ،وذكرته للودوفيكو كذلك » . ولم تجب « أديل » فى تلك اللحظة ، اذ كان رأسها ونصف جسمها محشورين فى الثوب الذى كانت



منهمكة فى خلعه . على أنها فى اللحظة التى تخلصت منه فيها ، قالت بحدة،دون أن تتيح لنفسها لحظة تتمالك فيها أنفاسها :

« لقد أخطأت فى العد . . كنا ثلاثة عشر فى الشارع ، ولكن « ميو » لم يلبث أن انصرف ، ولم يبق سوى اثنى عشر » .

وكنت اذ ذاك قد اصبحت فى ثيابى الداخلية . وفجأة ،تملكنى الغضب ، دون أن أدرك لذلك سببا . فقلت : « وما الذى يقحم « ميو » فى هذا ؟ . . أؤكد لك اننى عددت الجمع فى المطعم » . فقالت وهى تسعى الى خزانة الثياب فتودعها ثوبها : « حسنا . . اذن فمعنى هذا أنك ـ عندما عددتهم ـ كنت قد أسرفت قليلا فى الشراب . . هذا غاية ما فى الامر!»

ـ ماذا تعنين ؟ . . أسرفت قليلا فى الشراب ؟ ! . . أعتقد أننى لم أتناول أكثر من كأسين . . .

ـ مهما يكن الامر ، فقد كنا اثنى عشر .. وأنت لا تتذكر، لانك ثملت الآن ، فبدأت ذاكرتك تخدعك !

ـ من الذى ثمل ؟ .. ماذا تعنين ؟ .. لقد كنا ثلاثة عشر

ـ بل أؤكد لك أننا كنا اثنى عشر

ـ ثلاثة عشر ..

ـ اثنى عشر ..

وكنا قد غدونا ـ اذ ذاك ـ وجها لوجه ، فى وسط الحجرة .. وأنا فى ثيابى الداخلية ، وهى فى قميصها الداخلى . وأمسكت بذراعيها ، وصرخت فى وجهها : **« ثلاثة عشر ! »** . ولكننى لم ألبث أن أبدلت تفكيرى فجأة ، فغمغمت وأنا أحاول أن أعانقها : « ليكونوا ثلاثة عشر أو اثنى عشر .. فما قيمة هذا ؟ ... هات قبلة ! » . ولكنها ارتمت على الفراش . ومع أنها لم تأب على القبلة ، فانها همست لشفتى ، فى اللحظة التى كانتا تلتصقان فيها بشفتيها : **« أجل .. ولكنا كنا اثنى عشر شخصا ! »**

وقفزت مرتدا عنها الى وسط الحجرة ، وصحت : « هذه بداية سيئة . انك زوجتى ، ومن واجبك أن تطيعينى ... اذا قلت لك أننا كنا ثلاثة عشر ، فمعنى هذا أننا كنا ثلاثة عشر ، وليس لك أن تعارضينى ! »

واذ ذاك ، نهضت هى عن الفراش ، وصرخت بشدة : « اننى زوجتك ، أو بالاحرى ، سأكون زوجتك .. ولكنا كنا اثنى عشر ! »

ـ اذن ، فاليك هذا ، ليؤكد لك أننا كنا ثلاثة عشر !

وهكذا تلقت الصفعة الاولى ، وكانت صفعة قوية مدوية . وبدت « اديل » لحظة كما لو كانت قد سمرت فى مكانها

فاقدة الحس،ثم أسرعت تجرى الى حجرة الجلوس،ففتحت بابها ، وصرخت وهى تقف عند عتبتها : « لقد كنا اثنى عشر .. ودعنى وحدى .. فانك تثير اشمئزازى ! »

ثم اختفت فى الحجرة الاخرى ...

* * *

• **وتمالكت** نفسى بعد أن استغرقتنى الدهشة لحظة ، فسرت الى الباب ، ورحت أطرقه ، وأنادى ، وأرجو ، ولكن .. ما من صوت تناهى الى أذنى ! .. وكانت نهاية الامر ، أننى قضيت ليلة زفافى وحيدا ، أغفو على حافة الفراش ، وأنا فى ملابسى الداخلية..أما هى ، فأعتقد أنها كانت مثلى ، على الاريكة ، فى حجرة الجلوس .

وفى اليوم التالى ، ذهبنا ـ باتفاق مشترك ـ لزيارة أمها، وسألناها عما كان عليه عددنا حول المائدة . **واتضح أننا كنا أربعة عشر شخصا فى الواقع ، نظرا لوجود صبيين كانا من الصغر وضآلة الحجم ، بحيث أنهما انزلقا عن مقعديهما ، وراحا يلعبان تحت المائدة . فلما قمت باحصاء الحضور ، كان أحد الصبيين يجلس تحت المائدة .. وفى الوقت الذى أحصتهم فيه ((اديل)) ، كان الصبى الآخر قد اختفى معه !**

وهكذا كان كل منا على صواب . ولكن «أديل» ـ كزوجة ـ كانتعلى خطأ !

ولقد أعقبت هذه المرة الاولى ، مناسبات لا حصر لها ، ، أبدت فيها « اديل » هذا الجانب الشديد العناد من شخصيتها . كان لها ولع جنونى باللجاج فىالتوافه فاذا قلت ان هذا أبيض ، قالت انه أسود ، ولا ترجع قط عن اصرارها،

ولا تقر البتةبأنها مخطئة. ولو أننيأردت سرد هذهالمناسبات لما انتهيت من هذا الحديث . مثال ذلك المرة التى ظلت فيها نهارا بأكمله ، وهى تصر على أنها لم تتسلم النقود المخصصة لنفقات البيت،حتى اذا مضت فى الجدال أربعا وعشرين ساعة كاملة ، اذا بالنقود على حافة النافذة الصغيرة فى دورة المياه، تنعم بالنسيم العليل ، كوردة فى كوب ماء ! .. ولقد استمر النقاش بطبيعة الحال ، لانها أصرت على أننى الذى وضع النقود على حافة النافذة ، فى حين أننى برهنت لها ، بعرض وقائع صادقة ، أن هذا كان أمرا مستحيلا ، وأنها هى التى كانت قد ذهبت ـ فى الواقع ـ الى تلك البقعة المتوارية ، بعد أن تلقت منى النقود ، وليس قبل ذلك ! .. **أو تلك المرة التى أصرت فيها ـ بعنادها المعهود ـ على أن «اليساندرو» ، ساقى المقهى المواجه للبيت ، كان أبا لاربعة أطفال ، فى حين أننى كنت أعرف ـ تمام المعرفة ـ أنه لم يرزق سوى ثلاثة أطفال فقط . وهكذا استمررنا فى لجاج أسبوعا كاملا ، اذ كان الساقى متغيبا . ثم عاد ، واذ ذاك تبينا أنه لم يكن قد رزق بغير ثلاثة أطفال،عندما بدأ الجدال،ثم أصبح أبا لاربعة ، لانه رزق بطفل جديد ، فى تلك الاثناء !**

وكان كل هذا عبثا فى الواقع . وكما يحدث عادة فى مثل هذه الامور ، كنت أنا المصيب أحيانا ، وكانت هى على صواب فى أحيان أخرى . ولكن الشىء الذى كنت أحاول عبثا أن أفهمها اياه ، هو انه ليس من المهم ان يكون المرء على صواب، وانما المهم هو أن عيبها الذى يزين لها أن تجادل فى كل تافه من الامور ، لن يلبث أن ينتهى الى افساد كل شىء .

وكانت تجيب قائلة : « انك لاتريد زوجة ، وانما تريد جارية ! » .

وهكذا بليت علاقاتنا وتوترت خلال هذا الجدال المستمر. فما أن كنت أذكر شيئا ، ولو كان أبعد الاشياء عن الشك والجدال ــ كأن أقول : « ان اليوم مشرق الشمس ! » مثلا ــ حتى أشعر بالغضب يستولى على فعلا ، لمجرد التفكير فى أنها قد تعارضنى .. وكنت أتطلع اليها ، فلا تلبث فعلا ــ وبكل يقين ــ أن تقول ، بدون تردد : « أوه ، لا يا جينو .. لا أثر للشمس اليوم .. ان السحب تملأ السماء ! » . واذ ذاك ، كنت أتناول قبعتى ، وأندفع مغادرا البيت ، اذ أننى كنت خليقا بأن انفجر سخطا وغيظا ، اذا مكثت لحظة أخرى !

* * *

• وفى ذات يوم ــ من أيام تلك الفترة ــ كنت أنطلق فى طريق (ريبيتا) ، واذا بى ألتقى بجوليا ، وهى فتاة كنت أعتزم خطبتها قبل أن أتعرف الى « اديل » بوقت قصير ، ولكننى سرعان ما مللتها ــ اذ ذاك ــ لانها لم تلح لى ذات شخصية مستقلة بدرجة كافية ، اذ كانت توافقنى على كل ما أقول ــ مهما يكن ــ ولم تقل مرة اننى أخطأت ، ولو كان خطاى باديا لاى أعمى ! .. أما بعد أن تزوجت من امرأة ذات شخصية مستقلة ، وأخذت أستمتع بهذا الاستقلال كل الاستمتاع (!)، فاننى تحسرت على جوليا ، التى كانت لطيفة ورقيقة ، وتمنيت لو أننى استطعت أن أركل نفسى اذ فضلت عليها « اديل » .

ولقد سرنى كل السرور أن قابلت « جوليا » فى ذلك الصباح ، لمجرد الفارق بين شخصيتها وشخصية « اديل » ، ان لم يكن لشىء آخر . ومن ثم فاننى مضيت أتحدث اليها ــ بينما كانت تحاول ان تنصرف ، زاعمة أنها مضطرة الى

الذهاب الى السوق لتبتاع لوازمها ـ لمجرد الاستمتاع بأن أراها تقرنى على كل شيء ، وأن أراها محتفظة بلطفها ، فلا تعارضنى اطلاقا . وقلت على سبيل الامتحان : « هل أنت آسفة حقا لانك أسأت معاملتى ؟ .. هل تبينت أننى كنت أفضل من كثير جدا من الرجال الآخرين ؟ .. نبئينى ، ما السبب فى أنك لم ترغبى فى أن أكون زوجا لك ؟ » .

وكنت أعرف أن هذا يجافى الحقيقة ، اذ كنت أنا الذى هجرها ، وكان السبب الذى أوضحته ـ بالنص ـ هو أننى لم أكن لاحفل بمن على شاكلتها من نساء، مسرفات فى اللطف. ولكننى شئت أن أرى أى جواب ترد به على مثل هذا الاتهام الزائف ، الجائر . وفتحت الفتاة المسكينة عينيها ـ على سعتهما ـ دهشة ، وهى تنصت الى هذا القول منى . ومن المؤكد أنها مالت لحظة الى أن تجيب بأننى أنا الذى أسأت معاملتها ـ وهى الحقيقة ـ واننى أنا الذى هجرتها . على أن شخصيتها طغت على رغبتها، وبدلا من أن تقول ذلك ، أجابت بصوتها العذب : «لا بد أن ثمة سوء فهم يا جينو...ما كنت لأتركك قط .. أبدا .. فلقد كنت جد مشغوفة بك » .

ولابد أنك تلاحظ أنها لم تتهمنى بأننى كنت أكذب ، كما كان من المؤكد أن تفعل « اديل » .. كانت تحاول أن تبرىء نفسها ، ولكنها آثرت أن تعترف بأن بعض الذنب ربما كان من ناحيتها ، لكى ترضينى !

وأطلقت ضحكة قصيرة ، مريرة ، اذ تبينت مدى الحماقة التى ارتكبتها بايثارى « اديل » عليها ، ثم داعبت خدها وأنا أهتف : « اننى لادرك أن الذنب كان كله ذنبى ... ولم يكن ثمة سوء فهم ، للاسف ... وانما قلت ذلك دون أن أعنيه ، لارى ماذا يكون ردك ! » . ثم عدت أداعب خدها ، فتضرج

وجهها خجلا وسرورا ، بينما أسرعت أنا بالانصراف . على أننى التفت خلفى ، قبل أن اتحول الى شارع آخر ، فاذا بها لا تزال واقفة على الرصيف ، وحقيبة المشتريات معلقة الى ساعدها ، وهى تحملق فى مأخوذة ، حائرة !

* * *

• **كان** ذلك فى نهاية شهر مايو .. فلما كان اليوم التالى ، انطلقنا - أديل واياى - فى زورقى البخارى ، الى (فريجينى) ، لننعم بأول حمام بحرى . وألفينا الساحل مقفرا .. وكانت السماء صافية الزرقة ، والشمس حامية يبهر وهجها البصر ، غير أنه كانت ثمة ريح أخذت تهب على سطح الارض بقوة .. ريح لاذعة مثقلة بالرمال . ولم يكن البحر - بقرب الشاطىء - سوى أمواج .. أمواج خضراء وبيضاء ، يتواثب بعضها فوق بعض ، وتتصارع معا .. أما على مبعدة من الشاطىء فكانت تتخللها زرقة تكاد تكون سوادا ، وقد تناثر خلالها الزبد الابيض ، هنا وهناك ..

وقالت « اديل » انها كانت راغبة فى أن تخرج - الى عرض البحر - فى زورق . **ومع أننى كنت أبصر البحر فى هياجه غير اللطيف ، الا أننى استأجرت زورقا ذا مجدافين ، وأنزلته الى الماء ، لكى لا أرفض طلبها ، وأسمعها تؤكد لى - كعهدها الذى لا مفر منه - ان البحر كان هادئا ساكنا كسطح الزيت !.. وكنت فى زى السباحة ، ولكن « أديل » ظلت فى كامل ثيابها . ومرة أخرى ، لم أصر على أن تخلع عنها ثيابها ، خشية الجدال !**

ودفع المشرفون على الشاطىء القارب ، فتناولت المجدافين ، وشرعت فى التجديف بقوة ، لأغالب الامواج المتدافعة . ولم تكن الامواج عالية ، لذلك لم ألبث - بعد أن تجاوزنا المنطقة

الرملية ــ أن خففت من قوتى فى التجديف ، غير أننى ظللت حريصا على أن أقابل الامواج بتسلقهـا ، لان التحـول عن طريقها كان خليقا بأن يقلب الزورق ، الذى كان فى حجـم البندقة !

وكانت « أديل » تجلس فى المقدمة ، وهى ترتفع وتنخفض مع الامواج . وفجأة ، وجدتنى ــ وأنا أنظر اليها فأراها فى كامل ثيابها ، وأتذكر أننى لم أجسر على ان انصحها بأن تخلع ثيابها ــ أشعر بالغضب ، وقداستولت على الرغبة فى أنأقول لها اننى قد قابلت « جوليا » . ومن ثم فاننى رحت أروى لها ــ وأنا أجدف ــ كيف أننى رغبت فى أن أمتحن شـخصية « جوليا » ، وكيف أنها لم تعارضنى .

وأصغت « أديل » الى حديثى ، بينما كان الزورق يعلو وينخفض مع الامواج . ثم قالت فى النهاية ، بهدوء : « انك مخطىء ... لقد كان الذنب كله ذنبها هى ... انها هىالتى هجرتك ! »

ورحت أجذب المجدافين بشدة،تأهبا لملاقاة موجة أضخم مما كنت أتوقع . وأجبت فى حنق : « من الذى قال لك هذا ؟ .. يهمنى أن أعرف ! .. لقد كنت أنا الذى أوحيت اليها ــ ذات مساء ــ أننى لم أعد أشعر بميل فى أن ألقاها .. بل اننى لاتذكر المكان الذى كنا فيه اذ ذاك .. كنا فى لنجوتيفرى »

وكان فى لهجة « أديل » نبرة خبيثة ، وهى تجيب وقد راح شعرها يتطاير مع الريح : **« هكذا عادتك . انك تخطىء فى التذكر .. لقد كانت هى التى هجرتك ... فقد قالت انك أوتيت شخصية شديدة الميل الى المشاكسة والشجار وهى الحقيقة فعلا ــ وأنها لم تشعر بأن فى وسعها أن تعيش معك »**

ـ ولكن ، منذا الذى قال لك هذا ؟

ـ هى التى أنبأتنيه بنفسها .. بعد حدوثه بأيام قلائل !

ـ لم يكن هذا صحيحا .. لقد قالت ذلك لكى تتستر على خيبة أملها .. تماما كما قال الثعلب فى العنب الذى لم يقو على الظفر به !

ـ بل هى التى هجرتك يا جينو ، فلا تكن عنيدا...وقد أكدت لى أمها ذلك !

ـ أؤكد لك أنه ليس صحيحا ... أنا الذى هجرتها !

ـ لا .. لم تكن أنت !

ولست أدرى أى شيطان استولى على فى تلك اللحظة .. كان بوسعى أن أحتمل كل معارضة ، وفى أى شىء الا فى هذا الامر . واحسب ان كبرياء الرجولة قد تدخل فى المسألة . ومهما يكن الامر ، فاننى تركت المجدافين من يدى ، وقفزت مستويا على قدمى ، وانا أصيح : « قلت لك اننى .. أنا الذى هجرتها ... وهذا يكفى ! .. لا أريد جدالا .. اذا قلت كلمة أخرى ، فسأضربك بالمجداف على أم رأسك ! »

فقالت : « حاول وأرنى ! .. هاأنتذا تغضب وتغتاظ ، وهذا دليل على أنك مخطىء ... انك لتعلم أنها هى التى هجرتك ! »

ـ لا .. بل أنا الذى هجرتها !

وكنت اذ ذاك ـ أقف فى منتصف الزورق ، وأنا أصرخ بصوت عال .. وكان من دواعى ذلك،أننى شئت أن أسمعها صوتى عاليا فوق هدير الامواج . وكان الزورق يرتفع وينخفض، وقد دار جانبا ـ دون أن أفطن ـ لان المجدافين لم يكونا يعملان ..

وكانت « أديل » ـ على ما أتذكر ـ قد وثبت هي الاخرى

واستوت على قدميها فجأة ، وراحت تصرخ فى وجهى ، وهى تحيط فمها براحتيها ، وكأنهما بوق : ((بل كانت هى !))

وفى تلك اللحظة بالذات ، انقضت علينا موجة عالية ، كأنها جدار أصم من الماء الاخضر الشفاف ــ كالزجاج ــ وقد كللها الزبد الابيض .. ثم تكسرت فوق الزورق ، فاختل توازننا .. ووجدتنى أطير فى الهواء ، وانا أفكر ــ فى اللحظة ذاتها ــ فى انه من معجزات الحظ أن الزورق لم ينقلب .. ثم هويت لتوى فى الماء، الذى راح يشدنى وهو يدور كالدوامة، وقدماى فى الهواء .. وابتلعت قدرا من الماء ، قبل أن أفلح فى الصعود الى السطح مرة أخرى ، وأنا أناضل التيار، وانادى ((أديل))

* * *

• **على** أننى لم أكد أتلفت حولى ، حتى تبينت أن الزورق كان قد ابتعد مسافة ، وانه كان خاليا ، ولا أثر هناك لاديل !

وعدت أناديها ، وقد شرعت أسبح نحو الزورق ، دون أن أدرى ما الذى كنت أعتزم أن أفعله . ولكن الزورق كان يزداد بعدا مع كل موجة .. وكان فمى يمتلىء ماء ، فى كل مرة أنادى فيها ((أديل)) .. ورحت ــ طيلة الوقت ــ أفكر فى انه لا جدوى من المضى وراء الزورق ، ما دامت ((أديل)) لم تعد فيه ! .. وما لبثت أن كففت ــ فى النهاية ــ عن متابعته، وشرعت أسبح فى دائرة حــول نفسى ، وانا أبحث فى الماء عن ((أديل)) .

ولكن بصرى لم يقع على أثر لاديل .. كل ما كان يرى ــ اذ ذاك ــ هى الامواج تسابق بعضها بعضا نحو الشاطىء !..
وأخذت قواى تضمحل وتخذلنى . واستولى على الذعر من

أن أغرق ، فشرعت أسبح نحو الشاطىء . ولم يمض طويل وقت ، حتى مست قدماى قاع الماء ، وان ظللت على مسافة بعيدة من الشاطىء ، فكففت عن السباحة ، ورحت أصرخ . وسرعان ما أبصرت بزورق يدفع فى الماء ،ثم اخذ يقترب منى .

وفيما كان فى طريقه الى ، رحت أتلفت حولى ، باحثا فى البحر عن أى أثر لاديل . **ولكن البحر كان مقفرا الى أقصى مرمى البصر ، اللهم الا من الزورق الخاوى ، الذى كان يطفو على سطح الماء ، ومجدافاه منبوذان !**

وشرعت أبكى مرددا : « أديل ، أديل ! » ، مرارا وتكرارا ، فى صوت خفيض ، وكأننى أناجى نفسى . وبدا لى أن صخب الامواج كان يجيبنى فى كل مرة : « بل كانت هى ! » ، وكأنما كان صوت « اديل » ـ التى اختفت ـ لا يزال يحوم فى الهواء، ليعارضنى .

ثم وصل حراس الشاطىء ، وراحوا يبحثون لاكثر من ثلاث ساعات ، ولكن جثة « أديل » لم تظهر .. لا فى ذلك النهار ، ولا فى الايام التى أعقبته .

* * *

• وهكذا ترملت ! ..

وانقضى عام ، ثم استجمعت جرأتى ، وذهبت لزيارة « جوليا » . وأجلستنى أمها فى غرفة المائدة ، حتى اذا جاءت هى ، بادرتها قائلا : « جوليا » .. لقد جئت لاسألك عما اذا كنت ترتضين أن تصبحى زوجتى ! »

وتضرج وجهها حبورا ، ثم أجابت فى صوت رقيق : « لن أقول لا .. ولكن لا بد من أن أشاور أمى فى الامر ! » .

وبهت للشطر الاول من جوابها ، ثم تذكرته ثانية ــ فيما بعد ــ كأنه قال : ((**لن أقول لا !**))

ولقد تزوجنا .. واذا شئت أن ترى زوجين متوافقين فى انسجام تام ، فتعال لزيارتنا .. لقد ظلت ((جوليا)) تمــاما على ما كانت عليه فى ذلك الصباح ، حين أجابتنى :

((**لن أقول لا !**))

- * -

الكنز..!



THE TREASURE

• في الفترة التى كنت أعمل خلالها ساقيا فى فندق صغير، خارج (بورتا سان بانكراتسيو) ، اعتاد بستانى من زارعى الخضر أن يتردد بانتظام على المكان ، وكان كل أمرىء يدعوه « مارينيسى » ، اما لانه كان ينتمى الى (مارينو) ، وأما — وهذا هو الاكثر احتمالا — لانه كان مولعا بنبيذ (مارينو) بوجه خاص . **ولقد كان هذا الرجل المدعو « مارينيسى » طاعنا فى الكبر ، حتى لقد كان هو نفسه لا يدرى مدى عمره . ومع ذلك ، فقد اعتاد أن يفوق معظم الشباب فى الشراب ، وكان — أثناء تناوله الخمر — يثرثر مع أى امرىء يحفل بالانصات اليه .. بل لقد كان يحدث نفسه فى الواقع !**

ونحن سقاة الفنادق ، ننفق الوقت — كما يعلم كل انسان — فى الانصات الى أحاديث الرواد ، ما لم نكن منصرفين الى خدمتهم فعلا . ولقد اعتاد « مارينيسى » أن يؤثر بالتكرار قصة معينة ، دون عدد كبير جدا من القصص غير الحقيقية .. قصة كان لها مظهر الحقيقة .. **تلك هى أن الالمان سرقوا صندوقا مليئا بالفضة ، من قصر قريب لاحد الامراء، ودفنوه فى بقعة كان هو — مارينيسى — يعرفها ! .. وكان فى بعض الاحيان — اذا ثمل حقا — يوحى الى سامعه بأن تلك البقعة كانت فى حديقته التى يستنبتها الخضر .** وقد اعتاد ان يردد — على اية حال — ان بوسعه أن يغدو غنيا، لو أنه أراد .. وانه لن يلبث ان يريد ، يوما ما . متى ؟ .. لقد قال — ذات مرة — لشخص وجه اليه هذا السؤال : « عندما أكتهل ولا أعود راغبا فى المضى فى العمل ! » . وكان هذا ردا بادى السخف ، اذ كان بوسعك — اذا نظرت اليه — ان ترى أنه ولا بد قد تجاوز الثمانين ، على الاقل !

* * *

• **المهم** فى الامر ، أننى لم ألبث أن بدأت أفكر فى هذا الكنز ، وقد اقتنعت بأنه كان موجودا ، لان سرقة كهذه حدثت – قبل بضع سنوات ، وابان الاحتلال – فى الواقع ، ولم يقدر للامير أن يسترد فضته ثانية .

وكنت كلما فكرت فيه ، اغتاظ لوجوده فى حوزة « مارينيسى » ، الذى لن يلبث أن يقع ميتا فى كوخه بغتة – فى يوم من الايام – فلا يعود ثمة سبيل الى الكنز اطلاقا . ولقد حاولت أن أتقرب اليه واستدرجه ، ولكن الكهل كان يحملنى على أن أمنحه كؤوس الشراب ، ثم يأبى أن ينبس ببنت شفة ، كأى محتال أصيل !.. وكان يقول فى النهاية ، بجد وعزم بالغين : « لن أخبرك ، ولو كنت ابنى ... انك شاب ، وفى طوقك أن تعمل .. ان الذين يحتاجون الى المال ، هم الكهول الذين هدت قواهم ، ولم يعد بوسعهم أن يمضوا فى العمل بعد اليوم ! »

وركنت – فى النهاية – وفى غمرة اليأس ، الى الساقى الآخر « ريميدجيو » ، فأفضيت اليه بالسر .. وكان شابا شاحب اللون ، أشقر ، يصغرنى سنا . ولقد تحمس للفكرة لفوره ، ولكن فى حماقة تتناسب مع ما كان يتصف به من حمق ، فراح يبنى القلاع فى الهواء ، ويتصور أننا أصبحنا غنيين ، ويحلم بأنه سيبتاع دراجة كهربائية (موتوسيكل) ، وبأننا سننشىء معا حانة ، وما الى ذلك . فقلت له : « ان أول ما ينبغى عمله ، هو العثور على هذا الكنز .. فلا تتحمس أكثر مما ينبغى بشأنه .. لسوف نقسمه الى أربعة انصبة .. ثلاثة لى ، وواحد لك . أصواب هذا ؟ » . ووافق على قولى ، وهو لايزال فى تصوراته . واتفقنا على أن نلتقى فى

الليلة ذاتها.. بعد منتصف الليل، عند بداية طريق (أوريليا) القـديم !

وكنا فى أوائل مايو ، والسماء مرصعة بالنجوم ، والقمر زاه يرســل ضوءه على كل شىء ـ فكأن النهـار ســاطعا ـ والهواء لطيفا .. **ولم يداخلنى أى شعور بأننى كنت مقدما على ذنب ، اذ أغير على الرجل الكهل .. بل اننى صورت الامر كله ـ لنفسى ـ على أنه مجرد دعابة أو أمزوحة !**

وانطلقنا فى طريق (أوريليا) ، بين الاســوار العتيقة التى كانت حدائق الخضر وبساتين الاديرة تمتد خلفهـا . وكنت أحمل معولا ، خشية أن يأبى « مارينيسى » اعارتنا معوله ، كما أعطيت « ريميدجيو » مجرفة صغيرة من الحديد ،لمجرد حمله على أن يقوم بعمل ما . كذلك كنت قد ابتعت مسدسا وكمية من الذخيرة من ميدان (فيتوريو) ، ولكننى حرصت على أن أثبت صـمام الامان ، فان المـرء لا يدرى ما تأتم به الاحداث .

والحق أقول اننى كنت ـ بدورى ـ أشعر بطرب لفكرة الــكنز ، حتى اننى أصبحت نادما على أننى أفضيت الى « ريميدجيو » بذكره ، فقد كان معنى هذا انتقاص جزء مما كان من المحتمل أن أظفر به لنفسى . فضـلا عن أننى كنت أعرف أن الشاب ثرثار ، وان المغامرة خليقة بأن تنتهى بنـا الى السجن ، لو أنه تكلم ! . **ولقد راحت هذه الفكرة تمضنى وتزعجنى اثناء سيرنا بين الاســوار . ومن ثم فاننى لم ألبث أن توقفت عن السير بغتة ، وأخرجت المسدس ـ الذى لم أكن قد أطلعته على أمره حتى تلك اللحظة ـ وقلت له : «والآن، حذار .. فلسوف أقتلك اذا أنت تكلمت ! »، فقال وكل كيانه يرتجف : « ماذا تراك تظن بى يا أليسندرو ؟ » .. فاستأنفت**

حديثي : ((سنضطر الى أن نهب ((مارينيسى)) قسطا ضئيلا، حتى تكون له فى الامر مصلحة ونفع ، فلا يشى بنا .. ومعنى هذا أن عليك أن تتنزل عن جزء من نصيبك .. فهل هـذا مفهوم ؟)) . ورد بالايجـاب ، فأعدت المسدس الى قرابه ، وواصلنا السير .

وكانت ثمة بوابة عتيقة .. الى اليمين ، على مسـافة فى الطريق ـ ذات أعمدة، وقد نقشت على اطارها كلمات لاتينية . وكانت أبوابها خضراء اللون ، وقد حال طلاؤها ، وتهشـمت أجزاؤها .. وكنت أعرف أن بستان الخـضر ـ الذى كان مارينيسى يمتلكه ـ كان يقع خلف تلك الابواب . وتطلعت الى رأس الطريق ومنتهاها ، فلما لم أر أى امرىء هناك ، دفعت الابواب ، التى لم تـكن موصـدة ، ودلفت الى الداخـل ، وريميدجيو فى أثرى .

واعترف بأننى لم أتمالك ـ اذ تأملت البسـتان ـ أن اطلقت صيحة اعجاب ، بالرغم من اننى لم اكن قد اقبلت لابتيـاع خضر . فيالها من حديقـة !.. لقد استلقى امامنا ، وتحت ضوء القمـر الزاهى الساطع ، أجمـل بستان للخضر وقعت عيناى عليه ، فى الواقع ! .. كانت قنوات الرى البراقة تمتد فى خطوط طويلة مستقيمة تقريبا ، وكأنها رسمت بالمسطرة والمثلث القائم الزاوية !.. وكانت الخضر مزروعة بين هـذه القنوات ، فى صفوف ، وقد لاحت وكأنهـا تبـرز من جوف الارض فى موكب من الاطياف يسعى نحو كوخ ((مارينيسى)) الصغير ، الذى كان شبحه يرى فى الطرف الاقصى للبستان . كانت ثمة ثمار عملاقة من الخس ، من ذلك النوع الذى تكفى الواحدة منه لملء ميزان البدال .. وشـجيرات رائعـة من شجيرات الطماطم ، تستند الى أعواد من الغاب ، وقد كمنت

الثمار بين الاوراق خضراء ولكنها كبيرة توشك ان تتفجر لامتلائها .. أما الكرنب فكانت الثمرة منه فى حجم رأس الطفل ، كما كانت أعواد البصل طويلة ، مستقيمة ، كأنها السيوف .. وكانت كل ثلاث ثمار أو أربع من الخرشوف ، تثقل شجيرة .. كما كانت هناك بازلاء ، وفاصولياء ، وانواع اخرى من الخس .. **كانت هناك - بايجاز - كافة خضر الموسم . وعلى الارض ، رأيت ثماراً من الباذنجان والخيار ، وكأنها تركت هنا وهناك لمن يرغب فى التقاطها . كذلك كانت ثمة أشجار للفاكهة كالبرقوق، والخوخ، والتفاح ، والكمثرى، وقد نمت منخفضة وسميكة ، محملة بالثمار التى لم تكن قد استكملت نضجها ، والتى كانت تطل على ضوء القمر ، من خلال الاوراق الخضراء .**

لقد كنت خليقا بأن تشعر بأن كل نبتة ، وكل شجرة ، كانت ذات الفة وثيقة بيد البستانى ، وان الكسب لم يكن العامل الوحيد الذى اعتاد أن يهدى هذه اليد . وتساءل ريميدجيو - الذى لم يكن يفكر فى غير الكنز - وقد نفد منه الصبر : « اين مارينيسى ؟ » . فأجبته مشيرا نحو الكوخ الذى كان فى الطرف الاقصى للبستان : « هناك ! »

* * *

• وسرنا فى درب صغير ، بين صف من الثوم وصف من الكرفس . وداس ريميدجيو احدى ثمار الخس ، فقلت له : « تبين مواطىء قدميك أيها الابله ! » . وانحنيت فالتقطت ورقة من الثمرة التى داسها ، ووضعتها فى فمى ، فاذا بها حلوة المذاق ، ممتلئة ، باردة ، وكأنها اغتسلت بالطل !

وهكذا بلغنا الكوخ ، فأقبل كلب « مارينيسى » - الذى

كان يعرفنى ـ واستقبلنى هازا ذيله ، بدلا من أن يرسل نباحه . وكان كلبا أصفر ، من ذلك النوع الذى يقتنيه أصحاب بساتين الخضر ، ولكنه كان ذكيا !

وطرقت باب الكوخ المغلق برفق ـ فى البداية ـ ثم بشدة .. ومالبثت أن رحت أدقه بجماع قبضتى وبقدمى ، عندما لم يخف أحد لفتحه. واذا بصوت الرجل يجعلنا نقفز مجفلين، اذ انه لم ينبعث من جوف الكوخ ، وانما انساب من مجموعة كثيفة من الشجيرات ، على مقربة : « من هناك ؟ .. ما الذى تريدان ؟ »

وكان يمسك بمعول فى يده ، مما دل على انه كان منهمكا فى فلح بستانه ، حتى فى جوف الليل . واقترب منا ، تحت ضوء القمر ، وقد استرخت ذراعاه الى جانبيه ، وانحنى ظهره ، واحمر وجهه ، وكست فوديه شعيرات بيضاء .. كان مثالا للبستانى الذى ينفق وقته ـ من الفجر حتى غروب الشمس ـ عاكفا على خضره . وأجبته فورا : « انما نحن صديقان » . فكان رده : « ليس لى أصدقاء ما » . ثم ازداد دنوا منا ، وقال : « ولكن ، اهذا أنت ؟ .. اننى اعرفك .. ألست أليسندرو ؟ » . فقلت له اننى أليسندرو فعلا . ثم اردفت بلهجة آمرة ، وانا انتزع المسدس من جيبى ، دون أن



أسدده : « قل لنا يا مارينيسى : أين الكنز ؟ .. سنقتسـمه فيما بيننا .. فاذا أبيت أن تخبرنا ، فلن يحول هـذا دون أن نأخذه ! »

وشهرت المسـدس فى الوقت ذاته ، ولـكنه وضـع يده الضخمة عليه ، وكأنما كان يبغى أن يقول أن لا حاجة هنـاك لذلك ، ثم احنى رأسه ، وتساءل بلهجة المستغرق فى التفكير : « أى كنز تعنى ؟ »

ــ الفضة .. الفضة التى كان الالمان قد سرقوها

ــ ولكن .. أى ألمان ؟

ــ الجنود ، أثناء الاحتـلال .. لقد سرقوها من الامير ..

ــ أى أمير ؟

ــ الامير .. وأنت تعرف ! .. ولقد قلت انهم دفنوها فى البستان ...

ــ ولكن .. أى بستان ؟

ــ بستانك يا مارينيسى .. ولاتتغاب ! .. انك لتعـرف مكان الكنز ، فأرشدنا اليه وانفض يديك من الامر !

وهنا قال ، ورأسـه لايزال منكسـا : **« آه .. أتقصـد الكنز ؟ »** .

ــ أجل .. أقصد الكنز ، بلا شك !

فقال فى تحمس : **« اذن ، تعاليا معى .. سنحفر فى الحال هل معك معول ؟ .. سنأتى بمعول آخر ليستعمله صاحبك .. هيا ، تعاليا »**

وعرتنى دهشة ، لاننى لم أكن قد توقعت منه أن يتحمس بهذه السرعة . على اننى تبعته ، فسار الى ما وراء الكوخ ، وهو لايزال يتمتم : « الكنز ! .. لن تلبثـا ان تريا أى كنـز بديع هو ! » . ثم عاد ومعه معول أسلمه الى « ريميدجيو » .

وسار مرددا : « تعاليا .. انكما تبغيان الكنز ، وستحصلان عليه ! »

* * *

• **ولم** تكن الارض الممتدة خلف الكوخ قد أفلحت من قبل، بل انها كانت زاخرة بما لاحصر له من النفايات وأكوام الفضلات . وكان يليها صف من الاشجار ، يقوم خلفه سياج عال ، شبيه بالسور المحيط بجانب البستان القائم على طريق (أوريليا) . وسلك الكهل الدرب الممتد بحذاء الاشجار ، حتى بلغ اقصى بقعة فى البستان ، حيث كان السياج يؤلف مع الاشجار زاوية . وهنا التفت فجأة ، ودق الارض بقدمه، قائلا : « احفرا هنا .. فالكنز هنا ! »

وتناولت معولى ، وأقبلت لتوى على الحفر . وراقبنى ريميدجيو ، وهو ممسك بالمعول الآخر فى يده . فقال له مارينيسى : «احفر انت الآخر .. أو لاتبغى شيئا من الكنز ؟» . واذ ذاك انكب ريميدجيو على الحفر بكل قوة وعنف ، فعاد مارينيسى يقول : « مهلا ، اهدأ ، لاتنفعل .. ففى الوقت متسع ! » . **ومع هذه الكلمات ، خفف ريميدجيو من سرعة معوله ، فاذا به يهوى على قدمه . فأمسك مارينيسى بالمعول واداره فى يده ، ثم قال له : « يجب أن تمسكه هكذا ... وعليك ان تضغط قدمك بالارض ، فى كل مرة يهوى فيها المعول على هذه ، والا فلن تتعلم كيف تحفر ! » . واردف بعد ذلك : « أحفرا مسافة متساوية فى جميع الاتجاهات .. حوالى ياردتين : لا أكثر .. فان الكنز تحت هذه البقعة بالذات .. وفى هذه الاثناء ، سأقوم بجولة اتفقد فيها البستان ! » . فقلت : « لا ، لن تذهب .. بل أمكث هنا ! »**.

وكان رده : ((مم تخاف ؟.. لقد أنبأتكما بأن الكنز ملككما !))

وعلى هذا فقد مضينا فى الحفر ، بكل ما أوتينا من قوة ، فشققنا سطح الارض ، ورحنا نتعمق ، ونوغل فى التعمق ، متبعين حدود المربع الذى رسمته بسن معولى . وكانت التربة جافة ، صلبة ، مليئة بالاحجار والجذور . وكنت ألقى بالتراب جانبا ، فى كومة ، فراح مارينيسى ــ الذى لم يكن يفعل شيئا ــ يقصى الاحجار بقدمه ، أو يوجه الينا الارشادات .. ((لاتتعجلا الى هذا الحد .. استأصلا الجذور .. انتزعا الاحجار !)) . وما لبثنا ان انتزعنا من الارض عظمة طويلة سوداء ، فتناولها وفحصها ، ثم قال : ((انها عظمة جاموسة .. ها أنتما قد بدأتما تعثران على أشياء !)) . ولم يكن بوسعى أن أجزم بما اذا كان يتكلم جادا ، أو انه كان يمزح .

وتصببت عرقا بالرغم من ان الليل كان باردا .. ورحت أرمق ريميدجيو ــ بين آن وآخر ــ فغاظنى أن أرى انه هو الآخر كان يلهث ويضنى نفسه فى تحمس . وواصلنا الحفر زمنا طويلا ، دون أن يظهر لنا شىء . **وكنا فى تلك الاثناء قد أحدثنا ثغرة مربعة يزيد عمقها على ثلاثة أقدام ، فاذا التربة التى فى قاعها رطبة ، طرية ، سمراء .. ومع ذلك فلم يلح لنا ماينم عن صندوق أو كيس أو أى شىء من هذا القبيل !**

وعلى حين غرة ، أمرت ريميدجيو بأن يكف عن الحفر ، ثم صعدت الى خارج الحفرة ، وقلت لمارينيسى : ((قل لى الآن ، اين هذا الكنز ؟ .. لا اثر له البتة هنا ، واعتقد انك تغرر بنا !))

فأقصى غليونه عن فمه ، وبادر مجيبا : ((أتريد أن ترى الكنز ؟ .. حسنا ، سأريكه الآن !)) . ولم أمنعه من أن يغادر المكان ــ فى هذه المرة ــ اذ كان التعب قد برح بى ، ولم أعد

فى قرارة أعماق قلبى ـ أعبأ بالكنز . وراقبته وهو يسير نحو كوخ صغير آخر ، لم أكن قد لاحظته من قبل، اذ كان متواريا خلف الاشجار ، فى ظلال السياج . فقال ريميدجيو : « انه يهرب ! » . فأجبته وأنا استند الى معولى ، وأمسح العرق عن جبينى : « لا ، انه لا يهرب ! » . وكنت على صواب ، فما لبث مارينيسى أن خرج من الكوخ ، وهو يدفع عربة صغيرة محملة حتى حافتها ـ على ما بدا لى ـ بالقش . وتقدم الى الثغرة ، فقلب القش فيها ، ثم دس احدى قدميه بداخلها ، وراح يسوى القش مستخدما يديه معا .

وسألته مترددا : « وبعد .. ما شأن الكنز ؟ »

فأجاب : « هذا هو الكنز .. انظر ، ما أجمله ! »

وقبض ـ فى الوقت ذاته ـ على حفنة من القش ، وكوم المادة الطرية ، النتنة العبير ، ودفعها تحت أنفى ، وهو يقول: « انظر .. ألا تراه شبيها بالذهب ؟ ! .. هذا هو الكنز .. أرأيت أى كنز هو ؟ ! .. أين تستطيع ان تعثر على كنز كهذا ؟ .. هذا هو الكنز ... » . وكان يتحدث الى نفسه ، غير حافل بوجودنا . ثم صعد من الحفرة ، وهو ماض فى كلامه ، فدفع العربة الى الكوخ ، وملأها من جديد ، ثم عاد بها الى الحفرة ، فقلبها فيها مرة أخرى .. وأخذ يسوى سطحها من جديد ، وهو لايزال يردد : « أرأيت أى كنز هو؟ .. هذا هو الكنز ! »

ونظرت الى ريميدجيو .. ونظر ريميدجيو الى ، ثم استجمعت قواى ، وأشهرت مسدسى ثانية . ولكن « مارينيسى » أزاحه جانبا ـ لفوره ـ وكأنه مجرد قطعة من الخشب . وقال : **« كف عن هذا .. دعك منه .. اذا كنت تبغى فضة ، فهل تدرى أين تستطيع العثور عليها ؟ »**

وسألته بسذاجة : « أين ؟ »

ـ فى حانوت .. اذا دفعت مقدارا معينا من ورق النقـد فئة الالف ليرة ، كان لك أن تحصل من الفضة على ما تشاء !

وتجلى انه كان طيلة الوقت يخدعنا ويغرر بنا .

وتساءل ريميدجيو بلهجة مثقلة بالخيبة : « وما أمر هذه الحفرة التى حملتنا على حفرها ؟ »

ـ ما بالها ؟ .. انها حفرة لاعداد السـماد العضـوى .. انها الشىء الذى كنت فى حاجة ماسة اليه .. لقد اعفيتمانى من التعب !

وشعرت بجميـع قواى تزايلنى ! .. وفـكرت فى انه من الجدير بى أن أهدده واتوعده ، بل وأن اطلق عليه الرصاص .. ولكننى احسست ـ بعد كل الحفر وخيبة الامل ـ بأننى عاجز عن أن أفعل شيئا !

وقلت أخيرا : « **اذن ، فليس هناك كنز ما ؟** » . وتمنيت اذ ذاك أن يؤكد مارينيسى انه لم يكن للكنز وجـود فعـلا . ولـكن الشيطان الـكهل البغيض ، قال : « **هنـاك .. وليس هناك !** » .

ـ ما الذى تعينه بهذا القول ؟

ـ أعنى انه كان من المحتمـل أن يكون ثمـة كنز ، لو انك جئت فى النهار بطريقة ودية .. أما وقد جئت بالطريقة التى جئت بها ، فلا كنز هناك !

وأرسل بصره ـ فى اللحظة ذاتها ـ نحو الكوخ ، غيرمكترث بنا. ثم سار نحوه. فجريت خلفه متقطع الانفاس ، وأمسكت بـكمه ، هاتفا : « بالله عليـك يا مارينيسى .. » . فالتفت نحوى ، وقال : « **لماذا لا تطلق الرصاص على ؟ .. ألم تؤت مسدسا !** »

فقلت : « لست أبغى اطلاق الرصاص عليك .. لنقتسـم الـكنز ! » .

ـ كن صريحا واعترف .. انك لم تؤتجرأة على أطلاق الرصاص .. انك لاتصلح لشىء ، كما ترى .. أن أى أمرىء غيرك ، كان خليقا بأن يرمينى بالرصاص .. لقد كان الالمان يقتلون بالرصاص !

ـ ولكننى لست ألمانيا !

ـ لا بأس اذن .. اذا لم تكن ألمانيا ، فعم مساء !

وما أن لفظ هذه الكلمات ، حتى دخل الكوخ ، وصفق الباب فى وجهينا .

* * *

• هكذا كانت نهاية قصة الكنز ..

وفى اليوم التالى ، وفد « مارينيسى » على الفندق فى الموعد المعهود ، فلما حملت اليه زجاجة النبيذ ، صاح : « آه ، أنت الشاب الذى كان يسعى وراء كنزى ... ما الذى فعلته بمسدسك ؟ »

ولم ينتبه أحد لهذا القول ـ لحسن الحظ ـ لانه كان كثير الثرثرة والهذيان ، كما قلت ، وكان معظم حديثه لغوا . ولكننى لم أشعر ـ بالرغم من ذلك ـ بأننى فى أمان .. كما اننى لم أرض بأن أكون مستغفلا أمام ريميدجيو ، الذى عرف كل شىء عن الامر ، وأخذ يضحك وكأنه لم يؤمن ـ هو ذاته ـ بوجود الكنز !

لذلك فسرعان ما انتهزت فرصة عمل جديد عرض على ، فرحلت لالتحق بمطعم فى (تراستفيرى) ، بميدان (سان كوسيماتو) . ولكن ريميدجيو مكث فى (سان بانكراتسيو)

محتويات الكتاب

عزيزى القارئ..

فى عدد يونية سنة ١٩٥٣ قدم لك "كتابى" أول قصة بالعربية لأديب إيطاليا المعاصر "ألبرتو موراڤيا" .. ثم واصل (كتابى) تقديم إنتاج هذا الروائى الفذ فى أعداد أخرى منه، كان آخرها العدد ٧٣ الذى صدر منذ شهرين..

وفى نوفمبر عام ١٩٥٥ قدمت لك فى (مطبوعات كتابى) الترجمة الكاملة لقصتين من قصص "موراڤيا" هما: "المراهقان"، و"فتاة من الأقاليم"..

واليوم أقدم لك فى هذا العدد، الترجمة الكاملة لكتاب من أحدث كتب موراڤيا، يضم باقة رائعة من القصص ذات الطابع الواقعى التحليلى، فى إطار من الجو الإيطالى الساحر!

- الخدعة!
- رجل..!؟
- فاتنة سائقى السيارة
- خداع القيظ
- المطر فى شهر مايو
- فى سبيل حذاءين!
- لن أقول: لا!
- الكنز



يصدرها حلمى مراد

مطبوعات كتابى

الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية